إدارة المناهج والكتب المدرسية

العلوم الإسلامية والتربية الإسلامية

المستويات الأول والثاني والثالث والرابع

المرحلة الثانوية / الفرع الأدبي

العلوم الإسلامية والتربية الإسلامية

المستويات ١+٢+٣+٤

المرحلة الثانوية / الفرع الأدبي

١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

ISBN : 978-9957-84-203-1

المطبعة الوطنية

إدارة المناهج والكتب المدرسية

العلوم الإسلامية والتربية الإسلامية

المستويات الأول والثاني والثالث والرابع

المرحلة الثانوية / الفرع الأدبي

تأليف

د. إبراهيم طه القيسي	حسين إسماعيل العدم
د. سعيد محمد الرقب	د. شرف محمد القضاة
د. علي محمد الصوا	د. محمد أحمد الخطيب
د. محمد راكان الدغمي	د. محمد عثمان أشبير
د. محمد علي الهواري	د. محمد نبيل طاهر
ممدوح توفيق العقيل (مقرراً)	محمود عيسى ابو سمور

الناشر

وزارة التربية والتعليم

إدارة المناهج والكتب المدرسية

يسر إدارة المناهج والكتب المدرسية استقبال ملاحظاتكم وآرائكم على هذا الكتاب على العناوين الآتية:

هاتف: ٨ - ٥ / ٤٦١٧٣٠٤ فاكس: ٤٦٤٥٨٨٨ ، ٤٦٣٧٥٦٩ ص. ب: (١٩٣٠) الرمز البريدي: ١١١١٨

أو على البريد الإلكتروني: Humanities.Division@moe.gov.jo

قررت وزارة التربية والتعليم تدريس هذا الكتاب في جميع مدارس المملكة الأردنية الهاشمية بموجب قرار مجلس التربية والتعليم رقم (٩٥/٤٢) في جلسته رقم (٩٥/٨) تاريخ (١٩٩٥/٣/٢٢) اعتباراً من العام الدراسي ١٩٩٥/ ١٩٩٦.

قررت وزارة التربية والتعليم تدريس هذا الكتاب في جميع مدارس المملكة الأردنية الهاشمية بموجب قرار مجلس التربية والتعليم رقم ٩٦/٤٣ تاريخ ١٩٩٦/٤/١٠م. اعتباراً من العام الدراسي ١٩٩٦/ ١٩٩٧. وقرار رقم ٩٩/٤٨ تاريخ ١٩٩٩/٥/٣١م. وقرار رقم ٢٠٠١/١٧ تاريخ ٢٠٠١/٥/٧م.

جميع الحقوق محفوظة لوزارة التربية والتعليم

ص. ب (١٩٣٠) عمّان – الأردن

لجنة التوجيه والإشراف على التأليف

الشيخ عز الدين الخطيب التميمي	أ. د. عبدالسلام داود العبادي
د. عزت محمد جرادات	أ. د. محمود علي السرطاوي
أ.د. كايد يوسف قرعوش	صادق علي ملحم
د. محمد هاشم الريان	د. صالح ذياب هندي
د. خالد يوسف الخوالدة	حسين إسماعيل العدم

التحرير العلمي : حسين إسماعيل العدم
د. خالد يوسف الخوالدة
محمود عيسى أبو سمور

التحرير اللغوي : زيد أبو الحاج
محمد سلاّم جميعان

التحرير الفني : محمد سلاّم جميعان
نداء فؤاد أبو شنب

التصميم : أريج عبدالله العمري

الإنتاج : سليمان أحمد الخلايلة

دقق الطباعة وراجعها : د. سمر محمد أبويحيى

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١١/٣/٩٨٦)
ISBN : 978-9957-84-203-1

الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م
أعيدت طباعته ٢٠٠٨ –٢٠١٥م

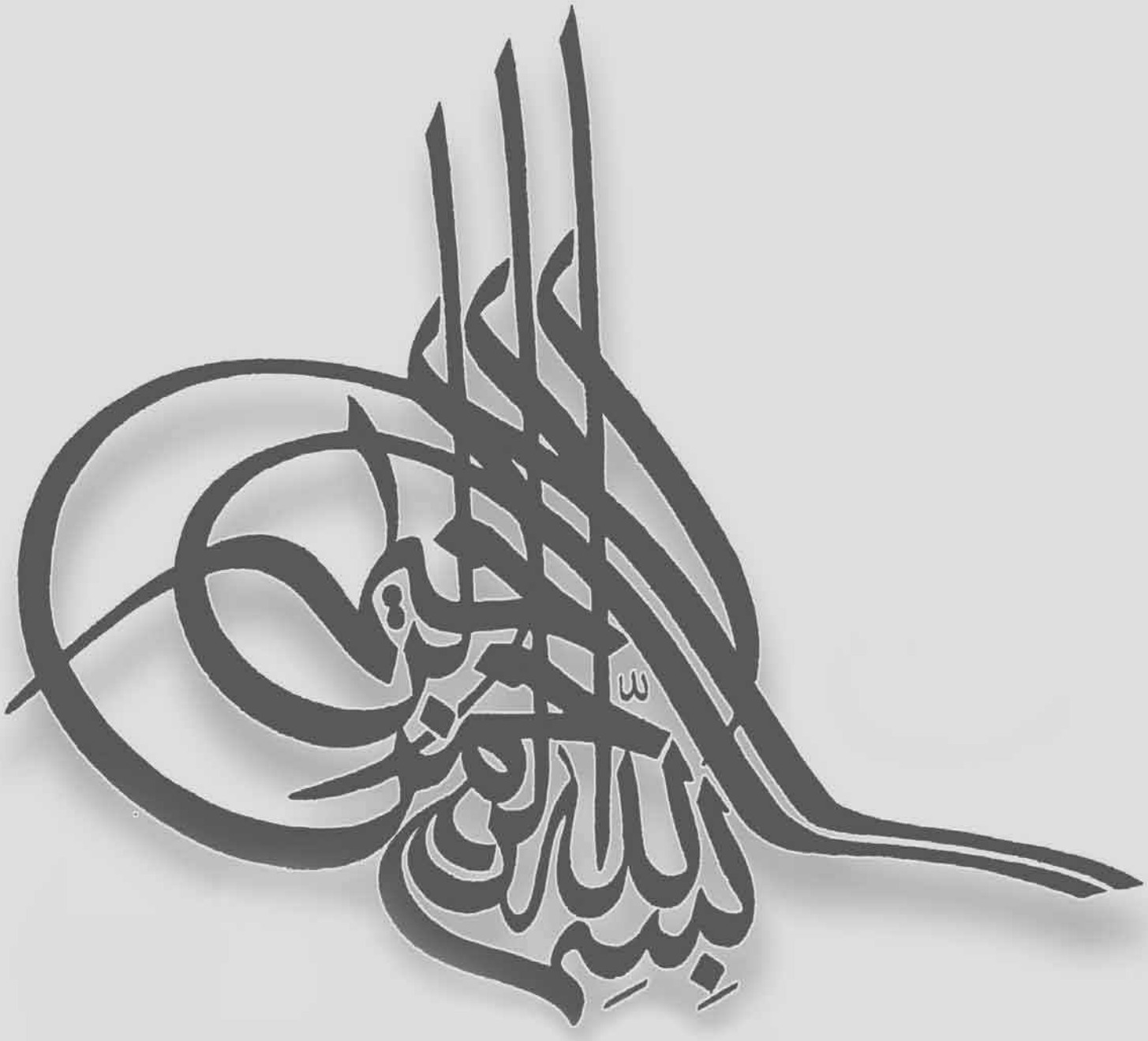
بسم الله الرحمن الرحيم

المستوى الثالث

الوحدة الثامنة

مدخل إلى دراسة العلوم الإسلامية

وتشتمل هذه الوحدة على:

- طلب العلم .
- أقسام العلم عند المسلمين.
- مناهج البحث عند المسلمين (المفهوم والخصائص).

الدرس الأول

طلب العلم

امتازت الشريعة الإسلامية باهتمامها بالعلم، وحثّها على تعلمه وتعليمه، فكانت أول آيات القرآن الكريم نزولاً تدعو إلى العلم والتعلم. قال الله تعالى:

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾[1]

فكانت هذه الآيات إيذاناً بنشر العلم بين الناس، وإخراجهم من ظلمات الجهل الذي كانوا فيه، فما معنى العلم؟ وما فضله؟ وما حكمه؟ وما مصادره؟ وما طرق تحصيله؟

أولاً : معنى العلم

العلم لغة: نقيض الجهل

العلم اصطلاحاً: إدراك الأشياء وفهمها على حقيقتها.

ثانياً : فضل العلم

دعا الإسلام إلى العلم، لفضله العظيم الذي يعود على المجتمع والأفراد، بالفضائل الآتية :

١- القضاء على الجهل، فقد منّ الله تعالى على الإنسان بتعليمه الخط والكتابة،

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴾[2]

٢- فهم حقائق الأشياء وإدراك ما يحدث في الكون، فيسهل التعامل معه، والإفادة مما أودعه الله تعالى فيه من منافع .

٣- تأهيل الإنسان للاستخلاف في الأرض وتمكينه من الانتفاع بموجودات الكون بتسخير ما فيه لمصلحته قال الله تعالى:

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[3]

وقال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[4]

---

(١) سورة العلق الآيات (١-٥)

(٢) سورة العلق الآيات (٤)

(٣) سورة البقرة الآية (٣١)

(٤) سورة الجاثية الآيتان (١٢، ١٣)

٤- تفعيل دور الأمة في بناء الحضارة الإنسانية وازدهارها وحفظ هيبتها وسيادتها بين الأمم.
٥- إعطاء العلماء منزلة رفيعة بين الناس من خلال ما يقدمون من خدمات جليلة لأمتهم. من نشر للعلم بين الناس، وإزالة للجهل، وتعريفهم أحكام دينهم، وكشف أسرار الكون ليسهل عليهم تسخير موجوداته لمنفعتهم.

قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[١]

ثالثاً : حكم طلب العلم وأدلته

يعني طلب العلم: دراسة العلوم والإلمام بها من جوانبها جميعها، وفهمها على حقيقتها وفهم القصد منها.

وطلب العلم فرض عين على كل مسلم ومسلمة في العلوم الدينية التي يجب على كل مسلم معرفتها مثل العلم بأن الله واحد، وحكم تعلم ما عداها من العلوم الدينية فرض على الكفاية، أما العلوم الدنيوية فتعلمها فرض كفاية على الأمة الاسلامية، فلا يجوز أن تخلو الأمة من هذه العلوم.

الأدلة على طلب العلم

جاءت النصوص الشرعية تحث على طلب العلم، إذ بدأ القرآن الكريم الأمر بالقراءة والتعلم في سورة العلق، وجاء الأمر بالاستزادة من العلم، فقال الله تعالى:﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[٢]

وجعل الشرع العلم سبباً لدخول الجنة، قال ﷺ: «**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة**»[٣]، وفضل الشرع العلماء على غيرهم، ونوّه بفضلهم، فقال الله تعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤]

رابعاً : مصادر العلم

مصادر العلم في الإسلام ثلاثة هي السمع والبصر والفؤاد، وفيما يأتي تعريف عام بها.

١- **السمع**: السمع نعمة من نعم الله تعالى على الإنسان، فعن طريقه يستطيع الإنسان الحصول على كثير من المعارف، وعن طريقه وصل إلينا كثير من معارف الأمم حديثها وقديمها، من الأحداث التاريخية، وعن طريقه وصل الوحي الإلهي للإنسان، ويتعلم الإنسان عن طريق السمع المعلومات التي لم يرها، ولكن رآها غيره، أو انتقل خبرها إليه.

ويدخل في ذلك عالم الغيب الذي يعجز العقل عن إدراكه، وهو الوحي الإلهي الذي جاء به الأنبياء والرسل، عليهم الصلاة والسلام، فمجال السمع هو الخبر الصادق الذي لا يقع تحت التجربة والاختبار.

٢- **البصر**: ومن فضل الله تعالى على الإنسان أن وهب له البصر حتى يرى الأشياء ويعرفها ويتدبرها.

---

(١) سورة المجادلة الآية (١١)
(٢) سورة طه الآية (١١٤)
(٣) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم. سنن الترمذي، كتاب القراءات، باب ١٢ .
(٤) سورة الزمر الآية (٩)

قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾[1]

٣- **الفؤاد: (العقل)**: إذ به تدرك الحقائق والأشياء التي تصله عن طريق السمع والبصر وغيرها من الحواس.

وقد ربط الإسلام بين مصادر العلم السابقة قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[2]

خامساً : طرق طلب العلم

حث الإسلام على طلب العلم لمكانته العظيمة، وقد تنوعت طرق طلب العلم قديماً وحديثاً وفيما يأتي بيان لبعض طرق طلب العلم قديمها وحديثها.

١- الرحلة

اهتم العلماء المسلمون بالانتقال من بلد إلى بلد في طلب العلم لفوائده الجمّة، ومن هذه الفوائد:

أ - التحقق والتثبت من المعلومات التي تصل إلى العلماء، وبخاصة علم الحديث، إذ كان علماء الحديث ينتقلون من مكان إلى آخر، ومن إقليم إلى آخر، قاطعين المسافات الشاسعة، متحملين المشاق لأجل التثبت من حديث أو خبر.

ب - نشر العلم الذي حصله العالم، فبخروج العالم إلى بلد آخر يحمل معه علمه، ويلقيه على الآخرين فينتفعون به.

جـ - التمكن من الجوانب العلمية، إذ بالرحلة يتسع أفق الإنسان ويطلع على مسائل جديدة لم تكن معروفة لديه، لعدم توافرها في بلده أو بيئته، ويؤدي هذا الاطلاع إلى تغيير الاجتهادات مثلما حصل مع الإمام الشافعي الذى أفتى في مسائل في العراق، ولما انتقل إلى مصر أفتى بغير ما أفتى به في العراق، لاختلاف البيئة.

ومن الصور المعاصرة للرحلة في طلب العلم السفر إلى المؤتمرات العلمية والندوات والمجامع الفقهية التي تعقد في البلاد المختلفة ويدعى إليها المختصون وكذلك السفر لإكمال الدراسة خارج البلد الواحد.

د - إتاحة الفرصة للتعارف بين العلماء، وهذا يقوي الصلة والتعاون بين العلماء المسلمين ويثمر نتائج طيبة للعالم الاسلامي.

وقد صنّف العلماء المسلمون اهتماماً منهم بالرحلة في طلب العلم مؤلفات في ذلك منها: (الرحلة في طلب الحديث) للخطيب البغدادي.

وقيل في فوائد السفر:

سافر، تجد عوضاً عمن تفارقه ... وانصب، فإن لذيذ العيش في النصب
أني رأيت وقوف الماء يفسده ... إن سال طاب، وإن لم يجر لم يطب
والأُسْدُ لولا فراق الغاب ما افترست ... والسهم لولا فراق القوس لم تصب
والتبر كالترب ملقى في أماكنه ... والعود في أرضه نوع من الحطب

---

(١) سورة الغاشية الآيتان (١٧، ١٨)

(٢) سورة الإسراء الآية (٣٦)

٢- **الملازمة**: وهي الجلوس إلى العلماء لتحصيل العلم، وتكوين الشخصية العلمية للمتعلم، وقد كان المتعلم في العصور الإسلامية الأولى يلازم عالماً يأخذ عنه العلم ثم ينتقل إلى غيره وقد سار على هذا النهج فقهاء المسلمين وعلماؤهم فعلى سبيل المثال سئل الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى كيف تَعَلَّم ودَرَس؟ فقال: «كنت في معدن العلم والفقه فجالست أهله، ولزمت فقيهاً من فقهائهم».

وينبغي على طلبة العلم ملازمة معلميهم والإفادة منهم والحرص على حضور دروسهم ومحاضراتهم.

٣- **الالتحاق بالمؤسسات التعليمية**: يمكن للطالب الالتحاق بواحدة من هذه المؤسسات أو بها كلها طالباً للعلم حسب قدراته العلمية، والمؤسسات التعليمية متنوعة ومتعددة بحيث تناسب كل فئات الأعمار، وقدرات الطلبة على التحصيل العلمي، فهناك الكتاتيب (دور تحفيظ القرآن الكريم في عصرنا هذا) التي تعنى بتعليم القرآن الكريم وهناك المدارس الأساسية والثانوية، ثم المعاهد المتوسطة والجامعات، وتعمل هذه المؤسسات التعليمية على تقديم العلم والمعارف للطلبة على اختلاف أنواعها، والارتقاء بالمستوى التعليمي للطلبة حتى يكونوا على درجة كبيرة من الوعي والمعرفة.

٤- **التعلم عن طريق وسائل الاتصال المعاصرة**: نظراً لتطور الحياة فقد ظهرت وسائل معاصرة يمكن الإفادة منها لنشر العلم بين الناس ليصل إلى كل فئات المجتمع، ومن هذه الوسائل الإذاعة، والتلفاز، والصحافة، وأشرطة التسجيل، والحاسوب، والشبكة المعلوماتية (الإنترنت)، إذ يمكن بهذه الوسائل وغيرها نشر العلوم الشرعية منها والدنيوية، فتصل إلى كل أفراد المجتمع، فيفيدون منها بما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالخير.

الأسئلة

١ - ما المقصود بالمفاهيم الآتية: العلم، طلب العلم، الملازمة؟
٢ - اذكر ثلاثاً من فضائل العلم تعود على المجتمع.
٣ - اذكر دليلين شرعيين يحثان على طلب العلم.
٤ - ما حكم الشرع في تعلم العلوم الدينية، والعلوم الدنيوية؟
٥ - السمع من مصادر العلم ونشره، بين ذلك.
٦ - من طرق طلب العلم الرحلة، وضح ذلك.
٧ - من فوائد الرحلة في طلب العلم التمكن من الجوانب العلمية، وضّح ذلك.
٨ - الملازمة لطلب العلم من طرق تحصيل العلم، بيّن ذلك.
٩ - كيف تفيد من وسائل الإعلام في نشر العلم؟
١٠- قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

أخي لن تنال العلم إلا بستة ... سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة ... وصحبة أستاذ وطولِ زمانِ

- وضح من خلال البيتين السابقين متطلبات التعلم الجيد في نظر الإمام الشافعي.

الدرس الثاني

أقسام العلوم عند المسلمين

يعمد الباحث في أي علم من العلوم إلى تحديد مكوناته، وعلاقته بالعلوم الأخرى معتمداً في ذلك على الوحدة الموضوعية أو التشابه بين أصناف العلوم المتعددة، فيجعل كل صنف من العلوم المتشابهة في قسم مستقل ويعطيه اسماً خاصاً، وقد قام العلماء المسلمون بتقسيم العلوم إلى عدة أقسام هي:

أولاً: أقسام العلوم من جهة الموضوع

١- **علوم دينية**: وهي التي تتعلق بأمور الدين وتعاليمه وقيمه وأحكامه، وتنظم علاقة الإنسان بخالقه وبنفسه وبالآخرين أفراداً وجماعات، وتنظم العلاقات بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول.

٢- **علوم دنيوية**: وهي التي تتعلق بأمور الدنيا التي يحتاج الناس إليها حتى تستقيم حياتهم وتزدهر، ويتمكنوا من الاستمرار في عيشهم، مثل علم الطب، والهندسة، والصناعات المختلفة التي لا غنى للأفراد والمجتمع عنها، ودونها يقع الناس في المشقة والحرج.

ثانياً: أقسام العلم من جهة وجوب التعلم

قسم العلماء العلم من هذه الجهة إلى قسمين هم:

١- **ما كان تعلمه فرض عين على كل مسلم ذكراً كان أو أنثى**، مثل العلم بأن الله واحد، واتصافه بصفات الكمال، والعلم بفرائض الإسلام، وحلاله وحرامه مما يحتاج إليه المسلم في حياته ومعاملاته، فكل ما كان معلوماً من الدين بالضرورة كان تعلمه واجباً على كل مسلم مكلف.

٢- **ما كان تعلمه فرض كفاية**، وهو العلم الذي ترتبط به مصالح الناس والمجتمع ويترتب على تركه حرج للناس، كالطب، والحساب، والصناعات، والهندسة، والفلك، فلا يجوز أن يخلو بلد من هذه العلوم حتى لا يقع الناس في حرج، لأن الشريعة جاءت لرفع الحرج عنهم، قال الله تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾(١)

وبتعلُّم هذه العلوم تقوى الأمة وتكون لها الرفعة والتقدم وتكون عزيزة مهيبة الجانب.

---

(١) سورة الحج، الآية (٧٨)

نشاط

ناقش مع زملائك الفرق بين فرض العين وفرض الكفاية.

ثالثاً : أقسام العلوم من جهة مصدرها

قسم العلماء العلوم من هذه الجهة إلى قسمين هما:

١- **علوم نقلية**: وهي التي وصلت إلينا عن طريق الوحي، وأصل هذه العلوم كلها الكتاب والسنة وقد تفرع عنها علومٌ كثيرة، منها علوم التفسير، والحديث، وأصول الفقه، والفقه، والقراءات. وسميت هذه العلوم علوماً نقلية على اعتبار أن مصدرها الكتاب والسنة وهما الدليلان المنقولان عن الوحي.

٢- **علوم عقلية**: وهي التي يهتدي إليها الإنسان بفكره وتجاربه، فيعرف موضوعاتها، ومسائلها، وبراهينها، ووجوه تعليمها، مثل الرياضيات، والهندسة، والحساب، وغيرها، والتي تخاطب العقل وتحثه على التفكير، بخلاف العلوم الغيبية المتعلقة بالملائكة والجنة والنار والآخرة التي لا قِبَل للعقل بالوصل إليها منفرداً.

الأسئلة

١- بين أقسام العلوم من الوجوه الآتية:
الموضوع، وجوب التعلم، المصدر

٢- عرِّف المفاهيم الآتية:
أ - العلوم النقلية.
ب- العلوم العقلية.

٣- بَيّنَ العلماء أن بعض العلوم لا يجوز أن تخلو منها الأمة حتى لا يقع الناس في الحرج، وضح ذلك.

الدرس الثالث

مناهج البحث عند المسلمين (المفهوم والخصائص)

يحتاج الكشف عن حقيقة علمية، أو بيان حكم شرعي في مسألة معينة، أو الحكم على قضية منطقية إلى منهج محدد يتبعه العالم للوصول إلى هذه الأمور، فما المراد بمنهج البحث؟ وما خصائصه؟

أولاً : مفهوم المنهج

المنهج لغة: الطريق، قال الله تعالى ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[1]

والمنهج اصطلاحاً: الطريق الذي يسلكه العالم في تقصّيه للأمور في أي فرع من فروع المعرفة، وفي أي ميدان من ميادين العلوم النظرية والعملية.

ويفهم من ذلك أن لكل علم من العلوم سواء كانت نظرية أو تطبيقية منهجه الخاص بالبحث فيه.

ثانياً : خصائص مناهج البحث عند المسلمين

امتازت مناهج البحث عند المسلمين بعدة ميزات منها:

١ – ربانية الغاية: ويقصد بذلك أن الدافع إلى البحث لدى المسلمين هو امتثال أمر الله عز وجل وطلب مرضاته حيث جعل طلب العلم فرضاً على كل مسلم ومسلمة، ودعا الإسلام الإنسان إلى التفكير في الظواهر الكونية، وربط الأحداث بعضها ببعض للوصول إلى النتائج حتى يكون الإنسان على بيّنة من أمره، وقد تعددت الآيات الكريمة الداعية إلى ذلك منها قول الله تعالى :

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[2]

وقد فهم المسلمون هذا التوجه الإلهي فجعلوه منطلقهم في البحث، وساروا على نهجه في دراستهم للعلوم على اختلافها، فكان الدين منطلقهم لدراسة العلوم وفهمها وتسخيرها لمصلحة البشرية ونفعها.

---

(١) سورة المائدة، الآية (٤٨). والشرعة في اللغة الطريق الذي يوصل إلى الماء، والشريعة ما شرع الله للناس من أحكام.

(٢) سورة البقرة، الآية (١٦٤).

٢- **الواقعية**: حثّ الإسلام على البحث في الأمور ذات الصلة بواقع الحياة، بحيث يمكن للعقل الإنساني إدراكها، أما عالم الغيب، فلم يكن من الأمور الخاضعة للبحث العلمي عند المسلمين لأن الإنسان لا يصل فيه إلى نتيجة بعقله المجرد مثل الجنة والنار والملائكة، ويعتمد المسلمون في أمور الغيب على الوحي الذي هو المصدر الوحيد لها، وما عدا ذلك من العلوم يخضع للبحث العلمي دراسة وتحقيقاً وتمحيصاً.

٣- **الموضوعية**: يؤكد الإسلام على الباحث أن يرى الحقيقة كما هي لا كما يريد أن يراها، بمعنى أن يكون الباحث محايداً، لأن الهدف من البحث الوصول إلى الحقائق سواء أوافقت هواه أم لم توافقه، فالعلم عبادة، ويحتاج ذلك إلى الإخلاص والتجرد، ولقد نهى الإسلام عن اتباع الهوى، قال الله تعالى:

﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]

نشاط

هل تستلزم الموضوعية تجرد المرء عن كل فكرة عقلية سابقة خاصة بالشيء المراد ملاحظته أو إجراء التجارب عليه؟ ولماذا؟

٤- **الشمول**: امتازت مناهج البحث عند المسلمين بالشمول، فقد وضع العلماء المسلمون قواعد لتحصيل شتى العلوم، مراعين في مناهجهم طبيعة كل علم من العلوم على حدة، فكان لكل مجال من مجالات العلوم منهج خاص للوصول إلى حقائقه، فهناك المنهج القياسي، والمنهج الاستقرائي، وغيرهما مما عرف المسلمون من مناهج البحث، ولقد كشفت البحوث العلمية الحديثة حقيقة تنوع المناهج بتنوع البحوث والغايات.

الأسئلة

١- عرّف المنهج لغة واصطلاحاً.

٢- عدّد ميزات مناهج البحث عند المسلمين.

٣- من خصائص مناهج البحث عند المسلمين ربانية غايتها، وموضوعيتها، وضِّح هاتين الخاصيتين.

٤- امتازت مناهج البحث عند المسلمين بالشمول، بَيِّن ذلك.

(١) سورة البقرة، الآية (١٤٥).

الوحدة التاسعة

علم التوحيد (العقيدة الإسلامية)

وتشتمل هذه الوحدة على:

- توحيد الله تعالى.
- العقيدة الإسلامية (مفهومها، منهج القرآن في بنائها).
- التقليد في العقيدة.
- الأدلة على وجود الله تعالى (١) (دليل الفطرة ودليل السببية).
- الأدلة على وجود الله تعالى (٢) (دليل الإتقان).
- ارتكاب الكبائر.
- عصمة الأنبياء.
- عموم رسالة سيدنا محمد ﷺ وختمها للرسالات.
- دعاء الأحياء للأموات وقبول الصدقات عنهم.

الدرس الأول

توحيد الله تعالى

توحيد الله عز وجل هو الهدف العظيم الذي نزلت من أجله الرسالات الإلهية إلى الأمم والشعوب، ليكونوا عباداً لله تعالى وحده، فما معنى التوحيد؟ وما أنواعه؟ وكيف نرد على من ينكر وحدانية الله تعالى؟

أولاً : تعريف التوحيد

التوحيد لغة: الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد.

التوحيد اصطلاحاً: الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى واحد في ذاته وأفعاله وصفاته، فهو الخالق المتصرف في الوجود، المستحق للطاعة المطلقة، المتصف بصفات الكمال، المنزه عن صفات النقص والاحتياج.

ثانياً : أنواع التوحيد

الإيمان بالله سبحانه يتضمن توحيده في ثلاثة أمور، في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته، وفيما يأتي تبيين لذلك :

١- **توحيد الربوبية**: وهو الاعتقاد الجازم بأن الله عز وجل هو الفاعل المطلق في الكون بالخلق والتدبير، والإحياء والإماتة، وغير ذلك من الأفعال، لا يشاركه أحد في فعله سبحانه وتعالى.

٢- توحيد الأُلوهية: وهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو وحده المستحق للعبادة، فهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، وهذا التوحيد مبني على إخلاص العبادة لله في كل عمل يقوم به المسلم. وتوحيد الألوهية يتضمن جميع أنواع التوحيد، فهو يتضمن توحيد الله في ربوبيته، وتوحيده في أسمائه وصفاته، والسبب في ذلك أن من يفرد الله في العبودية يؤمن بأنّ الله رب العالمين، وأن له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة.

٣- **توحيد الأسماء والصفات**: ومعناه الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى متصف بجميع صفات الكمال، وأنه منزه عن جميع صفات النقص ويتحقق ذلك بأن نثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه في القرآن الكريم، وما أثبته له الرسول ﷺ من الأسماء والصفات الواردة في السنة النبوية الشريفة، فيجب علينا أن نثبت لله أنه سميع بصير، عليم، رحيم، قال الله تعالى:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ لَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[2]

---

(١) سورة الشورى، الآية (١١).

(٢) سورة الإخلاص، الآية (٤).

ثالثاً : الرد على منكري وحدانية الله تعالى

عرفت أن صفة الوحدانية من أهم صفات الله تعالى فهو واحد في ذاته وصفاته وفي أفعاله، وهو - وحده - الإله الحق، وهذا يعني نفي التعدد عنه. والأدلة على منكري التوحيد كثيرة من النقل والعقل، أما الأدلة النقلية من القرآن فهي كثيرة. منها قوله تعالى:

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[1]

وتدل هاتان الآيتان أنه لا توجد آلهة تشارك الله في خلق الكون وتدبيره، وذلك أن وجود الآلهة المتعددة يؤدي إلى فساد الكون كله، فلو كانا اثنين وأراد أحدهما أمراً، فالثاني إن كان مضطراً إلى مساعدته كان هذا الثاني عاجزاً ولم يكن إلهاً قادراً، وإن كان قادراً على مخالفته ومدافعته، كان الثاني قوياً قاهراً، والأول ضعيفاً قاصراً. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[2]

ومنها قوله تعالى : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[3]

وتنفي هذه الآية وجود آلهة متعددة، ذلك أنه لو كان مع الله إله خالق، لجمع كل خالق مخلوقاته، وتصرف بها كما يشاء تصرفاً مستقلاً، ولا بد أن يحدث خلاف بين الآلهة المتعددة، فقد يريد واحد منهم أمراً ويريد آخر عكسه فيكون النزاع، ثم يكون علو بعضهم على البعض الآخر، إذ يتغلب الأقوى على الأضعف، ولا يستحق الأضعف أن يكون إلهاً.

وهذه الأدلة النقلية تخاطب العقل الإنساني كما ترى، فهي أدلة نقلية وعقلية، وهناك أدلة عقلية كثيرة في هذا الكون شاهدة على وحدانية الله رب العالمين

الأسئلة

١- ما المقصود بالمصطلحات الآتية:
التوحيد، توحيد الالوهية، توحيد الأسماء والصفات؟
٢- ما السبب في أن توحيد الألوهية يتضمن أنواع التوحيد الأخرى؟
٣- اذكر دليلاً من القرآن، ودليلاً من العقل على وجوب التوحيد.

(١) سورة الأنبياء، الآيتان (٢١، ٢٢).
(٢) سورة الإخلاص، الآيات (١ - ٤).
(٣) سورة المؤمنون، الآية (٩١).

الدرس الثاني

العقيدة الإسلامية
(مفهومها، منهج القرآن الكريم في بنائها)

العقيدة الإسلامية عقيدة ربانية، مصدرها الوحي الإلهي، أنزلها الله تعالى لتوجيه الناس إلى الهدى والنور، وإنقاذهم من الضلالات والأوهام، فما العقيدة؟ وما منهج القرآن الكريم في بنائها؟

أولاً: مفهوم العقيدة الإسلامية

يُقال في اللغة عقد الشيءُ، أي اشتد وصلب، ويقال: اعتقد فلان الأمر أي صدقه، وعقد عليه قلبه.

وأما معنى العقيدة في الاصطلاح: فهي الإيمان الجازم الذي لا يخالطه شك أو ريبة. وقد ورد الإيمان في الحديث الشريف بمعنى العقيدة، عندما سأل جبريل رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(١).

والعقيدة الإسلامية وحدها هي التي تجيب عن التساؤلات التي شغلت ولا تزال تشغل بال الإنسان وفكره: من أين جئت؟ ومن أين جاء هذا الكون؟ ومن الموجِد؟ وما صفاته؟ ولماذا خُلقنا؟ ولماذا خُلق الكون؟ وما دورنا في هذا الكون؟ وما علاقتنا بالخالق الذي خَلقنا؟ وهل هناك عوالم غير منظورة وراء هذا العالم المشهود؟ وهل هناك مخلوقات عاقلة مفكرة غير هذا الإنسان؟ وهل بعد هذه الحياة من حياة أخرى نصير إليها؟ وكيف تكون تلك الحياة؟

كل هذه الأسئلة وأمثالها لا توجد عقيدة تجيب عنها إجابات صادقة مقنعة سوى العقيدة الإسلامية.

والاعتقاد السليم يركز في النفس الإنسانية سبب وجودها ودورها في هذا الوجود، وفرق كبير بين من يعلم فيعيش مطمئناً، وبين من لا يعلم فيعيش في بؤس وشقاء، وصدق الله العظيم:

﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢)

واعتقاد المسلم بأركان الإيمان يجيب عن كل التساؤلات السابقة، وهذه الأركان في نظر الإسلام كلٌّ لا يتجزأ، وكل من كفر بواحدة منها، أو بجزئية من لوازمها مما ثبت في القرآن صراحة أو في السنة، فقد حبط عمله، ولا يقبل منه إيمانه ببقية الأركان، وذلك لأنها سلسلة مترابطة الحلقات.

ثانياً: منهج القرآن الكريم في بناء العقيدة الإسلامية

بنى القرآن الكريم العقيدة في النفس الإنسانية على أساسين، الفطرة، والعقل، وفيما يأتي توضيح ذلك:

١ – **الفطرة**: وهي الإحساس الذي خلقه الله في النفس الإنسانية بوجود الله والحاجة إليه، قال الله تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾(٣)

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان.

(١) سورة الملك، الآية (٢٢).

(٢) سورة الروم، الآية (٣٠).

٢- **العقل**: يولد القرآن الكريم لدى الإنسان ملكة التدبر لما حوله، ويدعو العقل إلى النظر والتأمل في مظاهر عظمة الله تعالى عن طريقين هما:

أ - **النظر في الكون**: نصوص القرآن الكريم تبين أن في الكون حشداً هائلاً من الظواهر التي تدل على الله، وتطلب إلى العقل الإنساني النظر والتفكير في هذه الظواهر حتى يصل الإنسان إلى خالقه عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾[١] وقال عز وجل:

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾[٢]

ب- **النظر في النفس**: دعا الله سبحانه الإنسان إلى التفكير في النفس الإنسانية، يقول الله عز وجل

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٣]

فالتناسق الذي نراه في كل مخلوق يدل على الإبداع الإلهي، قال الله تعالى:

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[٤]

ثالثاً : منهج الصحابة في تلقي العقيدة عن الرسول ﷺ

كان الرسول ﷺ المرجع في بيان العقيدة، وقوله الفصل في كل سؤال واستيضاح فيها، معتمداً على ما يوحى إليه من ربه، وقد تلقى الصحابة رضوان الله عنهم العقيدة بصفاتها ونقائها من رسول الله ﷺ، وبعد التحاقه بالرفيق الأعلى بقي المسلمون يسيرون على سنن الرسول ﷺ فيما علمهم، ويمكن تلخيص منهج الصحابة في تلقي العقيدة وفهمها فيما يأتي:

١- عدم الخوض في الأمور التي يعجز العقل الإنساني عن إدراكها، مثل البحث في ذات الله تعالى.

٢- الأخذ بالمعنى اللغوي للآيات المتشابهات في صفات الله دون تشبيه أو تجسيد، وكان دستور الصحابة في ذلك قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾[٥] لا في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله.

٣- الاعتماد على ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

٤- الابتعاد عن الجدل في قضايا العقيدة.

٥- جعل العقيدة أساساً لكل أعمالهم في الحياة، فلم يكن الإيمان عندهم مجرد كلمات ينطقونها أو مجرد علم يتدارسونه بينهم، بل كان يقيناً ظهرت آثاره في سلوكهم في الحياة.

---

(١) سورة الذاريات، الآية (٢٠).
(٢) سورة يس، الآيات (٣٧ - ٣٩).
(٣) سورة الذاريات، الآية (٢١).
(٤) سورة السجدة، الآيات (٧ - ٩).
(٥) سورة الشورى، الآية (١١).

الأسئلة

١- عرِّف المفهومين الآتيين:

أ - العقيدة

ب- الفطرة

٢- بَيِّن أهم التساؤلات التي تجيب عليها العقيدة الإسلامية.

٣- بَيِّن وسيلة القرآن الكريم في بناء العقيدة في النفس الإنسانية.

٤- وضِّح منهج الصحابة في تلقي العقيدة الإسلامية عن رسول الله ﷺ.

الدرس الثالث

التقليد في العقيدة

إن معرفة الله هي أسمى المعارف وأجلها، وهي الأساس الذي تقوم عليه العقيدة كلها، فمنها تفرعت المعرفة بالأنبياء والرسل، وعنها تشعبت المعرفة بعالم الغيب من الملائكة والجن والروح، وعنها انبثقت المعرفة بمصير هذه الحياة وما وراءها من الحياة الأخروية، والعقل من أهم الوسائل التي توصل الإنسان إلى الإيمان بالله تعالى، فلا يسوغ لعاقل أن يلجأ في ذلك إلى التقليد، لما فيه من كف للعقل عن العمل والنشاط، فما معنى التقليد؟ وما حكم التقليد في العقيدة؟ وما موقف القرآن الكريم من التقليد في العقيدة؟

أولاً : مفهوم التقليد في العقيدة

التقليد لغة: وضع القلادة في العنق.

التقليد اصطلاحاً: الاتباع والمحاكاة في القول والعمل دون حجة أو دليل.

ثانياً : موقف القرآن الكريم من التقليد في العقيدة

رفض القرآن الكريم التقليد في العقيدة وعدّه مانعاً للعقل من الانطلاق، ومعوقاً عن التفكير، ولذلك فقد أثنى الله على الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، الذين يخلصون في طلب الحقائق، ويميزون بين الأشياء بعد البحث والتمحيص، فيأخذون ما هو حسن ويَدَعُون غيره بعيداً عن التلقليد الأعمى دون تبصُّر يقول الله تعالى:

﴿..... فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (١)

كما ندّد القرآن الكريم بالمقلدين الذين لا يفكرون إلا بعقول غيرهم، ويجمدون على القديم المألوف، يقول الله عز وجل:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٢)

لقد كان التقليد وما زال من أقوى الأسباب التي تصرف الناس من اتباع الحق بالرغم من وضوح آياته ودلائله، والتمسك بالموروث مع وضوح زيفه وبطلانه، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الله تعالى عن حال الأقوام السابقين الذين رفضوا الإيمان وتمسكوا بالموروث الباطل قال الله تعالى:

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (٣)

---

(١) سورة الزمر، الآيتان (١٧، ٨١).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٧٠).

(٣) سورة الأعراف، الآية (٧٠).

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾(١)

ثالثاً : حكم التقليد في العقيدة

لقد أجمعت الأمة على وجوب معرفة الله تعالى معرفة يقينية لا تحصل بالتقليد، لأن المقلّد ليس معه إلا الأخذ بقول من يقلده، ولا يدري أهو صواب أم خطأ؟

وأيضاً فإن عموم قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾(٢)

وقوله عز وجل : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾(٣) يقضي بمنع التقليد، لأن التقليد هو الأخذ بقول الآخر من غير معرفة دليله، وهو لا يفيد العلم، ومعرفة الناس بخالقهم من الأمور التي فطرت عليها نفوسهم، وجبلت عليها طباعهم، والتقليد مناف تماماً للفطرة، ومناقض للعقل. ولا يجهل فضل العلم، إلا الذين فقدوا عقولهم، أو لا يستعملونها وهؤلاء في حكم الدواب، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾(٤)

ويجدر بالمسلمين أن لا يكونوا مقلدين في إيمانهم، بل عليهم أن يعلموا الأدلة ولو إجمالاً.

الأسئلة

١- ما معنى التقليد في العقيدة؟

٢- بين موقف القرآن الكريم من التقليد، مع الأدلة.

٣- وضح حكم التقليد في العقيدة، مع التعليل.

---

(١) سورة هود، الآية (٥٣).

(٢) سورة الإسراء، الآية (٣٦).

(٣) سورة محمد، الآية (١٩).

(٤) سورة الأعراف، الآية (١٧٩).

الأدلة على وجود الله تعالى (١)
(دليل الفطرة ودليل السببية)

الإيمان بوجود الله تعالى هو المحور الذي تدور حوله أمور العقيدة كلها، والأدلة على وجود الله تعالى كثيرة، لا حصر لها، فإن في كل ذرة من ذرات الكون خلقاً متقناً، ونظاماً بالغ الدقة، لا يملك كل ذي عقل أمام ذلك إلا أن يخر ساجداً لمن خلق وأبدع . ومن أدلة وجود الخالق دليل الفطرة الإنسانية، ودليل السببية، فما الفطرة؟ وكيف تدل الفطرة الإنسانية على وجود الله تعالى؟ وما السببية؟ وكيف نستدل بها على وجود الخالق عز وجل؟

أولاً : مفهوم الفطرة

الفطرة لغة: هي الخلقة التي يكون عليها كل موجود أول خَلْقه، والطبيعة السليمة التي لم يشبها عيب.
الفطرة اصطلاحاً: الإحساس الذي خلقه الله في النفس الإنسانية بوجود الله والحاجة إليه.

ثانياً : الإيمان بوجود الله أمر فطري في النفس الإنسانية

إذا تأمل الإنسان في نفسه وفي الكون من حوله يعتريه شعور بوجود قوة كبرى، هو في حاجة إليها مهيمنة على الكون، تدبره وتنظمه، وتتصرف فيه بالحياة والموت، والبقاء والفناء، والحركة والسكون، وجميع أنواع التغييرات الحكيمة التي تجري فيه.

إن الإنسان ليشعر بهذه الحقيقة، ويؤمن بها إيماناً عميقاً، سواء استطاع أن يقيم الدليل العقلي على صدق هذا الشعور أم لم يستطع ، فدليل الفطرة شاهد حق يسبق كل الأدلة على وجود الله تعالى.

ومن الأمثلة الفطرية الشاهدة على وجود الخالق عز وجل هداية الطفل حديث الولادة بفطرته الأولى إلى الرضاعة، دون أن يتعلم ذلك من معلم، ودون أن يدركه بدليل عقلي.

وإقدامنا على الأكل بإحساس الجوع سواء علمنا أن الأكل وسيلة من وسائل حياتنا أم لم نعلم.

ومن الإحساسات الفطرية الصادقة فينا، إحساس الإنسان بوجود الخالق، وتلهفه دائماً لمعونته وإمداداته، وشعوره بحاجة هذا الكون الكبير إلى قدرته، وعلمه وحكمته سبحانه.

إنه شعور فطري تشترك بالإحساس به جميع الخلائق المدرِكة، على اختلاف نزعاتها، ومستويات ثقافتها، إنه شعور مشترك بين جميع الناس، يقوم في نفس الطفل الصغير، والإنسان البدائي، والإنسان المتحضر، والجاهل، والعالم، كل هؤلاء يشعرون بشعور مشترك، أن الله هو حقاً واجب الوجود.

ثالثاً: الفطرة في القرآن والسنة

أثبت القرآن الكريم الفطرة الإنسانية في آيات كثيرة منها قوله تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾(١)

وقد بَيَّن رسول الله ﷺ أن المؤثرات التي تحيط بالإنسان كثيرة، قد تجعله ينحرف عن تلك الفطرة السليمة ومن هذه المؤثرات: التربية الأسرية، قال رسول الله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه**»(٢).

والفطرة التي طمستها الذنوب، قد تتبدد عنها الغيوم، وتنقشع عنها السحب إثر الوقوع في مأزق لا تجد فيه من البشر عوناً، فكم من ملحد عاد إلى الله بعد الضلال، عندما وقع في مصيبة، ولم يجد إلا فطرته الأصيلة ترجعه إلى ربه، فلا يجد نفسه إلا وقد رفع يديه يطلب العون والنصرة، يقول الله تعالى عن مثل هذه المواقف:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾(٣)

رابعاً: مفهوم السببية

يشير مفهوم السببية إلى أن شيئاً من المخلوقات لا يحدث بنفسه من غير مُحدث، لأنه لا يحمل في طبيعته السبب الكافي لوجوده، ولا يستقل بإحداث شيء، لأنه لا يستطيع أن يمنح غيره شيئاً لا يملكه هو. وقد صيغت هذه العلاقة في قانون عرف باسم: (قانون السببية).

خامساً: السببية تدل على وجود الخالق

لقد تقرر في العقول أن المخلوق لا بد له من سبب لوجوده، وهذا ما أردكه راعي الإبل في الصحراء عندما قال: (البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدل على العليم الخبير).

وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة عندما أقامت الحجة على المكذبين المنكرين بأمر لا بد للعقول السليمة من الإقرار به وعدم رفضه، قال الله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾(٤)

والناظر في هذا الكون الرحيب، يرى فيه نجوماً وأنهاراً، وبحاراً وأشجاراً، وشمساً وقمراً وهذه كلها قد أتت من أسباب قد أتت من الأسباب إلى أن تصل إلى السبب الأول الذي أوجد هذه الكائنات كلها وهو الله تعالى.

---

(١) سورة الروم، الآية (٣٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات.

(٣) سورة يونس، الآية (٢٢).

(٤) سورة الطور، الآية (٣٥).

الأسئلة

١- ما معنى الفطرة؟

٢- اذكر ثلاثة أمثلة على وجود أمور فطرية في الإنسان.

٣- اكتب آية من القرآن الكريم تتعلق بدلالة الفطرة على وجود الله تعالى.

٤- كيف صَوَّر القرآن الكريم وضع الإنسان عندما يقع في إحدى المصائب؟ هات آية كريمة تدل على ذلك.

٥- قال ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة**» وضِّح معنى الفطرة في الحديث الشريف.

٦- على ماذا ينص قانون السببية؟

٧- كيف تستدل بقانون السببية على وجود الخالق؟

نشاط

اكتب مقالة في حدود صفحة واحدة تبين فيها كيف يتفق العقل مع الفطرة على وجود الله تعالى.

الدرس الخامس

الأدلة على وجود الله تعالى (٢)
(دليل الإتقان)

هذا الكون الفسيح آية كبرى تنطق بوجود الله سبحانه، فهذا الكون لوحة رائعة، متقنة، صنعها الباري سبحانه وتعالى، والإتقان من سمات هذا الوجود جملة وتفصيلاً، وفي موضوعنا هذا نلمس بعضاً من مظاهر الإتقان في الكون مما يقدمه لنا القرآن الكريم ويكشف عنه العلم الحديث.

أولاً : دليل الإتقان في الكون

هذا الكون الذي نعيش فيه، والنجوم التي تتراءى لنا تبهر الأنظار، والأرض وما عليها من عوالم، وبديع تكوينها ببحرها ويابسها، وجبالها وأغوارها، ووديانها وسهولها وصخورها، وعالم النبات الذي يغطي بقاعها، كل ذلك تقف النفس أمامه حائرة تعتريها الرهبة، ويسيطر عليها الإعجاب بالقوة التي تقف وراء تنظيمه بهذه الدقة الظاهرة لكل ذي بصيرة.

والقرآن الكريم يدعو الإنسان إلى التفكير في الكون، للوصول إلى سر هذه القوة المنظمة قال عز وجل :

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[١]

ولا بد أن يقف المتأمل لأسرار هذا الوجود على جملة من الحقائق منها :

١- الدقة البالغة في تنظيم هذا الكون، بحيث إن أي تغير فيه يؤدي إلى الخلل والنقص، والخراب والفساد، فلولا الجاذبية مثلاً لاصطدمت الكواكب والنجوم ولتحطم الكون.

٢- الإتقان المدهش في تكوين الإنسان وخلقه، فعالم التشريح لو أخبرنا عن مخطط جسم الإنسان ومدى الإتقان فيه، لدهشت العقول، فأنت تأكل الطعام مركباً من عناصر زلالية ونشوية ودهنية، فالريق يهضم المواد النشوية، والمعدة تهضم المواد الزلالية كاللحم وغيره، والصفراء تهضم الدهنيات وتحولها إلى زاد للجسم يتغذى به، ويتقوى بما يتولد عنه من طاقة تساعده على القيام بشؤون حياته، فهذا الإتقان والتكامل لا يصدر إلا من إله واحد قادر.

٣- الإتقان البديع في عالم الحيوان، وعالم النبات، فالزهرة مثلاً خلقها الله تعالى بألوان زاهية حتى يأتي النحل فيمص رحيقها، وتأخذ معها حبوب اللقاح لتوصلها إلى زهرة أخرى ليتم التلاقح ويكتمل نمو الأزهار.

والمتبصر في هذا الكون وما فيه من بديع الصنع يستدل على وجود الله تعالى، ويؤمن به، وقد أكد القرآن الكريم ذلك، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾[٢]

---

(١) سورة يونس، الآية (١٠١).

(٢) سورة الأنعام، الآية (٩٥).

إن العقل الإنساني إذا لاحظ الإتقان والحكمة في تنظيم هذا الكون، سيدرك أن الخالق أتقن ترتيبه، وأحسن تنظيمه على هذه الصورة التي تدهش الألباب.

ثانياً : دليل الإتقان في القرآن الكريم

لقد نبَّه القرآن الكريم إلى مضمون هذا الدليل في عديد من آياته، منها قوله عز وجل:

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾(١)

وقوله تبارك وتعالى:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾(٢) وقوله تبارك وتعالى:

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾(٣)

ثالثاً : مظاهر الإتقان التي كشفها العلم الحديث

كلما تقدم العلم، وازدادت المعارف التجريبية، تعرّف الإنسان على دقائق عجيبة من إتقان الصنع في هذه الموجودات الكونية، وازداد إيماناً بالخالق العظيم.

إن هذا الكون يسير وفق نظام دقيق، بل وفق نظام هو غاية في الدقة، ويتمثل هذا النظام بسنن الله الكونية التي وضعها في هذا الكون، والكائنات كلها خاضعة لهذه السنن والقوانين لا تخرج عنها، وأمثلة ذلك كثيرة منها:

١- إن الشمس تبعد عن الأرض (٩٣) مليون ميل تقريباً، وكلنا يشعر بها وهي ترسل بإشعاعاتها إلينا، ووجود الشمس على هذا البعد المكاني، كما يقرر العلم الحديث أمر ضروري لا بد منه، لتكون الأرض صالحة للعيش عليها، ذلك أنها لو كانت أقرب إلينا مما هي عليه الآن إلى النصف مثلاً، لأحرقت كل شيء. وعلى العكس من ذلك، فلو كانت بعيدة عنا أكثر من بعدها الحاضر، لصارت الكرة الارضية كلها قطعة جليد متجمدة، لا يستطيع الإنسان ولا الحيوان ولا النبات العيش عليها، قال تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾(٤) أي وضعها لكل الخلائق الحية النامية.

٢- إن الأرض التي نعيش عليها تدور دورتها اليومية حول محورها بسرعة تبلغ ألف ميل في الساعة الواحدة، وسرعة الأرض بهذه الصورة لا بد منها لبقاء على الأرض، ذلك أن هذه السرعة لو قلَّت، لصار النهار طويلاً جداً، وفي هذه الحالة تؤثر حرارة الشمس على الأرض لطول النهار، فتحرق النباتات.

---

(١) سورة النمل، الآية (٨٨).
(٢) سورة النبأ، الآيات (٦ - ١١).
(٣) سورة عبس، الآيات (١٧ - ٢٢).
(٤) سورة الرحمن، الآية (١٠).

٣- ولو كان حجم الأرض أكبر من حجمها الحاضر أو أصغر لاختل نظام الكون، ذلك لأن حجمها متناسب مع سرعتها ومع دورتها.

٤- ولو كانت قشرة الأرض أسمك مما هي عليه الآن بمقدار بضع أقدام لامتصت ثاني أكسيد الكربون والأوكسجين، وعند ذلك لا يمكن العيش عليها.

٥- الهواء الذي نستنشقه يشكل الأوكسجين منه (٢١٪)، فلو زادت نسبته في الهواء لما استطاعت الكائنات الحية العيش على وجه الأرض.

٦- قانون الجاذبية، أساس في استقرار الإنسان على وجه الأرض، وبقاء النجوم والكواكب في مجراتها، إذ لولاه لاختل نظام الكون الدقيق وتهدَّم ، وانعدمت الحياة.

ألا يحق لنا أمام هذا الكون وما تكشّف لنا من حقائقه أن نؤمن إيماناً راسخاً عن عقل واقتناع بخالقه!؟ ونردد ما جاء في قوله تعالى لتقرير هذه الحقيقة:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝١٩٠ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1]

٧- أنظمة جسم الإنسان كل واحد منها يدل على عظمة الخالق لها، ودقة صنعه وتنظيمه، فهذه الكلية وما تقوم به بشكل منتظم من فصل البول عن الدم بالرغم من حجمها المحدود دليل على الإتقان، وهذا الدماغ وما يقوم به من ملايين الوظائف وما يحتوي من ملايين الخلايا التي تقوم بهذه العمليات دليل على الإتقان.

وهذه الحواس وتركيبها وكيفية عملها، وغيرها الكثير من أعضاء جسم الانسان يدل على عظمة الخالق الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، ونظّم جسمه أحسن تنظيم، ووهب له هذه الأجهزة الدالة على إتقان الله تعالى في خلقه.

نشاط

اكتب في دفترك ثلاثاً من الحقائق العلمية التي تدل على الإتقان في هذا الكون غير ما ورد في الدرس.

الأسئلة

١- بين ثلاثة من مظاهر الإتقان في خلق السماوات والأرض.

٢- نبّه القرآن الكريم على الإتقان في الكون في كثير من آياته، هات دليلاً واحداً على ذلك.

٣- هناك العديد من الأدلة العلمية على وجود الإتقان في الإنسان، بيّن ثلاثة منها.

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان (١٩٠ - ١٩١).

الدرس السادس

ارتكاب الكبائر

الإنسان مخلوق لديه الاستعداد أن يكون مطيعاً لله أو عاصياً له، وقد قسم العلماء المعاصي التي تقع من المسلم إلى صغائر وكبائر، فما الكبيرة، وما الصغيرة؟ وما حكم مرتكب كل منهما؟ وهل يجوز للمسلم أن يكفّر مسلماً إذا ارتكب كبيرة؟

أولاً : تعريف الكبيرة ومعيارها

يُعرِّف العلماء الكبيرة بأنها كل ذنب قرن به وعيد شديد كاللعنة، أو الغضب، أو العذاب الشديد في النار مثل الزنا والسرقة والقذف...

وقد شدّد الله سبحانه وتعالى على بعض المعاصي، وتوعد عليها، وهدّد من يفعلها بأشد العقاب كالربا، والسرقة، والقذف. وقد أخبر الرسول ﷺ عن بعض المعاصي أنها من الموبقات، أي المهلكات، وذكر شيئاً منها وسمّاها الكبائر في عدد من الأحاديث، فعن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: كنّا عند رسول الله ﷺ فقال: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر «ثلاثاً»: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وشهادة الزور**»[1] وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: يا رسول الله: وما هنّ؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات**»[2].

ثانياً: حكم مرتكب الكبيرة

هناك صنفان من الناس ممن يرتكب الكبائر، صنف يعمل الكبيرة وهو معتقد حرمتها، فإن مات من غير توبة، فإنه يُعذب في النار حسب معصيته، ثم يدخل الجنة، فهو لا يخلد في النار، ولكن إذا تاب مرتكب الكبيرة توبة نصوحاً أو أوقعت عليه العقوبة الدنيوية الخاصة بالكبيرة فإن الله يغفر له ذنبه ويدخله الجنة دون عقاب، والصنف الثاني يعمل الكبيرة وهو مستحل لها غير مؤمن بحرمتها، فإن مات وهو على هذه الحال، مات كافراً وخُلّدَ في النار.

ثالثاً : أثر ارتكاب الكبيرة في الإيمان

وإذا كان أهل السنة يقرّون بأن المعاصي من كبائر الذنوب لا تُوقع صاحبها في الردة، إن لم تقترن بسبب من

---

(١) صحيح مسلم، باب الكبائر وأكبرها.

(٢) صحيح مسلم، باب الكبائر وأكبرها.

أسباب الكفر فإنهم يقولون: إنَّ فعل المعاصي يؤثر في الإيمان، ويؤدي إلى نقصه، بل إن الإكثار من مقارفة المعاصي قد يؤدي إلى الوقوع في الكفر والردة، بإنكار بعض ما جاء به الرسول ﷺ لتبرير مقتضيات الهوى والشهوة، ولأن اتباع الشهوات، واقتراف الذنوب والمعاصي يميت القلب إذا كثر، فيغدو العاصي يسوغ لنفسه كل ما يفعله، حتى يوقعه في استحلال المعاصي، فيؤدي بصاحبه إلى الكفر.

رابعاً : الاحتياط في تكفير المسلم

ينبغي على المسلم أن لا يتعرض أو ينشغل بتكفير المسلمين أشخاصاً أو هيئات لمجرد أفعال أو أقوال صدرت عنهم، لأن أمر التكفير ليس سهلاً فهو يتطلب التثبت، والاطلاع على نياتهم وسرائرهم وهذا أمر لا يطلع عليه إلا الله تعالى. وقد حذرت الشريعة من الوقوع فيه.

ومن هنا وجب الاحتياط في تكفير المسلم، إلا أن يصدر منه الكفر الصريح الذي ليس له تأويل معقول سوى الكفر كأن ينكر أن القرآن الكريم من عند الله تعالى، أما من الناحية العملية، فإن الحكم بالكفر على شخص معين في المجتمع الإسلامي يكون من جهات مختصة كالقضاء.

تعلم:

الصغيرة: هي الذنب الذي لا يكون فيه ترك فريضة، ولا ارتكاب ما فيه حَدّ.

الأسئلة

١- عرف الكبيرة اصطلاحاً.

٢- هل اقتراف المعصية يؤدي بصاحبه إلى الكفر؟ لماذا؟ وضّح ذلك مع الدليل.

٣- هل يؤثر اقتراف المعصية على الإيمان؟

٤- بين الحكمة من الاحتياط في تكفير المسلم.

نشاط

ارجع إلى كتاب الكبائر للذهبي، واكتب عدداً من الكبائر ذكرت في الآيات والأحاديث.

عصمة الأنبياء

يتصف الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام بصفات تميزهم عن بقية البشر، ومن الصفات المهمة التي يتصفون بها صفة العصمة، فما معنى العصمة؟ وما الحكمة منها؟ وما الأمور التي تكون فيها؟ وما ضرورتها للرسل والأنبياء؟

أولا : معنى العصمة

العصمة في اللغة: المنع . ومنه قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1] أي يمنعك من القتل ويحفظك من أن تقتل، وأما العصمة في الشرع فهي: حفظ الله لأنبيائه ورسله من الوقوع في الذنوب والمعاصي، ومما لا يليق بهم من الصفات والأفعال كالتقصير في التبليغ، أو كتمان الرسالة، والبخل والجبن، والخيانة وما شابه ذلك.

فالرسل عليهم الصلاة والسلام معصومون، وتتمثل عصمتهم في بعدهم عن اقتراف المعاصي، وعزوفهم عن المحرمات، واجتنابهم لكل ما يُخل بالكرامة، أو يحط من قَدرالإنسان، فهم صلوات الله عليهم أكمل الناس خُلُقاً، وأزكاهم عملاً، وأعطرهم سيرة.

ثانياً : الحكمة من العصمة

شاءت حكمة الله تعالى أن يكون الأنبياء معصومين، لأنهم القدوة لأقوامهم في تَمثُّل ما أمرهم الله به، وما يصدر عنهم من أقوال وأفعال، وهم الأسوة الحسنة بشهادة الله لهم، ولذلك أمر الله عز وجل بالاقتداء بهم، والتخلق بأخلاقهم، والسير على منهاجهم في جميع شؤون الحياة قال الله تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾[2]

لذا وجب أن تكون كل اعتقادات الأنبياء، وأفعالهم، وأقوالهم وأخلاقهم بعد الرسالة نابعة من أوامر الله تعالى وشرائعه، من غير أن يداخلها شيء من معصية الله تعالى.

---

(١) سورة المائدة، الآية (٦٧).

(٢) سورة الممتحنة، الآية (٦).

ثالثاً : الأمور التي تكون فيها العصمة

وعصمة الأنبياء في عدة أمور منها :

١ – **الأمانة في التبليغ**: ويقصد بها أن يبلغ الرسل ما أنزل عليهم من الوحي فلا يكتمون شيئاً مما أوحاه الله تعالى إليهم، فكل رسول مكلف بتبليغ الدعوة والرسالة، ولا يمكن لأحد من الرسل أن يزيد حرفاً على ما نزّل عليه أو ينقص حرفاً مما نزل عليه، لأنه يكون قد خالف أمر الله تعالى في التبليغ، وخان الأمانة التي عُهدت إليه.

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[١]

٢ – **العصمة من الوقوع في المعاصي**: فالأنبياء جميعاً معصومون من ارتكاب المعاصي، فلا تجوز المعاصي بحقهم لأنهم قدوة للناس، ولا يتنافى مع عصمة الأنبياء صدور بعض الأمور التي عاتبهم الله عليها، والتي هي من باب خلاف الأَوْلَى مثل موقف النبي ﷺ من عبد الله بن أم مكتوم، وموقفه من الأخذ بفداء الأسرى يوم بدر. لأن هذه الأمور تأكيد على بشرية الرسل عليهم السلام، وأنهم يتلقون من الله تعالى، وأنهم قد يغيب عنهم ما لم ينبههم إليه الوحي الإلهي، وهم غير معصومين من الوقوع في الخطأ فيما يتعلق بأمور الدنيا مثل قصة تأبير النخل.

رابعاً : ضرورة العصمة للرسل والأنبياء

إن العقل والشرع يؤكدان ضرورة العصمة للأنبياء والرسل لما يأتي :

١- سمو رسالة الرسول التي تدعو إلى الفضيلة والأعمال (الصالحة) تقتضي أن لا يقوم صاحبها بعمل المعاصي والمنكرات.

٢- كونهم قدوة للناس في أقوالهم وأفعالهم، ولن تتحقق القدوة إلا بعصمتهم حيث يسارع الناس إلى الاستجابة لهم والتأثر بهم.

نشاط

بيّن سبباً آخر لضرورة العصمة واكتبه في دفترك.

---

(٢) سورة النجم، الآيتان (٣-٤).

الأسئلة

١- العقل والشرع يُلزمان القول بعصمة الأنبياء، وضّح ذلك.

٢- علّل ضرورة موافقة اعتقادات الأنبياء وأفعالهم لأوامر الله تعالى.

٣- وضّح سببين لضرورة عصمة الرسل والأنبياء.

٤- عصمة الأنبياء تكون في عدة أمور منها: العصمة في التبليغ، بين ذلك.

٥- الأخطاء البشرية لا تنافي العصمة، وضّح ذلك.

الدرس الثامن

عموم رسالة سيدنا محمد ﷺ وختمها للرسالات

خص الله تعالى نبينا محمداً ﷺ بعدة مزايا وخصائص منها: عموم دعوته لجميع الأمم إلى يوم القيامة، وعالمية رسالته، وختمها للرسالات الإلهية السابقة. فما معنى ذلك؟ وما الذي يميز رسالته عليه الصلاة والسلام لتكون لكل الأمم؟

أولاً : عموم رسالة سيدنا محمد ﷺ وأدلته

عموم الرسالة: يعني أن رسالة سيدنا محمداً ﷺ – وهي الإسلام – جاءت للناس جميعاً، وأنه مبعوث إلى عامة الجن. قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾(١)

وقال : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾(٢)

وقال ﷺ: **(فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكَلِم، ونُصِرْتُ بالرعب، وَأُحِلت لي الغنائم، وجُعِلَت ليَ الأرضُ طهوراً ومسجداً، وأُرسلتُ إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبيون)**(٣).

وحكى القرآن قول الجن :﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾(٤)

نشاط

اكتب في دفترك آية كريمة أخرى تدل على عموم رسالة سيدنا محمد ﷺ.

واقتضت حكمة الله تعالى أن تكون رسالات الرسل السابقين خاصة بأقوامهم قال تعالى :

﴿ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٖ ﴾(٥) وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ ﴾(٦) وقال تعالى :

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗا ﴾(٧) وقال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا ﴾(٨)

---

(١) سورة سبأ، الآية (٢٨).
(٢) سورة الأعراف، الآية (١٥٨).
(٣) صحيح مسلم، كتاب المسجد ومواضع الصلاة.
(٤) سورة الأحقاف، الآية (٣١).
(٥) سورة الرعد، الآية (٧).
(٦) سورة هود، الآية (٢٥).
(٧) سورة هود، الآية (٦١).
(٨) سورة هود، الآية (٨٤).

وأن يكون لكل رسالة من الرسالات السابقة شريعة للحياة تناسب حالة القوم الذين أنزلت عليهم وزمانهم وبيئتهم وظروفهم، لصعوبة الاتصال فيما بينهم. لأن النبي لا يقوى على الوصول إليهم جميعاً في آن واحد، قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[1]

وقد وَفَّت الشرائع السابقة بحاجة من أنزلت إليهم، ونظمت حياتهم في مرحلة زمنية محددة، لكنها لم تشمل كل الحلول التي تتطلبها حاجة الناس في كل عصر وزمان، ولما استوى للبشرية تلاقي مجتمعاتهم، ونمو علاقاتها، وانتقالها من المرحلة القبلية إلى المرحلة القومية، كانت الحاجة ماسة إلى شريعة شاملة متكاملة تحقق الغاية من جميع الرسالات، وتنظم جوانب الحياة المتعددة للناس جميعاً على مر العصور والأزمان، وهي الشريعة التي جاءت بها رسالة سيدنا محمد ﷺ .

فعالمية رسالة سيدنا محمد ﷺ تعني أنها رسالة عالمية في أحكامها وتنظيمها جوانب الحياة، ومخاطبتها للناس جميعاً حيثما كانوا على مستوى العالم، دون أن تكون لمرحلة زمنية محددة، أو مقصورة على قوم أو جنس معين من البشر، وهي مستمرة باقية، تكفل الله بحفظها من الزيادة أو النقص إلى يوم القيامة، قال تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[2]

وتتحقق عالمية رسالة الإسلام بحملها رسالة هدى وخير إلى العالم لإخراجه من الظلمات إلى النور، ومن ثم على المسلم أن يدرك واجب الأمة الإسلامية في حمل هذه الرسالة وتبليغها إلى العالم من جديد.

ثانياً : رسالة سيدنا ﷺ خاتمة الرسالات الإلهيه

أرسل الله تعالى كثيراً من الأنبياء والرسل إلى الأمم السابقة، وختم النبوات والرسالات السابقة بنبوة سيدنا محمد ﷺ ورسالته، فكان عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء، ورسالته خاتمة الرسالات، فلا نبي بعده، ولا رسالة بعد رسالته.

ويعني ختم النبوة: الاعتقاد الجازم أن الله تعالى جعل نبوة سيدنا محمد ﷺ آخر النبوات فلا نبي بعده، وكل من ادعى النبوة بعده فهو كذّاب، قال تعالى :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[3]

وقال ﷺ: **(وأنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي)**[4].

أما ختم الرسالة فيعني: الاعتقاد الجازم أن الله تعالى جعل الرسالة الإسلامية آخر الرسالات الإلهية فلا رسالة بعدها.

---

(١) سورة المائدة الآية، الآية (٤٨).

(٢) سورة الحجر، الآية (٩).

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٤٠).

(٤) مختصر صحيح مسلم، ج٢، ص ٢٩٥ .

والحكمة من ختم النبوة بمحمد ﷺ أن العالم أصبح لا يحتاج إلى بعث أنبياء، وإرسال رسل، وتجديد شرائع للناس بعد محمد ﷺ، لأنه لو بُعث رسلٌ وأنبياء فلن يُحْدِثوا شيئاً، ولن يزيدوا على ما جاء به الرسول ﷺ من أسس العقيدة والشريعة، فقد أكمل الله الدين وأتم الشريعة، وحفظها من التحريف والتبديل والضياع.

ومن البدهي الذي لا يقبل الاعتراض أن استمرار القرآن محفوظاً كما أنزل على سيدنا محمد ﷺ مع استمرار بقاء سيرة الرسول وسنته المبينة لمعاني القرآن يمثل استمرار وجود الرسول ﷺ فينا، ولهذا يصح أن نقول إن رسول الله موجود بيننا بما أنزل عليه من قرآن ووحي، وبما أثر عنه من قول وعمل وتشريع.

واعتقاد المسلم الجازم بأنه لا نبي بعد محمد ولا رسالة بعد رسالته، يحصنه ضد ادعاءات المكذبين الذين يدعون النبوة بين الحين والآخر، ويجعله أكثر قدرة على رد أكاذيبهم ودحضها.

الأسئلة

١- ما معنى عموم رسالة سيدنا محمد ﷺ ؟

٢- اذكر دليلاً من القرآن الكريم، ودليلاً من السنة الشريفة على عموم رسالة سيدنا محمد ﷺ .

٣- طبيعة رسالة سيدنا محمد ﷺ جعلت منها رسالة عالمية. وضّح هذا القول.

٤- ما معنى كل من: ختم النبوة، ختم الرسالة؟

٥- لماذا لم يعد العالم بحاجة إلى إرسال الرسل بعد سيدنا محمد ﷺ؟

٦- ماذا تستنتج من قوله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾؟

الدرس التاسع
دعاء الأحياء للأموات وقبول الصدقات والعبادات عنهم

هناك الكثير من الأعمال التي يقوم بها الأحياء من المسلمين تقرباً إلى الله تعالى، رجاء أن يصل ثوابها إلى موتاهم، كالدعاء لهم، وتقديم الصدقات عنهم، وقراءة القرآن على أرواحهم، والحج عنهم، وغير ذلك، فهل يصل ثواب هذه الأعمال للأموات؟ وما حكم استئجار بعض الناس لقراءة القرآن الكريم عن الأموات؟

أولاً: دعاء الأحياء للأموات وتقديم الصدقات وأداء العبادات

ذهب جمهور العلماء من أهل السنة إلى أن الأموات من المؤمنين ينتفعون بأمرين هما:

١- ما فعله الميت في حال حياته من الأعمال الصالحة، واستمر بعد وفاته، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعوا له**»(١).

٢- دعاء المسلمين واستغفارهم للميت، وأداء بعض العبادات عنه، كالصدقة والحج والصيام وغير ذلك.

وأما أداء العبادات ووصول ثوابها للميت، فقد ذهب جمهور العلماء إلى وصولها، ودليل ذلك قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾(٢)

فأثنى سبحانه وتعالى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم، فدلّ على انتفاعهم باستغفار الأحياء.

ودلّ على انتفاع الميت بالدعاء، الدعاء له في صلاة الجنازة، وكذلك الدعاء له بعد الدفن، وكان رسول الله ﷺ يعلّم الصحابة إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنينَ والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية**»(٣).

ويدل على وصول ثواب الصدقة للميت ما ورد أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: «**يا رسول الله، إن أمي افتلتت نفسها ولم توص، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها، قال: نعم**»(٤).

ويدل على وصول ثواب الصوم ما ورد عن عائشة، رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «**من مات وعليه صيام، صام عنه وليه**»(٥).

والمقصود بذلك من مات وكان عليه صيام لم يصمه، بسبب مرض أو سفر، ومات دون أن يقضيه، صام عنه وليه من الأحياء.

---

(١) سنن الترمذي، أبواب الأحكام، باب ما جاء في الوقف.

(٢) سورة الحشر، الآية (١٠).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من مات وعليه صوم.

ويدل على وصول ثواب الحج، أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: «**إن أمي نذرت أن تحج حتى ماتت، أفاحج عنها؟ قال: حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين، أكنت قاضيته؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء**»[1].

وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾[2]

فهوأمر من الله تعالى للمسلم بالدعاء لوالديه ليصل ثوابه إليهما، ولم لم يكن هذا الدعاء مشروعاً لما أمر به الله تعالى.

ثانياً: حكم قراءة القرآن عن الميت

قراءة القرآن الكريم وإهداء ثوابه للميت أمر مشروع كما تقدم، وبخاصة من الولد لوالديه.

وأما استئجار من يقرأ القرآن وإهداء القراءة للميت، فهذا لم يفعله أحد من السلف، وهي من العادات والبدع التي ليس عليها دليل من الشرع.

وأما قراءة القرآن وإهداؤه للميت تطوعاً بغير أجرة فهو أمر مشروع، فهذا يصل إليه، كما يصل ثواب الصوم والحج.

وقد يتساءل بعض الناس، كيف يمكن التوفيق بين وصول ثواب العبادات من دعاء وصدقة وحج إلى الميت مع قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[4]

والجواب: إن ذلك لا يتنافى مع الآيتين الكريمتين المذكورتين، وذلك لأن ما يقوم به الناس من دعاء واستغفار وحج عنه هي من آثار سعيه في حياته، فقد ربي ولداً صالحاً، وأسدى خيراً لإخوانه المسلمين مما جعلهم يذكرونه بعد وفاته بالدعاء والاستغفار، وأداء بعض العبادات عنه.

تعلّم.

افتلتت: ماتت فجأة.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الحج والنذور عن الميت.

(٢) سورة الإسراء، الآية (٢٤).

(٣) سورة النجم، الآية (٣٩).

(٤) سورة يس، الآية (٥٤).

الأسئلة

١- إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة أمور، اذكرها.

٢- ما الدليل على وصول ثواب الحج إلى الميت؟

٣- من مات ولم يستطع صوم رمضان بسبب مرضه، فهل يصل ثواب الصوم عنه؟ ما الدليل على ذلك؟

٤- هل يجوز استئجار قوم لقراءة القرآن عن لميت؟ وضّح ذلك مع الدليل؟

٥- لا يتنافى وصول ثواب الدعاء، وعمل الطاعات للميت، مع قوله تعالى:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[1] وضح ذلك.

---

(١) سورة النجم، الآية (٣٩).

الوحدة العاشرة

علوم القرآن الكريم

وتشتمل هذه الوحدة على:

- علم التفسير .
- ترجمة معاني القرآن الكريم .
- أقسام التفسير .
- نماذج من كتب التفسير .
- إعجاز القرآن الكريم (الإعجاز البياني) .
- إعجاز القرآن الكريم (الإعجاز التشريعي) .
- إعجاز القرآن الكريم (الإعجاز العلمي)
- إعجاز القرآن الكريم (الإعجاز بالإخبار عن الغيب) .

الدرس الأول

علم التفسير

أمر الله تعالى المسلمين بتدبير آيات القرآن الكريم والعمل بها، ولا يتم ذلك إلا بفهم معانيها، والكشف عن مدلول آياتها، والناس بحاجة إلى تفسير القرآن الكريم، فكان بعض الصحابة يفسرون القرآن، وجاء من بعدهم طائفة من العلماء أسهموا في تفسير القرآن الكريم، حيث نشأ علم خاص بذلك سُمِّي علم التفسير، فما مفهوم علم التفسير؟

أولاً : مفهوم علم التفسير

التفسير لغة: الإيضاح والتبين، ومنه قول الله تعالى:

أي بياناً وتفصيلاً. ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾(١)

علم التفسير: هو علم يبيّن معاني آيات القرآن الكريم ويعين على استخراج الأحكام الشرعية منها.

ثانياً : نشأة علم التفسير

١- بدأ علم التفسير في عصرِ النَّبيِّ ﷺ إذ كان الصحابة، رضي الله عنهم، يسألونه عن تفسير بعض الآيات فيفسرها لهم، ومن ذلك أنه لما نزل قول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾(٢)

قال الصحابة: وأينا لم يظلم؟! ففسر النبي ﷺ الظلم الوارد في الآية الكريمة بالشرك مستدلاً بقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(٣)

وكذلك كان يبادر النبي ﷺ بتفسير آيات القرآن الكريم مثل تفسيره ﷺ للقوة في قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾(٤) بالرمي، في قوله ﷺ : **(ألا إن القوة الرمي)**(٥).

٢- ولما التحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى أخذ الصحابة يفسرون القرآن الكريم، ويبيّنون أحكامه للناس، ومن الأمثلة على ذلك ما روى ابن عباس قال: «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه وقال: لم يدخل هذا معنا وإنّ لنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من أعلمكم، فدعاهم ذات يو م فأدخلني معهم، فما رأيت

---

(١) سورة الفرقان، الآية (٣٣).

(٢) سورة الأنعام، الآية (٨٢).

(٣) سورة لقمان، الآية (١٣).

(٤) سورة الأنفال، الآية (٦٠).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه.

أنه دعاني فيهم إلا ليريهم، فقال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾[1] فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم ولم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، فقال: ما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له، قال: إذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك، فسبح بحمد ربك واستغفره، إنه كان تواباً، فقال عمر لا أعلم منها إلا ما تقول»[2].

٣- وبعد اتساع البلاد الإسلامية انتقل الصحابة إلى أرجائها حاملين معهم ما حفظوه عن الرسول ﷺ وما وعوه من العلم، وجلس إليهم الكثير من التابعين، يأخذون عنهم العلم، وينقلونه لمن بعدهم، وفي هذه المرحلة كان التفسير مختلطاً بالحديث النبوي الشريف فلم يكن علماً مستقلاً بذاته.

ثم بدأ فصل الحديث النبوي عن التفسير في القرن الثالث الهجري حيث جُمعت الروايات الخاصة بالتفسير في كتب مستقلة على غرار كتب الحديث، ثم أصبح التفسير علماً قائماً بنفسه، مستقلاً عن الحديث، بوضع التفسير لكل آية من القرآن بحسب ترتيب المصحف، ولم يعتمد المفسرون في تفسيرهم على الروايات وحدها، بل جمعوا إضافة إلى ذلك قضايا اللغة والإعراب والقراءات، واتسع علم التفسير بعد ذلك اتساعاً عظيماً، ويعد الإمام الطبري شيخ المفسرين، يشهد له بذلك كتابه (جامع البيان).

ثالثاً: مصادر التفسير

اعتمد المفسرون عند تفسيرهم للقرآن الكريم المصادر الآتية:

١- **القرآن الكريم**: هو المصدر الأول للتفسير، فمن أراد أن يفسر كتاب الله تعالى عليه أن ينظر في القرآن الكريم أولاً، فيجمع ما ورد منه في موضوع واحد. ثم يقابل الآيات بعضها ببعض، ليستعين بما جاء مسهباً في مكان على ما جاء موجزاً في مكان آخر، وبما جاء مبيناً في موضع على ما جاء مجملاً في موضع آخر، وهكذا. وبذلك يكون القرآن الكريم قد فسر نفسه بنفسه، وهذه مرحلة لا يجوز لأحد الإعراض عنها وتخطيها إلى مرحلة أخرى، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[3] وقد فُسِّر قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[4] بقوله تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾[5]

ثم إن الدم في الآية الكريمة الأخيرة يشمل الدم المسفوح وغيره فجاءت آية كريمة أخرى وبيّنت أن المحرم من الدم هو الدم المسفوح، قال الله تعالى:

---

(١) سورة النصر، الآية (١).
(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة إذا جاء نصر الله والفتح.
(٣) سورة المائدة، الآية (١).
(٤) سورة المائدة، الآية (١).
(٥) سورة المائدة، الآية (٣).

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١)

٢- **السنة النبوية الشريفة**: كان الصحابة رضي الله عنهم يرجعون إلى النبي ﷺ ليبين لهم ما أشكل عليهم من القرآن الكريم، لأن وظيفته ﷺ البيان، قال الله تعالى:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢)

ومن يرجع إلى كتب السنة النبوية يجد أنها أفردت للتفسير باباً من الأبواب التي اشتملت عليها، ذكر فيه ما أثر عن النبي ﷺ من التفسير، ومثال ذلك ما روى البخاري في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾(٣)

فقد فسر النبي ﷺ السبع المثاني بأنها الفاتحة بقوله ﷺ: (الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني)(٤).

وقد بينَت السنة النبوية ما جاء مجملاً في القرآن الكريم كالصلاة حيث بيّنت أركانها وشروطها وعدد ركعاتها وغير ذلك مما يتصل بها، وكالزكاة حيث فصّلت السنة النبوية مقاديرها وشروطها والأموال التي تجب فيها، وكذلك الصوم وغير ذلك بكثير.

٣- **اللغة العربية**: يعتمد تفسير القرآن الكريم على اللغة العربية لأنه نزل بها، قال الله تعالى:

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾(٥)

وهذا يتطلب من المفسر أن يكون عالماً باللغة العربية ودلالاتها، وأساليبها، وعلومها، ليتمكن من تفسير كتاب الله تعالى. وقد ذكر العلماء أن كل تفسير يخالف اللغة العربية لا يعتد به، وحتى يكون مقبولاً لا بد أن يكون موافقاً للغة العربية ولو بوجه من الوجوه.

٤- **الاجتهاد**: يعد الاجتهاد مصدراً من مصادر التفسير إذا كان قائماً على أسس صحيحة، تقوم على معرفة المفسر ما يتصل بالقرآن الكريم، مثل: أسباب النزول، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، والقراءات، والمجمل والمبين وغيرها.

رابعاً : الحاجة إلى علم التفسير

تتمثل الحاجة إلى علم التفسير فيما يأتي:

١- فهم معاني آيات القرآن الكريم، ومقاصده لأنه أساس الحياة الإسلامية. وقد كان الصحابة رضي الله عنهم وهم أهل البلاغة والفصاحة يفهمون ظاهر القرآن الكريم، ويسألون النبي ﷺ عن الأمور الدقيقة فيه، مثل سؤالهم

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١٤٥).

(٢) سورة النحل، الآية (٤٤).

(٣) سورة الحجر، الآية (٨٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم).

(٥) سورة الشعراء، الآيات (١٩٣ - ١٩٥).

النبي ﷺ عن الظلم لما نزل قول الله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾[1]
ففسره بأنه الشرك، وإذا كان الصحابة وهم يعلمون اللغة العربية محتاجين إلى التفسير فنحن أشد احتياجاً إليه.

٢- بيان المراد من الألفاظ المحتملة لأكثر من معنى، مثل الألفاظ المُجملة التي لا يقطع الناس فيها بوجه من وجوه البيان، ومثال ذلك الصلاة التي تحتمل أن يراد بها معنى الدعاء، وأن يراد بها الصلاة المفروضة، فجاءت السنة النبوية وبيّنت أن المراد بالصلاة معناها الشرعي، فقال ﷺ: «**صلّوا كما رأيتموني أصلي**»[2]. وبيّن عدد ركعات الصلاة وأركانها وكيفية أدائها وكل ما يتعلق بها.

٣- استخراج الأحكام الشرعية والعملية والاعتقادية من ألفاظ الآيات الكريمة.

٤- الاسترشاد بتعاليم القرآن الكريم ونُظُمِه بشكل عملي في حياة الفرد والجماعة والتي من شأنها أن تحقق الخير والسعادة والطمأنينة.

خامساً : شروط المفسر

اشترط العلماء في المفسِّر عدة شروط منها :

١- **صحة الاعتقاد**، واستقامة السلوك وفق ما جاء به الدين، والبعد عن الهوى، فإن كان غير مؤتمن في دينه فلا يقبل قوله في التفسير، لأنه إن كان متهماً بالإلحاد لا يؤمن أن يبغي من التفسير الفتنة بين الناس، وإن كان متهماً بالهوى لم يؤمن أن يحمله هواه على تفسير القرآن بما يراه موافقاً لبدعته وهواه.

٢- **معرفة علوم القرآن التي لا غنى عنها لتفسيره**، كالناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم، وأسباب النزول، وغير ذلك من العلوم التي لا يمكن تفسير القرآن الكريم بمعزل عنها.

٣- معرفة السنة النبوية والعلوم المتعلقة بها، مثل التواتر، وتاريخ الرواة، والناسخ والمنسوخ في السنة النبوية الشريفة، وغير ذلك، وما صحّ من تفسيرات الصحابة والتابعين، والقدرة على التمييز بين الصحيح والضعيف منها.

٤- **معرفة اللغة العربية دلالاتها وأساليبها وعلومها**. وفروعها من نحو وصرف، وبلاغة وأساليب بيان، حتى لا يخرج تفسيره عن وجوه اللغة حقيقة أو مجازاً.

٥- **العلم بأحوال الناس**، لأن القرآن الكريم يبيّن كثيراً من أحوال الخلق، وطبائع البشر فلا بد لمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم من المعرفة بأحوال البشر وطبائعهم، وطرق معايشهم، وما في الكون من أسرار أودعها الله تعالى، وتوصل إليها العلم بالكشف عن بعض حقائق هذا الكون.

٦- **القدرة على الموازنة بين أقوال العلماء في التفسير والجمع بينها إن أمكنه ذلك**، والترجيح بينها، وردّ الأمر إلى ما ثبت بالدليل الشرعي، واعتماد ما قوّته الأدلة.

---

(١) سورة الأنعام الآية (٨٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان.

الأسئلة

١- وضّح ما يأتي: التفسير، علم التفسير.

٢- وضّح كيف نشأ علم التفسير زمن الصحابة، رضي الله عنهم.

٣- يقول العلماء: (القرآن يفسر بعضه بعضاً) وضّح هذا القول، واضرب مثالاً على ذلك.

٤- السنة النبوية الشريفة من مصادر التفسير، وضّح ذلك مع ذكر مثال لما تقول.

٥- ما أهمية اللغة العربية في فهم القرآن الكريم؟

٦- لم يحتاج الناس إلى علم التفسير؟ بين ذلك.

٧- وضّح لماذا لا يقبل تفسير المتهم بالإلحاد، وصاحب الهوى.

٨- يشترط في المفسر أن يكون عالماً بأحوال الناس ومتطلبات حياتهم، وضّح ذلك.

٩- عدّد ثلاثة من الشروط الواجب توافرها في المفسر.

ترجمة معاني القرآن الكريم

أنزل الله تعالى القرآن الكريم ليكون كتاب هداية للبشرية جمعاء، وقد أوجب الله تعالى على المسلمين تدبر آيات القرآن الكريم. والعمل بما جاء فيها، وهذا يحتاج إلى فهم دقيق للغة العربية، وليس كل مسلم قادراً على ذلك، بل من المسلمين من لا يعرف اللغة العربية، ولم تتح لهم فرصة تعلمها، فكيف يمكن لهؤلاء أن يتفهموا آيات القرآن الكريم، ويتدبروا معانيها؟

ذهب جمهور العلماء إلى القول بجواز ترجمة معاني القرآن الكريم للمسلمين من غير العرب حتى يتسنى لهم فهم أحكام دينهم وفهم معاني القرآن الكريم، فما المراد بترجمة معاني القرآن الكريم؟ وما شروطها؟ وما حكمها؟

أولاً : مفهوم ترجمة معاني القرآن الكريم

الترجمة لغة: تطلق على معنيين، الأول: نقل الكلام من لغة إلى أخرى. والثاني: تفسير الكلام وبيان معناه بلغة أخرى.

الترجمة اصطلاحاً: تطلق على معنيين :

١- **الترجمة الحرفية**: وتعني نقل الكلام من لغة إلى أخرى مع مراعاة الموافقة في النَّظم والترتيب، والمحافظة على جميع معاني الأصل المترجم. وهذه الترجمة غيرُ ممكنة بالنسبة للقرآن الكريم، لأنها تُضيع خواص القرآن الكريم البلاغية، وتذهب إعجازه.

٢- **الترجمة التفسيرية**: وتعني شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى دون مراعاة لنظم الأصل وترتيبه، ودون المحافظة على جميع معانيه المرادة وهذه الترجمة ممكنة بالنسبة للقرآن الكريم لأنها مجرد ترجمة لمعاني القرآن الكريم بلغة غير لغته التي نزل بها، وهذا هو المراد بترجمة معاني القرآن الكريم.

ويظهر الفرق بين الترجمتين بالتطبيق العملي، ومثال ذلك قول الله تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[1]

فلو أراد المترجم ترجمة هذه الآية الكريمة ترجمة حرفية لقال: «لا تربط يدك إلى عنقك ولا تمدها غاية المد» وهذا تعبير بعيد عن المقصود الحقيقي للآية الكريمة، يثير استنكار القارىء غير العربي، ويجعله يتساءل لم النهي عن ربط اليد بالعنق وعن مدها غاية المد؟ ولا يفهم المعنى الذي قصده القرآن- وهو النهي عن التقتير والتبذير- بهذا التشبيه البليغ.

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٢٩).

أما إذا أراد المترجم ترجمة الآية الكريمة ترجمة تفسيرية، فإنه بعد فهمه المراد من الآية الكريمة وهو النهي عن التقتير والتبذير وقد عرضها القرآن في صورة شنيعة تنفر الإنسان منهما، فإن المترجم يأتي بعبارة تدل على هذا النهي المراد في أسلوب يكون مفهوماً للقارىء غير العربي ومقبولاً عنده ومؤثراً فيه.

نشاط

بيّن الفرق بين الترجمة الحرفية والترجمة التفسيرية واكتبه في دفترك.

ثانياً : حكم الترجمة التفسيرية

الترجمة التفسيرية جائزة بوصفها بياناً لمعاني القرآن الكريم وأحكامه، مع التأكد على أن هذه الترجمة لا تعد قرآناً، ولا تصح الصلاة بها، ولا يُتعبد بتلاوتها لا في الصلاة ولا في خارجها.

ثالثاً : شروط الترجمة التفسيرية

يشترط لقبول الترجمة التفسيرية شروط عدة منها :

١- أن تكون موافقة للأصول الشرعية ومتفقة مع علوم اللغة العربية.

٢- أن يكون المترجم مسلماً، سليم العقيدة بعيداً عن الأهواء والبدع.

٣- أن يكون المترجم على معرفة تامة باللغة العربية، واللغة المترجم إليها، ومعرفة أساليبهما وخصائصهما.

الأسئلة

١- عرف ما يأتي: الترجمة الحرفية، الترجمة التفسيرية.

٢- أيّ الترجمات ممكنة للقرآن الكريم؟ اذكر مثالاً يوضح ذلك.

٣- ما حكم الترجمة التفسيرية؟

٤- عدّد شروط الترجمة التفسيرية.

٥- ما الفرق بين الترجمة التفسيرية والقرآن الكريم؟

٦- الترجمة الحرفية للقرآن الكريم غير ممكنة، علل ذلك.

الدرس الثالث

أقسام التفسير

عرفت سابقاً أن الصحابة تفرقوا في البلاد الإسلامية يعلمون المسلمين أحكام دينهم، وكان التفسير من القضايا التي قام الصحابة بتعليمها للمسلمين، إذ كانوا يفسرون القرآن بالقرآن، وبما أخذوا عن النبي ﷺ، ثم إنهم لحاجتهم إلى فهم القرآن الكريم وتدبر آياته، اجتهدوا في تفسير آيات القرآن الكريم مستعينين بالعلوم التي يحتاج إليها المفسر، فصار للتفسير طريقان، التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي (الاجتهاد)، وفي هذا الدرس بيان لهذين النوعين من التفسير.

أولاً : التفسير بالمأثور

١- **مفهوم التفسير بالمأثور**: هو ما جاء من البيان والتفصيل لآيات القرآن الكريم في القرآن نفسه، وما نقل عن الرسول ﷺ، وما نقل عن الصحابة والتابعين، رضوان الله عليهم، مما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم. والمثال على ما جاء في تفسير القرآن بالقرآن: قول الله تعالى:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾[1] فإن عبارة« النجم الثاقب» بيان لكلمة الطارق، وقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴾[2]

فإن قوله تعالى: ﴿ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴾[3] بيان لقوله تعالى: ﴿ هَلُوعًا ﴾[4]

ومن السنة النبوية تفسيره ﷺ القوة بالرمي في قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[5]

وأما جعل تفسير الصحابة من قبيل التفسير بالمأثور، فلأنهم شهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا أسباب النزول التي تكشف النقاب عن معاني القرآن الكريم، إضافة إلى صفاء النفوس والفصاحة والبيان، مما يمكنهم من الفهم الصحيح لكلام الله تعالى، ويجعلهم أقدر من غيرهم على فهم معانيه.

٢- **نشأة التفسير بالمأثور**: مر التفسير بالمأثور بمرحلتين، الأولى مرحلة الرواية، والثانية مرحلة التدوين. وفيما يأتي توضيح ذلك:

---

(١) سورة الطارق، الآيات (١ - ٣).
(٢) سورة المعارج، الآيات (١٩ - ٢١).
(٣) سورة المعارج، الآيتان (٢٠ - ٢١).
(٤) سورة المعارج، الآية (١٩).
(٥) سورة الأنفال، الآية (٦٠).

أ – **مرحلة الرواية**: كان الرسول ﷺ يبيّن لأصحابه ما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم، وكان الصحابة ينقلونه بعضهم لبعض، وإلى من جاء بعدهم من التابعين.

ب– **مرحلة التدوين**: كان التفسير بالمأثور جزءاً من كتب الحديث الشريف، فلم يتخذ له شكلاً مستقلاً، بل كان يُدَوَّنُ على أنه باب من أبواب الحديث المختلفة، يجمع فيه أصحاب كتب الحديث ما روي عن النبي ﷺ والصحابة، رضي الله عنهم، في تفسير آيات القرآن الكريم.

ثم استقل تدوين التفسير عن الحديث وأفرد بتأليف خاص، وبعد ذلك وجدت الكتب المؤلفة في التفسير فجمعت ما روي عن النبي ﷺ في التفسير مثل كتاب (جامع البيان) لابن جرير الطبري، الذي يُعد بحق شيخ المفسرين، وما زال كتابه مرجعاً لكل من أراد التفسير.

٣– **مكانة التفسير بالمأثور**: علمت أن التفسير يشمل ما كان تفسيراً للقرآن بالقرآن، وما كان تفسيراً للقرآن بالسنة النبوية، وما كان تفسيراً للقرآن بقول الصحابة، أما تفسير القرآن بالقرآن أو السنة الصحيحة فهو مقبول دون خلاف في ذلك لعدم تطرق الضعف إليه ولا يجد الشك إليه سبيلاً.

وأما ما أضيف إلى النبي ﷺ وفي سنده أو متنه ضعف، فهو مردود غير مقبول لعدم صحة نسبته إلى الرسول ﷺ وأما تفسير القرآن بالمأثور عن الصحابة فقد تطرق إليه الضعف في غالبه، ولم يسلم إلا بعضه الذي يمكن أن يعد مقبولاً. وترجع أسباب الضعف في التفسير بالمأثور إلى أسباب عدة منها:

أ – **كثرة الوضع في التفسير**: ظهر الوضع في التفسير عند ظهور الفرق والأحزاب السياسية وأهل البدع، فقد وُجد من أهل البدع والأهواء من روجوا لبدعهم، وتعصبوا لأهوائهم، ودخل في الإسلام من أخفى الكفر في باطنه، وأظهر إسلامه بقصد الكيد لإسلام، وتضليل أهله فوضعوا الروايات الباطلة التي تعينهم على هدفهم.

ب– **دخول الإسرائيليات**: المراد بها الأخبار والروايات المنقولة عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى في توضيح بعض القضايا، وسُميت بالإسرائيليات لاعتمادها على ما ورد في كتب اليهود والنصارى، وقد بدأ دخول الإسرائيليات في التفسير في عصر الصحابة الذين كانوا يسألون عن أشياء لا تعدو توضيحاً للقصة، وبياناً لما أجمله القرآن منها، مع عدم الحكم عليه بصدق أو كذب ما دام يحتمل الأمرين، متمثلين قول الرسول ﷺ : **(لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله ما أنزل إلينا)**[1].

ولم يسأل الصحابة، رضي الله عنهم، أهل الكتاب شيئاً يتعلق بالعقيدة، أو يتصل بالأحكام ثم جاء عصر التابعين الذين توسعوا في الأخذ عن أهل الكتاب، وكثرت على عهدهم الروايات الإسرائيلية في التفسير، ويرجع ذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام. وقد امتلأت كتب جماعة من المفسرين بالإسرائيليات التي تلقفوها من أهل الكتاب.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها.

حكم الإسرائيليات في التفسير:

تنقسم الإسرائيليات ثلاثة أقسام هي:

١- ما يعلم صحته بالنقل عن النبي وهو صحيح مقبول.

٢- ما يعلم كذبه فلا يصح قبوله ولا روايته.

٣- ما لا يعرف صحته أو كذبه فلا نصدقه ولا نكذبه، ولا نأخذ به في التفسير.

ويجب على المفسر إزاء الإسرائيليات أن يكون يقظاً جداً فلا ينقل عن أهل الكتاب، ولا يعتمد أقوالهم في تفسير آيات القرآن الكريم إذا وجد في سنة النبي ﷺ بياناً للقرآن، على أنه من الخير للمفسر الإعراض عن الإسرائيليات حتى لا يشغله ذلك عن التدبر في حكمة القرآن الكريم وأحكامه.

ثانياً : التفسير بالرأي

معنى التفسير بالرأي ونشأته:

التفسير بالرأي هو قيام المفسر بالنظر العقلي في الآيات القرآنية الكريمة لاستخراج معانيها ودلالاتها مستنداً إلى معرفة اللغة العربية وألفاظها، ومعرفة أسباب النزول، وغيرها من العلوم التي تعينه على فهم معاني الآيات ودلالاتها. ملاحظاً ظروف الحياة وواقع المجتمع ، بعيداً عن الهوى.

وقد نشأ هذا التفسير زمن الصحابة وإن كان على نطاق ضيق، ثم ترعرع فيما بعد زمن التابعين ومن بعدهم من القرون.

أنواع التفسير بالرأي: تعدّدت أنواع التفسير بالرأي ومنها :

أ – **التفسير الفقهي**: وهو الذي يبحث في الأحكام الفقهية التي وردت في القرآن الكريم، مثل تفسير القرطبي، وتفسير «أحكام القرآن» لابن العربي.

ب– **التفسير الموضوعي**: وهو منهج يتخذه المفسر للكشف عن مراد الله من خلال الموضوعات والقضايا المطروحة في القرآن الكريم توضيحاً لهدايته، وتجلية لوجوه إعجازه، ومثاله كتاب أقسام القرآن لابن القيم، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا.

جـ– **التفسير العلمي**: وهو التفسير الذي يحاول فيه المفسر فهم عبارات القرآن الكريم في ضوء ما أثبته العلم، من حيث تضمنه هذه المعلومات العلمية التي لم تكن معروفة للبشر وقت نزول القرآن الكريم. فدل ذلك على أن القرآن الكريم ليس من كلام البشر إنما هو من عند الله تعالى، ومثاله كتاب الجواهر في تفسير القرآن، لطنطاوي جوهري.

الأسئلة

١- وضّح المفاهيم الآتية:

التفسير بالمأثور، التفسير بالرأي، التفسير الفقهي، التفسير الموضوعي، التفسير العلمي.

٢- مر التفسير بالمأثور بمرحلتين، وضّحهما.

٣- ما المقبول من التفسير بالمأثور؟

٤- كثرة الوضع في التفسير من أسباب ضعف التفسير بالمأثور، بيّن ذلك.

٥- ما حكم رواية الإسرائيليات في التفسير؟

الدرس الرابع

نماذج من كتب التفسير

تنوعت كتب التفسير، فمنها التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، وهناك كتب فسرت آيات الأحكام، ومنها من اعتنى صاحبها بنواحي اللغة العربية في القرآن من بيان ونحو وإعراب، وهناك كتب اهتمت ببيان إعجاز القرآن الكريم، وغير ذلك من الموضوعات، وسنعرض - في هذا الدرس - لنماذج من كتب التفسير نتعرف عن طريقها مناهج المفسرين في تفسير القرآن الكريم، وهي تفسير ابن كثير، وتفسير القرطبي، وتفسير في ظلال القرآن.

أولاً : تفسير ابن كثير

١- التعريف بابن كثير: هو الإمام الحافظ إسماعيل بن كثير، ولد سنة (٧٠١هـ) في إحدى قرى بصرى، ثم انتقل إلى دمشق وله من العمر سبع سنين، أخذ العلم عن عدد من العلماء، منهم الآمدي، والمزي، وابن تيمية، وكان رحمه الله تعالى ذا مكانة علمية رفيعة، فقد شهد له العلماء بسعة علمه، لا سيما في التفسير والحديث والتاريخ، قال عنه الحافظ ابن حجر «اشتغل بالحديث مطالعة في متونه ورجاله، وجمع التفسير، وشرع في كتاب كبير في الأحكام لم يكمل، وجمع التاريخ الذي سماه البداية والنهاية،... وشرع في شرح البخاري... وكان كثير الاستحضار، حسن المفاكهة، وسارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع بها الناس بعد وفاته». وقد كُفَّ بصره في آخر عمره، توفي سنة (٧٧٤هـ) رحمه الله تعالى.

٢- التعريف بتفسير ابن كثير: (تفسير القرآن العظيم): يُعَد تفسير ابن كثير من أشهر ما دُوِّن في التفسير بالمأثور. شهد له العلماء بذلك. قال الإمام السيوطي: «لم يؤلف على نمط مثله».

ويتسم تفسير ابن كثير بما يأتي :

١- ذكر الآية وتفسيرها بعبارة سهله موجزة، وتوضيحها بآية أخرى إن أمكن ذلك، وبعقد مقارنة بين الآيتين حتى يتبين المعنى الصحيح.

٢- ذكر الأحاديث المرفوعة المتعلقة بالآية، وإتباع ذلك بذكر أقوال الصحابة والتابعين.

٣- الترجيح بين الأقوال، من خلال الكشف عن الروايات الضعيفة والروايات الصحيحة.

٤- تعديل بعض الرواة وتجريح بعضهم الآخر، وهذا راجع لمعرفته بفنون الحديث وأحوال الرجال.

٥- الإفادة من التفاسير الأخرى لمن سبقه من المفسرين مثل ابن جرير الطبري.

٦- ذكر المسائل الفقهية وأقوال العلماء فيها مع أدلتهم فيما ذهبوا إليه، وترجيح مايراه مناسباً، دون إسهاب مُمل أو اختصار مخل.

ثانياً : تفسير القرطبي

١ – **التعريف بالإمام القرطبي**: هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، كان ورعاً، زاهداً، عالماً، له كتب عدة منها «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» وكتاب «التذكار في أفضل الأذكار» وكتاب «الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان» المعروف بتفسير القرطبي، وقد كان رحمه الله تعالى، مثالاً للأمانة العلمية، فقد كان يعرض في تفسيره لأراء العلماء ويناقشها ويرجح ما يستحق الترجيح سواء في التفسير أو اللغة أو الإعراب وغيرها، متبعاً للدليل، آخذاً بالراجح من الأقوال دون تعصب، توفي سنة (٦٧١) هـ، رحمه الله تعالى.

٢ – **التعريف بتفسير القرطبي**: يُعد كتاب الجامع لأحكام القرآن من أوسع كتب التفسير التي عنيت ببيان أحكام القرآن، فقد تضمن الكتاب إضافة إلى التفسير اللغةَ والإعرابَ والقراءاتِ، والأحاديث الشاهدة للأحكام الواردة فيه، والأحاديث المبينة لأسباب النزول للآيات الكريمة، وأقوال السلف ومن تبعهم من الخلف، وقد أفاد القرطبي في تفسيره من المؤلفات التي سبقته سواء من كتب التفاسير أو من القراءات أو الحديث، أو اللغة، أو النحو، أو الفقه، أو التاريخ.

وقد بيّن الإمام القرطبي منهجه في التفسير بقوله: «... فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع... رأيت أن أشتغل به مدى عمري، واستفرغ فيه منّتي (قوتي) بأن أكتب فيه تعليقاً وجيزاً يتضمن نكتاً من التفسير، واللغات، والإعراب، والقراءات والرد على أهل الزيغ والضلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات جامعاً بين معانيهما، ومبيّناً ما أشكل منهما بأقاويل السلف ومن تبعهم من الخلف».

ويتسم هذا التفسير بما يأتي:

أ – إسناد الأقوال إلى قائليها حتى يكون الإنسان على دراية بأقوال العلماء، وهذا دليل على الأمانة العلمية التي يتصف بها الإمام القرطبي.

ب – تخريج الأحاديث النبوية، وردّها إلى مظانها ليتمكن من لا خبرة له بكتب الحديث من معرفة الصحيح من الضعيف، فلا يبقى حائراً، ويقبل قوله في الاحتجاج به.

جـ –خلو التفسير من قصص المفسرين وأخبار المؤرخين، إلا ما لا غنى عنه للتَّبيين.

ثالثاً : تفسير في ظلال القرآن

١ – **التعريف بسيد قطب**: **هو** سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي، ولد سنة (١٩٠٦م) في إحدى قرى أسيوط في صعيد مصر، نشأ في أسرة مسلمة كان لها تأثير في صقل شخصيته، تلقى دراسته الأولية في القرية، وحفظ

القرآن الكريم الذي كان له الأثر الكبير في نمو مواهبه الأدبية في وقت مبكر، ثم رحل إلى القاهرة لإتمام دراسته الجامعية، عمل في الصحافة والتعليم وكان له أثر كبير في الدعوة الإسلامية، توفي رحمه الله سنة (١٩٦٦م) وله من العمر ستون عاماً.

٢- **سمات تفسير في ظلال القرآن: يُعد** تفسير الظلال نقلة جديدة في التفسير، إذ سار فيه صاحبه على منهج خاص وطريقة فريدة، إذ إنه كتاب تفسير وكتاب دعوة.

ويتسم تفسير «في ظلال القرآن» بمزايا عدة منها :

أ - ملاحظته للغرض الأساسي للقرآن وهو إقامة الشخصية الإسلامية، وبناء أمة لها خصائصها وميزاتها، وإنشاء جيل على قواعد من التربية الربانية تجعله صورة ناطقة عن الحق الذي نزل به القرآن الكريم ليكون خير أمة أخرجت للناس، وقد بيّن صاحب الظلال طريقة القرآن في بناء الشخصية الإسلامية ودعوتها لأخذ دورها في المجتمع الذي أنشأه القرآن في بناء الشخصية الإسلامية ودعوتها لأخذ دورها في المجتمع الذي أنشأه القرآن الكريم ويوضح ما يجب على الأمة الإسلامية القيام به لتعود إلى مكانها الصحيح الذي أراده الله تعالى لها.

ب- تجاوزه الأساطير والإسرائيليات الواردة في التفاسير، وعدم إثبات شيء منها فيه، ومثال ذلك أنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[1]

قال سيد قطب: «وتختلف الروايات والمفسرون في شأن هذه الألواح، ويصفها بعضهم أوصافاً مفصلة نحسب أنها منقولة عن الإسرائيليات، التي تسربت إلى التفسير ولا نجد في هذا كله شيئاً عن رسول الله ﷺ، فنكتفي بالوقوف عند النص القرآني الصادق لا نتعداه، وما تزيد الأوصاف شيئاً أو تنقص من حقيقة هذه الألواح، أما ما هي؟ وكيف كتبت؟ فلا يعنينا هذا في شيء، بما أنه لم يرد فيها من النصوص الصحيحة شيء».

جـ- إبرازه الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم، وتطبيقها على سور القرآن الكريم وآياته، وبيان التناسب الموضوعي في موضوعات السورة، والتناسق الفني في صياغتها وأساليب عرضها.

ولذا ترى صاحب الظلال يُعَرِّف بالسورة ويقدم لها، ويقسمها إلى دروس موضوعية متناسقة، ويعد صاحب الظلال من المفسرين الذين أبرزوا الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية المفردة طالت أم قصرت.

---

(١) سورة الأعراف، الآية (١٤٥).

الأسئلة

١ - عرِّف بالإمام ابن كثير مراعياً الأمور الآتية:
اسمه، مكانته العلمية، صفاته.

٢ - عدد ثلاثاً من سمات تفسير ابن كثير.

٣ - عرّف بالإمام القرطبي مراعياً الأمور الآتية: اسمه، ومكانته العلمية.

٤ - بَيِّن منهج الإمام القرطبي في التفسير.

٥ - وَضِّح سمتين من سمات تفسير القرطبي.

٦ - يُعد تفسير القرطبي من أوسع كتب التفسير التي عُنيت ببيان أحكام القرآن الكريم، وَضّح ذلك.

٧ - عرِّف بسيد قطب مراعياً الأمور الآتية: نشأته وثقافته.

٨ - بَيِّن سمتين من سمات تفسير «في ظلال القرآن».

٩ - من سمات تفسير «في ظلال القرآن» تجاوزه الأساطير والإسرائيليات، بَيِّن ذلك.

١٠- إبراز الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم من سمات تفسير «في ظلال القرآن»، وضِّح ذلك.

الدرس الخامس

إعجاز القرآن الكريم
(الإعجاز البياني)

القرآن الكريم معجزة نبينا محمد ﷺ التي تحدى بها الثقلين الإنس والجن، والإعجاز صفة اختص بها القرآن الكريم دون سواه من الكتب المتقدمة، فما معنى إعجاز القرآن؟ وما أدلته؟ وما أنواعه؟

أولاً : معنى الإعجاز

الإعجاز لغة: لفظ مشتق من عجز يعجز. يقال عجزت عن الأمر أي قصرت وضعفت عنه. ويقال أعجزني فلان بمعنى فاتني وسبقني وامتنع علي إدراكه، والإعجاز قمة الإتقان الذي يُعجزُ عن الإتيان بمثله، والإعجاز القرآني مصطلح ينبىء عن قصور الإنس والجن عن أن يأتوا بمثل القرآن الكريم أو بمثل سورة من سُوره.

ثانياً : أدلة إعجاز القرآن الكريم

إعجاز القرآن الكريم حقيقة ثابتة قررها النص القرآني بكل قوة، وتأكيد. وجاء التحدي الرباني للثقلين صريحاً بأن معارضة القرآن (أي الإتيان بمثله) أمر مستحيل التحقيق. فقد تحداهم أولاً أن يأتوا بمثل القرآن فقال تعالى:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (١)

ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فقال تعالى :

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (٢)

ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فقال تعالى :

﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (٣)

ومن المعلوم أن التحدي يَعْظم كلما عَظُمَ مقدار الأمر المتحدى به وإن قلَّت كمّيته. وما يزال القرآن يقرع سمع الناس متحدياً أن يأتوا بمثله أو ببعض سوره، وهيهات!!

ثالثاً :أنواع الإعجاز القرآني

ما يزال العلماء والمحققون يكشفون لنا بين فترة وأخرى من وجوه الإعجاز القرآني شيئاً جديداً فقد اهتم

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٨٨).

(٢) سورة هود، الآية (١٣).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٣).

العلماء الأولون بالإعجاز البياني وألفوا فيه رسائل عِدَّة، منهم الجرجاني والكرماني والخطابي، واهتم آخرون بالإعجاز الخاص بالإخبار عن الغيب، ونجد العلماء المعاصرين يولون اهتمامهم لنوعين آخرين من الإعجاز، هما الإعجاز العلمي والإعجاز التشريعي. وفي هذا الدرس بيان إجمالي بأوجه الإعجاز البياني.

١ – **الإعجاز البياني**: برز العرب من بين أمم الأرض وتميزوا بالفصاحة والبيان، حتى كان لهم من اسمهم نصيب، إذ إن كلمة (أعرب) تفيد الإفصاح عن الشيء وفي هذا يقول الشاعر:

نحن أبناء يعرب أعرب الناس لساناً وأنضر الناس عودا

وكانوا ينظمون في جاهليتهم مهرجانات ثقافية ويعقدون الأسواق الأدبية في عكاظ، وذي المجاز، ومجنة، يلقون فيها أشعارهم فتعرض على خبراء النقد، ثم ينتقون أجمل القصيد فيعلقونه في أقدس مقدساتهم وهي الكعبة، وقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين يتحدى هذه الأمة التي أوشك أن يكون فيها البيان والفصاحة سجية وفطرة، فأنزل بلغتها ما أعجز تلك الفطرة، فها هو الوليد بن المغيرة يقرّ بفصاحة القرآن وبلاغته ويقول مخاطباً قومه (والله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه).

نشاط

تأمل العبارات الأخيرة من قول الوليد بن المغيرة ثم بيِّن معناها.

ونورد فيما يأتي بعض الصور البلاغية في القرآن الكريم مما يؤلف في مجموعة مظهراً من مظاهر الإعجاز البياني:

١ – **تآلف الكلمات القرآنية مع معانيها المحددة لها**: ترد في القرآن الكريم كلمات يتراءى للقارىء العادي أنها كلمات مترادفة، ومع ذلك نجد استعمال إحدى هذه الكلمات في القرآن في موضع لا يصلح معه استعمال الكلمة الأخرى. فمثلاً كلمة (الحمد) قد تستوي ظاهراً في معناها مع كلمة (الشكر) ولكن القرآن الكريم يستعمل كُلاً من هاتين الكلمتين استعمالاً مبايناً فنحن، نقرأ قوله تعالى:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾[٢]

وقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٣] ونقرأ من جانب آخر قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[٥]

---

(١) سورة الفاتحة، الآية (١)

(٢) سورة الأعراف، الآية (٤٣).

(٣) سورة فاطر، الآية (١).

(٤) سورة النمل، الآية (١٩).

(٥) سورة إبراهيم، الآية (٧).

فهل كان استعمال هاتين الكلمتين في موضعهما اتفاقاً تحكمه الصدفة؟ ليس الأمر كذلك، فالحمد لله الذي يحمد على السراء والضراء أما الشكر فيكون في معرض ذكر النعمة حصراً، والحمد يكون باللسان، أما الشكر فيعم اللسان والقلب والجوارح، ثم إن الله تعالى يحمد نفسه ويمدحها، ولا يشكرها، والشكر لله تعالى يكون من العبد، ومن هنا تدرك الفرق في الاستعمال.

٢- **التقديم والتأخير**: نلحظ عند التأمل في الآيات القرآنية أن هناك كلمات تتقدم في بعض الآيات وتتأخر في غيرها، وهذا التقديم والتأخير فن بلاغي في السياق القرآني، نشهد من خلاله دقة البيان القرآني بصورة توصلنا إلى الحكم بإعجازه.

ولنتأمل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾[1]

وقوله تعالى :﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ﴾[2] نجد أن الآية الأولى قد قدمت رزق الآباء على رزق الأولاد بخلاف الأخرى. فما السر وراء هذا التقديم والتأخير؟

إن الآية الأولى تشير إلى فقر واقع بالآباء يدل عليه قوله تعالى: ﴿ مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ﴾ولذا جاء نهيهم عن قتلهم أولادهم بسبب هذا الفقر الذي يعانون منه، مطمئنة آباءهم بأن الرزق بيد الله رب العباد قبل رزق الأبناء، فعلام يقتلون أولادهم؟

أما الآية الثانية فتشير إلى فقر متوقع يدل عليه قوله تعالى:﴿ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ﴾فناسب البدء بذكر الأولاد الذي دعا بوالديهم إلى التخلص منهم تحسباً من عوادي الزمن المنتظرة.

٣- **دقة الفاصلة القرآنية (أواخر الآيات)** : **الفاصلة** القرآنية اصطلاح يراد به تلك الكلمات التي تختم بها الآيات القرآنية باختيار رباني ينسجم مع سياق الآيات الكريمة ومضمونها فلا يصلح استعمال كلمات أخرى بدلاً منها. وهي من دلائل الإعجاز الرباني.

روى أن الأصمعي التقى أعرابياً راح يتلو عليه الآية الكريمة:

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[3]

ولكن الأصمعي أخطأ فقرأ: (والله غفور رحيم) بدلاً من (والله عزيز حكيم)، فدهش الأعرابي فقال: كلام من هذا؟ فرد الأصمعي: كلام رب العالمين، فقال له الأعرابي: أعد. فأعاد الأصمعي الآية دون أن يتنبه للخطأ. واستوقفه الأعرابي مجدداً ليسأله: كلام من هذا؟ ثلاث مرات، ففطن الأصمعي فقال: (والله عزيز حكيم). فقال الأعرابي: الآن هذا كلام رب العالمين أمر بالقطع من موضع القدرة والعزة فهو عزيز، وما كان لعقوبة أخرى أن تسد مسدها فهو حكيم. ولو قال: (والله غفور رحيم) لهون من شأن العقوبة، ولما كان هناك موجب للقطع.

٤- **الإيجاز في مواطن والإطناب في أخرى**: لا يجري السياق القرآني على نمط واحد من الإيجاز والإطناب، فلكل منهما موقعه الذي هو به أليق وألزم.

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١٥١).

(٢) سورة الإسراء، الآية (٣١).

(٣) سورة المائدة، الآية (٣٨).

فهذه آيات المواريث لا تتجاوز بضع آيات، وقد فجر الفقهاء من خلالها بحوراً من العلم يعرف بعلم الفرائض، وما أكثر ما صنف فيه من المؤلفات، وقد جاء إعجازها في إيجازها فضلاً عما كان هناك من إعجاز تشريعي فيها.

ونجد الإيجاز أحياناً في آية أو بعض آية كقوله تعالى:

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1]

فلو وضعنا هذه الآية الكريمة مقابل تلك العبارة المشهورة التي افتتن بها بعض العرب وهي قولهم (القتل أنفى للقتل)، لحكمنا بتفوق القرآن بصورة مطلقة.

فقد تضمنت الآية الكريمة المعنى الماثل في تلك العبارة وزيادة، إذ نصت على مبدأ العدل في لفظ (القصاص) وهو ما لم يرد في تلك العبارة، ثم إن القتل خاص بالاعتداء على النفس، أما القصاص فيشمل الاعتداء على النفس والأطراف وهو أشمل، ومن بعد ذلك فإن العبارة تفصح عن نفي القتل فحسب، بينما التعبير القرآني جاء ليؤكد أن في القصاص حياة.

الأسئلة

١- وضح معاني المفاهيم الآتية: إعجاز القرآن، معارضة القرآن.

٢- بَيِّن لِمَ كان التحدي بالسورة الواحدة أعظم من التحدي بالقرآن جميعه.

٣- اذكر أنواع الإعجاز في القرآن الكريم.

٤- بَيِّن الفرق بين الحمد والشكر بالرجوع إلى الآيات الكريمة.

٥- بَيِّن ما هنالك من دلالات بيانية في التقديم والتأخير في بعض كلمات الآيتين الكريمتين:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ ﴾

٦- قارن بين مدلول الآية الكريمة ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ وقول العرب (القتل أنفى للقتل).

(١) سورة البقرة، الآية (١٧٩).

الدرس السادس
إعجاز القرآن الكريم (الإعجاز التشريعي)

تحتكم المجتمعات البشرية في حياتها إلى نوعين من التشريعات: تشريعات مصدرها الإنسان، وهي التي اصطلح على تسميتها بالتشريعات الوضعية: وتشريعات مصدرها خالق الإنسان، وهي المعروفة بالتشريعات الإلهية...

أما التشريعات الوضعية فقد يصوغها فرد أو حزب أو هيئة باسم المجتمع، وهي في أي من صنوفها هذه تتصف بالنقص البشري أو التحيز، فما يرتضيه فرد أو حزب، غير ما يرتضيه فرد أو حزب آخر، وما يرضي جماعة أو مجتمعاً قد يتعارض مع ما يرضي جماعة أو مجتمعاً آخر، وذلك بالنظر إلى اختلاف الفلسفات والنظم، والأمزجة والعقول.

أما التشريعات الإلهية فقد شرعها رب العالمين بما يصلح الناس أجمعين، وهو أعلم بما يصلحهم ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾(١)

وهي تمتاز عن غيرها بأنها أقوم قيلاً، وقد وصف الله سبحانه وتعالى، شريعة القرآن بأنها الشريعة الأمثل والأقوم، وفي هذا يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾(٢)

ولا يملك البشر بما أوتوا من قدرة على تصريف الأمور وجودة النظر أن يضاهوا ما شرع الله، وهم لا ينفكون يثبتون عجزهم عن محاكاة تشريعات هذا القرآن العظيم. فما سمات التشريع القرآني المعجز؟ وما الأمثلة الدالة على هذا الإعجاز؟

أولاً: سمات الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم

يتسم التشريع القرآني بسمات عدة يظهر معها عجز البشر عن الإتيان بمثله، ومنها:

١- **الشمول**: فهي تشريعات تشمل كل شؤون الحياة الإنسانية، فلم تدع جانباً إلا ونظمته، ولا مجالاً إلا وبينته، ولا عملاً يصدر عن الإنسان، ولا علاقة بينه وبين غيره إلا ولها فيها حكم، سواء في العقيدة أو العبادة أو الأخلاق أو المعاملات أو الشؤون الأخرى من سياسية، واقتصادية، واجتماعية، ودولية...الخ.

٢- **العموم**: فتشريعات القرآن الكريم جاءت لعموم البشر، ولم تأت لطائفة معينة، وليست خاصة بأمة من الأمم، ولا بأهل بلد معين. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾(٣)

---

(١) سورة تبارك، الآية (١٤).
(٢) سورة الإسراء، الآية (٩).
(٣) سورة سبأ، الآية (٢٨).

نشاط

بين الفرق بين شمول التشريعات القرآنية وعمومها. واكتبه في دفترك.

٣- **الكمال والسمو**: فتشريعات القرآن الكريم لا تناقض فيها ولا تعارض، وهذه مسألة توجب على أتباع هذه الملة الافتخار والاعتزاز بها، وحمد الله على هذه النعمة كما قال تعالى:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾(١)

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾(٢)

فهي الشريعة الكاملة القويمة، وليست تشريعات العباد هكذا، والله تعالى يقول:

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾(٣)

٤- **التكامل والتناسق**: فالتشريعات القرآنية يكمل بعضها بعضاً وتتضافر جميعها لبناء الصرح التشريعي الإسلامي، فالجانب الأخلاقي يعضد الجانب القانوني، وفي الجانب القانوني الإسلامي تتناسق لبنات البناء بصورة يظهر معها بهاء هذا الدين، فنظام الإرث ذو صلة بنظام النفقات، والتشريعات الخاصة بالمرأة تتناسق مع نظائرها في الرجل بوصفهما نوعين لجنس واحد هو الإنسان، وهكذا.

٥- **التيسير ورفع الحرج**: فقد شرع الله تعالى هذه الأحكام من أجل خير الناس، وجعلها سهلة ميسرة على الجميع ، تراعي قدراتهم، قال الله تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾(٤)

وقال الله تعالى : ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾(٥)

ومن هنا نجد في التشريع القرآني ما يتجه للغني والفقير، والمسافر والمقيم، والصحيح والمريض، والكبير والصغير، والرجل والمرأة، وبما يتلاءم مع استعداداتهم وقدراتهم من غير تجاوز لأحوالهم وفطرتهم.

٦- **الجمع بين الثبات والتطور**: فأحكام القرآن جاءت لتلبي مصالح الإنسان في كل زمان ومكان، فهي لم تأت لمرحلة زمنية تنقضي بانقضائها، ومن أجل ذلك لم يكن هنالك توسع كبير في الأحكام التفصيلية الجزئية في القرآن، وقد ورد هذا التفصيل في بعض المسائل مثل الإرث والمحرمات من النساء ومصارف الزكاة وقضايا الديون، كما حفل القرآن الكريم بوفرة من القواعد والمبادىء العامة التي لا تقبل التبديل والتغيير مثل قواعد الشورى والعدل والمساواة، وإن كانت مما يمكن أن تختلف تطبيقاتها ووسائلها باختلاف الزمان والمكان، بحيث يكون التشريع القرآني من الاتساع بما يلائم أحوال المجتمعات عبر العصور.

---

(١) سورة الكهف، الآية (١).
(٢) سورة الأعراف، الآية (٤٣).
(٣) سورة النساء، الآية (٨٢).
(٤) سورة البقرة، الآية (٢٨٦).
(٥) سورة الحج، الآية (٧٨).

ثانياً :أمثلة على الإعجاز التشريعي

إن كل ما في القرآن الكريم من أحكام شواهد صدق على الإعجاز التشريعي، ونكتفي هنا بذكر المثال الآتي:

الإرث: إذا أردنا أن نتبين وجه الإعجاز في تشريع الإرث نقارنه مع التشريعات الأخرى، حيث تتضح الصورة بالمقارنة، ففي الجاهلية كان العرب يورثون الأبناء دون البنات، وكانوا يحرمون الزوجات كذلك، وكان حق المرأة في الميراث مهضوماً.

وفي مجتمعاتنا المعاصرة نجد أن الشيوعية تنكر الإرث، وتَعُدُّهُ ظلماً تأباه فلسفتهم، ونظرة الشيوعيين إلى الإرث جزء من نظرتهم إلى الملكية الفردية التي ينادون بالقضاء عليها بهدف العودة إلى الحياة الشيوعية الأولى كما يزعمون.

أما المجتمعات الغربية فإنها تتباين في نظرتها إلى الإرث، فلو أخذنا التشريع الإنجليزي مثلاً لوجدنا أنهم يجعلون التركة للابن الأكبر دون سواه.

أما تشريع الإرث في الإسلام فيقرر للمرأة حقوقها أمّاً وزوجة وبنتاً وأختاً وجَدَّة، كما يقرر للكبير والصغير حقهما حتى لو كان الصغير جنيناً، ويجعل أسباب الإرث وجود علاقة من قرابة أو زوجية.

ويظهر الإعجاز التشريعي في مسألة الإرث أن القرآن الكريم سطر نظام الإرث في صفحة واحدة راعت الجوانب الإنسانية والاقتصادية والاجتماعية للأسرة والمجتمع.

الأسئلة

١- ما الفرق بين شمول الأحكام القرآنية وعمومها؟

٢- وَضِّح الفرق بين كمال التشريع الإسلامي وتكامله.

٣- تتسم التشريعات القرآنية باليسر ورفع الحرج. وضح ذلك.

٤- وَضِّح معنى الثبات والتطور في القواعد التشريعية العامة كالعدل والشورى.

٥- قارن بين النظرة الشيوعية والنظرة الإسلامية للإرث.

الدرس السابع

إعجاز القرآن الكريم
(الإعجاز العلمي)

جاء في القرآن الكريم إشارات إلى حقائق علمية تكشفت للناس بعد زمن طويل نتيجة للتقدم العلمي، فلم يكن العقل البشري غداة نزول القرآن الكريم في وضع يمكّنه من إدراك هذه الحقائق، أو يتحسس مواطن العظمة والإعجاز في الآيات الكريمة نتيجة لمحدودية قدرته، فكيف تأتّى لمحمد النبي الأمي أن يقدم لنا هذه الكشوف العلمية وهو ابن الجزيرة العربية التي لم يكن للعمل فيها موضع معتبر.

إن هذا دليل على مصدر القرآن الكريم وأنه كلام الله تعالى، فصار ذلك الإعجاز العلمي من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وهذا ما نتعرّفه في هذا الدرس.

أولاً : الحقائق العلمية والنظريات العلمية

يجدر التنبه إلى أن الإعجاز العلمي يكون بالنسبة للحقائق العلمية التي توصّل إليها العلم بصورة قاطعة، وأصبحت حقيقة غير قابلة للنقاش، ولا يمكن أن تبطل وتنقض مهما تقدمت علوم الإنسان ومكتشفاته ومعارفه، ومثالها الزوجية، فهي حقيقة علمية تقوم على أن المخلوقات وجدت على أساس النظام الزوجي بدءاً من الخلية وانتهاء بالإنسان، أما إذا لم تتعد الكشوف العلمية حدود النظريات والفرضيات فإن من الخطأ المجازفة بحمل آيات القرآن الكريم عليها، استباقاً للزمن في محاولة لبيان السبق العلمي في القرآن الكريم، فربما انهارت النظرية فكيف يكون موقف هؤلاء المتعجلين حينذاك، وهم يعلمون أن القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ونبين في هذا المجال أن العلم الحديث قد أثبت أن لا تصادم بين حقائق الكون وما جاء في القرآن الكريم، لأن القرآن الكريم كلام الله، والكون صنع الله تعالى، وكلام الله وصنعه لا يتصادمان أبداً، بل يصدق أحدهما الآخر، لأن مصدرهما واحد، وإذا بدا للإنسان تصادم بين الحقائق العلمية والقرآن من تعارض ظاهري فمنشؤه أحد أمرين:

١- إما ضعف في الإدراك حيث قدم النظرية العلمية في ثوب الحقائق العلمية القاطعة.

٢- أو تأويل غير سديد للآيات القرآنية جعل التعارض قائماً بين النص القرآني والحقيقة العلمية. ومما ينبغي التنبيه إليه أن القرآن وإن احتوى بعضاً من الإشارات العلمية إلا أنه لا يمكن القول بأنه كتاب علوم، بل هو كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ثانياً : أمثلة من الإعجاز العلمي

١- **الزوجية**: فقد ذكر القرآن الكريم أن الله تعالى خلق من كل شيء زوجين، وأن الكون كله قائم على الزوجية

وهو علم لم يوثق بحقائق علمية إلا بعد تقدم العلوم المعاصرة، قال تعالى :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١)

٢- تطور الجنين: قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾(٢)

وقال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾(٣)

لقد كان الاعتقاد السائد عند العلماء أن الإنسان يخلق دفعة واحدة في رحم أمه، ثم يبدأ النمو شيئاً فشيئاً، وقد تغير هذا الاعتقاد بعد التقدم العلمي، إذ اكتشف علماء الأجنة أن الإنسان إنما يخلق نطفة أولاً، ثم يصير علقة، ثم مضغة وهي - ما يشبه اللحم الممضوغ - وفي المضغة يتطور الهيكل العظمي، وبعد تشكل العظام تغطى بالعضلات وتكسى باللحم، إن الذي توصل إليه العلم الحديث نطق به القرآن على لسان النبي ﷺ قبل أربعة عشر قرناً، فتبارك الله أحسن الخالقين.

٣- فائدة الرياح : قال الله تعالى :

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾(٤)

سبقت هذه الآية ما وصل إليه العلم بشأن الرياح، وأنها عامل مهم في نقل حبوب اللقاح إلى أعضاء النبات المؤنثة ليتم بذلك عقد الثمار، إضافة إلى أن الرياح تنقل النويات التي تتجمع عليها جزيئات بخار الماء لتكون نقطاً من الماء نامية داخل السحب، هي المكونات الأولى من المطر تحملها الرياح إلى مناطق إثارة السحاب، وتتكون هذه النويات من أملاح البحار وما تذروه الرياح من سطح الأرض، والأكاسيد والأتربة ونحوها وكلها لازمة للمطر.

وفي الآية معنى آخر وهو أن الرياح تسوق السحب سالبة التكهرب وتلقي بها في السحب موجبة التكهرب، فيحدث البرق والرعد والمطر وهي بهذا المعنى لواقح أيضاً.

---

(١) سورة يس، الآية (٣٦).

(٢) سورة المؤمنون، الآيات (١٢ - ١٤).

(٣) سورة الحج، الآية (٥).

(٤) سورة الحجر، الآية (٢٢).

الأسئلة

١- ما المقصود بالإعجاز العلمي؟

٢- ما الفرق بين الحقيقة العلمية والنظرية العلمية؟

٣- لا تصادم بين حقائق الكون وما جاء في القرآن الكريم، وضّح ذلك.

٤- من الأمثلة على الإعجاز العلمي، تطور الجنين، بيّن ذلك.

٥- قال الله تعالى:

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾[1]

بَيِّن أوجه الإعجاز العلمي في الآية الكريمة.

(١) سورة الحجر، الآية (٢٢).

الدرس الثامن

إعجاز القرآن الكريم
(الإعجاز بالإخبار عن الغيب)

درست سابقاً ثلاثة من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، وفي هذا الدرس بيان لنوع آخر منه، وهو الاعجاز بالإخبار عن الغيب، فما المراد بهذا النوع من الإعجاز؟ وما الأمثلة الدالة عليه؟

أولاً : معنى الإعجاز بالإخبار عن الغيب

هو إخبار القرآن عن أمور غيبية في الماضي أو الحاضر أو المستقبل في أمور الدنيا أو أمور الآخرة لا يعرفها أحد من الناس.

ووجه الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم، أن ما ورد ذكره من أمور الغيب لم يكن الرسول ﷺ ولا قومه على دراية ومعرفة بها، فدل ورودها في القرآن الكريم على أن مصدرها الوحي.

ثانياً : أنواع الإخبار عن الغيب

إخبار القرآن بالغيب أنواع ثلاثة هي:

١- **الإخبار عن غيب الماضي**: والمراد به أخبار الأقوام السابقين كقوم عاد وثمود وقوم فرعون، وقصص الأنبياء والمرسلين السابقين مثل: آدم ونوح وإبراهيم ويوسف وغيرهم، وأخبار الصالحين مثل: لقمان ومريم وأصحاب الكهف. فقد صرح القرآن الكريم بأخبار هؤلاء في أماكن متعددة من الآيات الكريمة، ووجه الإعجاز في هذه الأخبار أن النبي ﷺوقومه لا علم لهم بأخبار الماضين، فجاء القرآن الكريم يعلمه بها من عند الله تعالى في قومه :

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ﴾(١)

٢- **الإخبار عن غيب الحاضر**: المراد بغيب الحاضر، المغيبات التي حدثت في عهد رسول الله ﷺ ، لا سيما الإخبار عن ما كان يخفيه المنافقون من تآمر على رسول الله ﷺ ، ومن ذلك إخباره عن أهداف المنافقين من قيامهم ببناء مسجد الضرار زاعمين أنه للصلاة ولإيواء المساكين، وطلبوا إلى الرسول ﷺ أن يصلي فيه والحقيقة أنهم بنوه للتآمر على رسول الله وعلى الإسلام والمسلمين، فكشف الله خبث نياتهم وأعلم رسوله

(١) سورة هود، الآية (٤٩).

بذلك فأنزل قوله تعالى: .

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾(١)

٣- **الإخبار عن غيب المستقبل**: فقد ورد في القرآن الكريم أخبار عن أمور غيبية ستقع في المستقبل، وقد وقعت كما أخبر الله تعالى، فهذه الأخبار مما اختص الله تعالى بعلمه لأنها من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى، وإن وقوعها دليل على إعجاز القرآن الكريم ومن أمثلة ذلك: إخباره - سبحانه وتعالى - بأن الروم ستغلب الفرس في بضع سنين، حيث كانت الحرب دائرة بين الفرس والروم، فغلب الفرس الروم مما أفرح المشركين لأنهم وثنيون مثلهم، وحزن المسلمون لهزيمة الروم لأنهم أهل كتاب، فنزلت الآيات الكريمة تخبر بانتصار الروم في المستقبل، قال تعالى:

﴿الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾(٢)

وتحقق النصر للروم بعد تسع سنين من نزول الآيات الكريمة.

ومن الأمثلة على الإخبار عن غيب المستقبل إخبار القرآن الكريم عن النهاية البائسة لعدد من زعماء المشركين الذين حاربوا الدعوة الإسلامية بأنهم سيموتون على الكفر وتحقق ذلك والرسول لا علم بنهاياتهم، ومنهم أبو لهب الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾(٣) إذ مات كافراً. وأبو جهل الذي قتل في معركة بدر كافراً، والوليد بن المغيرة الذي مات كافراً.

نشاط

ارجع إلى تفسير ابن كثير ولخص في دفترك تفسير الآيات الكريمة من (١١-٣٠) من سورة المدثر.

(١) سورة التوبة، الآيتان (١٠٧، ١٠٨).

(٢) سورة الروم، الآيات (١ - ٥).

(٣) سورة المسد، الآية (١).

الأسئلة

١- ما المقصود بالإعجاز بالإخبار عن الغيب؟

٢- ما وجه الإعجاز في الإخبار عن الغيب؟

٣- عدد أنواع الإخبار عن الغيب.

٤- من أنواع الإخبار عن الغيب، الإخبار عن غيب الحاضر، وضح ذلك.

٥- الإخبار عن غيب المستقبل من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، بين ذلك.

الوحدة الحادية عشرة

علم الفقه

وتشتمل هذه الوحدة على:

- علم الفقه (تعريفه، موضوعه، أهميته).
- نشأة المذاهب الفقهية.
- المذاهب الفقهية.
- تقنين الفقه الإسلامي.
- التأمين.
- النذر.
- الكفارات.
- التسعير.
- بيع التقسيط.
- التبرع بالأعضاء.
- طفل الأنابيب.
- الضرورة الشرعية.

علم الفقه
(تعريفه ، موضوعه ، أهميته)

علم الفقه هو أحد العلوم الشرعية الأساسية، وقبل البحث في مسائله، لا بدّ من بيان تعريفه، وتحديد موضوعه، لأن العلوم تتميز عن بعضها بتمايز موضوعاتها. ولا بدّ من إدراك أهمية هذا العلم، وحاجة الناس إليه، فما حقيقة هذا العلم؟ وما أهميته؟

أولاً : تعريف علم الفقه

أطلق الفقه في العصور الأولى للإسلام، على العلم بجميع أحكام الإسلام الاعتقادية: كوجوب الإيمان بالله تعالى، والأحكام الوجدانية: كالالتزام بالأخلاق الفاضلة من صدق وأمانة. والأحكام العملية: كالصلاة والصيام، والبيع والزواج، وذلك لأن المعنى اللغوي لكلمة الفقه يشمل جميع هذه الأحكام وغيرها.

نشاط

اذكر معنى الفقه في اللغة، واكتبه في دفترك.

وفي العصر العباسي عصر تدوين العلوم الشرعية، وتصنيفها طرأ تطور على مفهوم الفقه، فأصبح له معنى خاص وهو: العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية والمراد بالأحكام الشرعية العملية الأحكام المتعلقة بعمل الإنسان: كالصلاة والصيام، وقراءة القرآن، والبيع والشراء، والإجارة والزواج وغير ذلك.

نشاط

اكتب في دفترك فائدة قيد «الشرعية» الواردة في تعريف الفقه.

ثانياً : موضوع علم الفقه

عرفت مما سبق أن الفقه الإسلامي يتعلق بأفعال الناس من صلاة وصيام وبيع وإجارة، من حيث بيان الحكم الشرعي لها: كوجوب الصلاة، وإباحة البيع، وشرط الوضوء للصلاة. وعليه فإن موضوع الفقه الإسلامي هو الأحكام المتعلقة بأفعال الناس. وهي شاملة لجميع أنشطة الفرد والجماعة، مثل العبادات كالصلاة والصيام

والحج، والمعاملات المالية التي تنشأ بين أفراد المجتمع من بيع وإجارة وهبة، ووديعة وشركة وغيرها من المعاملات المالية، والعلاقات الاجتماعية التي تنظم الأسرة من زواج وطلاق، ونسب ونفقة، والعلاقات السياسية التي تحدد علاقة الدولة بالأفراد من وجوب العدل والمساواة، واحترام حقوق الأفراد، وعلاقة الدولة بالدول الأخرى.

نشاط

اذكر موضعين آخرين من موضوعات علم الفقه واكتبهما في دفترك.

ثالثاً : أهمية علم الفقه

إن دراستك لعلم الفقه الإسلامي تحقق لك ولمجتمعك الذي تعيش فيه وللعالم بأكمله فوائد كبيرة نذكر منها:

١- **نيل رضا الله تعالى** : إن دراسة هذا العلم تحقق للدارس رضا الله تعالى وتوفيقه، والهداية إلى الخير، قال ﷺ: **«من يرد الله به خيراً، يفقهه في الدين»**(١).

٢- **تنظيم حياة الأفراد والجماعات** : إن معرفة الأحكام الفقهية المتعلقة بأفعال الناس، تعين المسلم على الالتزام بتلك الأحكام، من حلال وحرام، وتضبط حياة الأفراد والجماعات بمنهج شرعي رشيد، بعيداً عن التأثر بالأهواء والشهوات، والوساوس الشيطانية.

٣- **حل المشكلات الإنسانية** : إن دراسة الأحكام الفقهية تزود المسلم بالحلول الشرعية للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية، التي تعاني منها المجتمعات، كمشكلة الفقر والبطالة وغيرها.

٤- **معالجة القضايا المستجدة** : إن الفقه الإسلامي بما تضمّنه من مناهج في استباط الأحكام الشرعية يعين الدارس على معرفة الأحكام الشرعية للقضايا الحياتية التي تطرأ في المجتمع مثل حكم التأمين وأطفال الأنابيب.

٥- **تأكيد صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان** : الفقه الإسلامي بقدرته على معالجة القضايا المستجدة، يولد عند المسلم قناعة تامة بصلاحية الإسلام للتطبيق، في كل زمان ومكان، وبقدرته على استيعاب تطورات العصر، ومعطيات العلم.

---

(١) حديث صحيح، رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق.

الأسئلة

١- انقل إلى دفترك العبارات الآتية ثم ضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة:

أ - أصبح علم الفقه في عصر التدوين يطلق على:

١. العلم بأحكام الدين من عقائد وعبادات ومعاملات.

٢. العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية.

٣. العلم بأعمال القلوب من المقاصد والنيات.

٤. العلم بالأحكام الشرعية المتعلقة بالعقائد فقط.

ب - المراد بالأحكام الشرعية العملية الأحكام المتعلقة:

١. بأعمال الإنسان من صلاة وبيع ....

٢. بعمل الإنسان بيده.

٣. بالمعاملات المالية بين الناس.

٤. جميع ما ذكر.

٢- بَيِّن مجالات الفقه الإسلامي المتعلقة بالعلاقات الاجتماعية.

٣- بَيِّن أهمية الفقه الإسلامي بالنسبة للفرد المسلم.

٤- بَيِّن حول الفقه الإسلامي ادِّعاء قصوره عن معالجة قضايا العصر، ما ردك على هذه الشبهة؟

نشاط

اختر أحد النشاطين الآتيين:

- اكتب في دفترك مقالاً عن كيفية معالجة الإسلام لمشكلة الفقر.
- اكتب في دفترك مقالاً عن كيفية معالجة الإسلام لمشكلة البطالة.

الدرس الثاني

نشأة المذاهب الفقهية

عرفت أن الفقه الإسلامي هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية، فكيف نشأ علم الفقه، وكيف تكوّنت المذاهب الفقهية؟

أولاً : نشأة الفقه الإسلامي

ابتدأ الفقه الإسلامي منذ عهد النبي ﷺ فقد أنزل الله تعالى على سيدنا محمد ﷺ القرآن الكريم، متضمناً لكثير من الأحكام العملية، التي يحتاجها الفرد المسلم، والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم، وقد تناولت آيات القرآن الكريم أحكاماً، مثل الصلاة والزكاة والصيام والحج، والجهاد في سبيل الله، والزواج والطلاق، والميراث، وغير ذلك. والناظر في آيات الأحكام يجد أنها تعرضت للقضايا الكلية، دون أن تدخل في التفاصيل غالباً، ولهذا كان النبي ﷺ يفصل ما يحتاج إلى تفصيل، ويبيّن ما يحتاج إلى بيان، وقد يأتي بأحكام لم ترد في القرآن، وقد أعطي هذا الحق من الله تعالى، فقال الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١)

وقال الله تعالى مخاطباً المسلمين: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾(٢)

وقد ظل الوحي سواء أكان قرآناً أم سنة نبوية، المرجع الأساس للفقه الإسلامي ولاجتهادات الصحابة رضوان الله عليهم، فحينما كانت تعرض لهم قضية ويحتاجون للحكم فيها يرجعون للقرآن وإلى النبي ﷺ لبيان حكمها في دين الله تعالى.

روى النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج. وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله تعالى أفضل مما قلتم. فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وهو يوم جمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله تعالى:

﴿ * أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾(٣)

---

(١) سورة النحل، الآية (٤٤).

(٢) سورة الحشر، الآية (٧).

(٣) سورة التوبة، الآية (١٩).

ثانياً : الاختلاف الفقهي في عصر الصحابة رضوان الله عليهم

بعد وفاة النبي ﷺ ومجيء عهد الصحابة، رضوان الله عليهم، ونتيجة لاتساع رقعة الدولة الإسلامية بفتح بلاد الشام ومصر والعراق ظهرت وقائع جديدة تحتاج إلى أحكام شرعية، وكان منهج الصحابة، رضوان الله عليهم، في استنباط الأحكام يتمثل في:

١- الرجوع إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فإن وجدوا فيهما حكماً للواقعة عملوا بمقتضاه.

٢- وإن لم يجدوا فيهما حكماً اجتهدوا وأعملوا فكرهم لاستنباط حكم لها، فإن اتفقوا على رأي واحد، كان إجماعاً كإجماعهم على جمع المصحف في زمن أبي بكر رضي الله عنه، وإجماعهم على مقاتلة المرتدين بعد التشاور وتداول الآراء في ذلك.

٣- وإن اختلفوا بقي كل صاحب رأي على رأيه، إلى أن يظهر لأحدهم أن الحق في رأي غيره لظهور دليل من الكتاب أو السنة، فإن ظهر له ذلك سارع بالرجوع إليه، والتسليم له، وخير مثال على ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أنه كان يرى أن امرأة المقتول ليس لها نصيب في ديته، وإنما توزع الدية جميعها على أقاربه دون الزوجة. فلما كتب إليه الضحاك بن سفيان الكلابي أن رسول الله ﷺ: «**ورّث امرأة أشيم الضبابي، رضي الله عنه، دية زوجها**»[1] سارع عمر، رضي الله عنه، إلى الرجوع عن رأيه. وقال لو لم نسمع بهذا لقضينا بخلافه.

٤- وإذا لم يظهر دليل يستدعي الرجوع عن الرأي، بقي الاختلاف الفقهي بين الصحابة ولم يكن ذلك يؤثر في أخوتهم، وما أنشأه الإيمان فيهم من توادد ومحبة، فالاختلاف لا يفسد للود قضية، كما لا يفسد الاحترام المتبادل بينهم، ولو كان صاحب الرأي الآخر صاحب سلطة ونفوذ. فقد روي عن عمر، رضي الله عنه، في أثناء خلافته أنه لقي رجلاً له قضية فسأله ماذا صنعت؟ فقال الرجل: قضى علي بن أبي طالب بكذا. فقال عمر: لو كنت أنا لقضيت بكذا، فقال الرجل: ما يمنعك والأمر إليك، فأجابه عمر: لو كنت أردُّك إلى كتاب الله أو إلى سنة رسول الله ﷺ لفعلت، ولكني أردّك إلى رأيي، والرأي مشترك، ولست أدري أيّ الرأيين أحق؟

وبعد عصر الصحابة، رضوان الله عليهم، ازدادت الوقائع الجديدة، وكثرت الاجتهادات الفقهية، نتيجة وجود طرائق مختلفة لاستنباط الأحكام الشرعية، وتمايزت هذه الطرائق إلى أن ظهرت المذاهب الفقهية.

---

(٢) حديث حسن، رواه الإمام مالك في الموطأ، كتاب العقول، باب ميراث العقل، تنوير الحوالك، ٢١٩٠ وابن ماجه في سننه، كتاب الديات، باب الميراث من الدية، ٨٨٣/٢ .

الأسئلة

١- ما مصادر الفقه الإسلامي في عصر النبي ﷺ؟

٢- كيف كان الصحابة يحسمون الخلافات الفقهية فيما بينهم؟

٣- انقل إلى دفترك العبارات الآتية: ثم ضع كلمة (صح) أمام العبارة الصحيحة، وكلمة (خطأ) أمام العبارة الخاطئة.

أ - الجمع الأول للقرآن الكريم حدث في عهد عثمان بن عفان، رضي الله عنه.

ب- الرسول ﷺ يأتي بأحكام غير موجودة في القرآن الكريم.

جـ - الجهاد في سبيل الله أفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام.

د - نشأ الفقه الإسلامي بعد وفاة النبي ﷺ.

المذاهب الفقهية

عرفت أن الفقهاء اختلفوا في فهم النصوص واستنباط الأحكام، وقد كان لكبار هؤلاء الفقهاء قواعد ومناهج في الاستنباط واستخراج الأحكام، مما ترتب عليه ظهور مدارس فقهية تميز بعضها عن بعض، وأهم هذه المدارس هي:

١- المذهب الحنفي.

٢- المذهب المالكي.

٣- المذهبي الشافعي.

٤- المدهب الحنبلي.

وفي هذا الدرس تعريف بمؤسسي هذه المذاهب والأصول التي اعتمدها كل إمام في استنباط الأحكام الفقهية.

أولاً : المذهب الحنفي

١- **مؤسس المذهب الحنفي**: ينسب المذهب الحنفي إلى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت، المولود في مدينة الكوفة بالعراق سنة (٨٠)هـ، نشأ الإمام أبو حنيفة في الكوفة وبغداد، واهتم بالعلم منذ الصغر، حتى بلغ في العلم منزلة عظيمة لم يصل إليها أحد من أقرانه.

وقد شهد له بذلك كثير من العلماء منهم الإمام الشافعي، الذي قال فيه: «ما رأيت أحداً أفقه من أبي حنيفة».

وأخذ رحمه الله العلم عن عدد كبير من العلماء، منهم حماد بن أبي سليمان فقيه أهل الرأي في العراق، إذ لازمه الإمام أبو حنيفة ما يقرب من ثمانية عشر عاماً، وأخذ عن فقهاء أهل الحديث مثل عطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى عبد الله بن عباس، ونافع مولى عبد الله بن عمر.

اشتغل الإمام أبو حنيفة بتجارة الحرير، وكان أميناً في تجارته، صادقاً في تعامله، وكان رحمه الله تعالى، تقياً، ورعاً، فقد رفض منصب القضاء الذي عرض عليه مرات عدة خشية أن يحكم بحكم لا يرضى الله عنه، توفي رحمه الله ببغداد سنة (١٥٠) هـ.

٢- **أصول مذهبه**: **اعتمد** رحمه الله في استنباط الأحكام على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والإجماع وأقوال الصحابة والقياس، والاستحسان وغيرها، واشترط في مجال السنة شروطاً زائدة على غيره لقبول الحديث وعدّه حجة في الأحكام الشرعية، ومن هذه الشروط:

أ - أن يكون الحديث مشهوراً إذا كان موضوعه مما يكثر وقوعه بين الناس، كرفع اليدين عند الركوع في الصلاة، ولذلك لم يعمل بما جاء في رفع اليدين من أحاديث لأنها لم تصل إلى حد الشهرة بين الناس.

ب- أن لا يعمل راوي الحديث بخلاف ما يرويه، ولهذا لم يعمل أبو حنيفة بحديث: «**إذا ولغ الكلب في أناء**

أحدكم فليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب» لأن أبا هريرة راوي الحديث عمل بخلاف الحديث فغسل الإناء الذي ولغ فيه الكلب ثلاث مرات فقط.

وقد ترتب على هذه الشروط عدم العمل بكثير من أحاديث الآحاد، واللجوء إلى القياس والاجتهاد والإكثار منهما.

٣- **تلاميذ الامام أبي حنيفة** : للإمام أبي حنيفة عدد من الأصحاب والتلاميذ دونوا فقهه، ونشروه في بلاد المسلمين منهم: أبو يوسف القاضي، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، الذي تولى القضاء حتى وصل منصب قاضي القضاة، ومحمد بن الحسن الشيباني.

٤- **أهم كتب المذهب الحنفي** : تنوعت كتب المذهب الحنفي، ومن أهمها: الهداية شرح بداية المبتدي لعلي المرغيناني.

ثانياً : المذهب المالكي

١- **مؤسس المذهب المالكي**: ينسب المذهب المالكي إلى الإمام مالك بن أنس، الذي ولد بالمدينة المنورة سنة (٩٣) هـ، وعاش حياته فيها ولم يفارقها إلا للحج، تلقى العلم عن علماء المدينة مثل نافع وابن شهاب الزهري وغيرهما. وكان رحمه الله شغوفاً بطلب العلم، حريصاً عليه، صبوراً على المشاق في سبيله، حتى باع سقف بيته وأنفقه في طلب العلم. وكان شديد الاحترام والتعظيم للعلم، فلا يجلس لرواية الأحاديث إلا بعد أن يغتسل، ويلبس أحسن ثيابه، ويضع الطيب. ولما تم تكوينه العلمي لم يتقدم للفتوى إلا بعد أن شهد له سبعون عالماً بأنه أهل لذلك. وكان رحمه الله، على درجة عالية من التقوى، حتى قال فيه ابن مهدي: «ما رأيت أحداً أتم عقلاً، ولا أشد تقوى من مالك»، توفي رحمه الله بالمدينة المنورة، ودفن بها سنة (١٧٩ هـ).

٢- **أصول المذهب المالكي**: يعتمد المذهب المالكي في الاستنباط الفقهي على الأصول نفسها التي اعتمدها الإمام أبو حنيفة إلا أن مذهب الإمام مالك اختص بعدة أمور منها:

أ - اشترط لقبول حديث الآحاد أن يكون موافقاً لعمل أهل المدينة، لقرب عهدهم برسول الله ﷺ ، ولأن أهل المدينة لا يقومون بأعمال تخالف الإسلام، لأن الرسول ﷺ عاش بينهم وكانت حياتهم تطبيقاً للإسلام. ولهذا لم يأخذ بحديث: «**البيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا**»[1] فالإمام مالك لم يعمل بمقتضى هذا الحديث، لأنه يخالف عمل أهل المدينة، فقد جرى العمل عندهم على لزوم العقد بعد انعقاده، ولا يحق لأحدهما الرجوع عنه. بينما أعطى هذا الحديث المتبايعين حق الرجوع عن العقد، وفسخه ما داما في المجلس الذي انعقد فيه العقد، أما إذا افترقا فلا يجوز لأحدهما الرجوع عن العقد.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البيوع ، باب ثبوت خيار المجلس

ب- توسع الإمام مالك في العمل بالمصالح المرسلة، فقال في زوجة المفقود إن لها أن تعتد وتتزوج بعد أربع سنين من انقطاع أخبار زوجها، مرجحاً مصلحة الزوجة على مصلحة الزوج الغائب.

٣- **كتب الإمام مالك** :ترك الإمام كتباً قيمة في الفقه والحديث نذكر منها:

أ - **المدونة الكبرى**: وهي تشتمل على المسائل الفقهية التي رواها عنه تلاميذه، فقد رواها سحنون عن عبد الرحمن بن القاسم، وكان لها أكبر الأثر في حفظ المذهب.

ب- **الموطأ**: وهو يشتمل على أحاديث النبي ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين وفتاواهم مرتبة على أبواب الفقه، وهو في الحقيقة ثروة غنية في الحديث والفقه.

٤- **تلاميذ الامام مالك**: ترك الإمام مالك عدداً كبيراً من التلاميذ عملوا على نشر مذهبه منهم:

أ - ابن القاسم: هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم، الذي روى عن الإمام مالك المدونة.

ب- سحنون: هو عبد السلام بن سعيد التنوخي، الذي روى المدونة الكبرى عن ابن القاسم.

٥- **أهم الكتب في المذهب المالكي**: بالإضافة إلى كتاب «المدونة الكبرى» يوجد كثير من الكتب المعتمدة في المذهب منها: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، لمحمد بن عرفة الدسوقي.

ثالثاً : المذهب الشافعي

١- **مؤسس المذهب الشافعي**: ينسب هذا المذهب إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي ولد في مدينة غزة سنة (١٥٠ هـ)، نشأ يتيماً فقيراً حيث توفي والده بغزة والشافعي ابن سنتين، فانتقلت به أمه إلى مكة المكرمة موطن آبائه وعشيرته فنشأ بها وحفظ القرآن الكريم صغيراً، وأقام بالبادية مدة فأفاد الفصاحة والأدب والشعر، وتفقه في مكة على مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة المكرمة في ذلك الوقت. ورحل الشافعي في طلب العلم إلى المدينة المنورة فتلقى الفقه والحديث عن الإمام مالك بن أنس، ثم سافر إلى العراق وأخذ الفقه عن محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة رحمه الله، ثم سافر إلى مصر وأقام فيها إلى أن توفي سنة (٢٠٤ هـ). قال فيه الإمام أحمد بن حنبل: «كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن، فانظر هل لهذين من عوض أو خلف». وقد كان رحمه الله غاية في الشجاعة والكرم.

٢- **أصول مذهب الشافعي** : يتفق الإمام الشافعي في أصول أدلة الأحكام مع المذاهب الأخرى في اعتماد الكتاب والسنة والإجماع والقياس أصولاً لاستنباط الأحكام الشرعية، ومما يميز مذهب الشافعي عن المذاهب الأخرى ما يأتي:

أ - أنه يقف عند ظواهر النصوص من القرآن والسنة، حتى يقوم دليل آخر على أن المراد غير ظاهر النص، فقد فسّر قوله تعالى : ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[1] بالمباشرة باليد في حين فسرها أبو حنيفة بالجماع .

---

(١) سورة النساء، الآية (٤٣).

ب- يأخذ بحديث الآحاد إذا كان راويه ثقة ضابطاً ما دام متصلاً برسول الله ﷺ.

جـ - يأخذ الشافعي بقول الصحابي في الأحكام إذا لم يعلم له مخالف. أما إذا كان للصحابة أقوال مختلفة في المسألة، فإنه يأخذ من تلك الأقوال ما يراه أقرب إلى القرآن والسنة.

د - لم يأخذ بالاستحسان وكتب كتاباً في إبطاله، بحجة أن الاستحسان لا ضابط له.

٣- **كتب الإمام الشافعي**: بالإضافة إلى كتاب «إبطال الاستحسان»، كتب الشافعي كتباً عدة في الفقه والأصول منها.

أ - **كتاب الحُجة**: وهو الكتاب الذي يشتمل على الأحكام الفقهية التي أفتى بها الإمام الشافعي في العراق.

ب- **كتاب الأم**: وهو الكتاب الذي يشتمل على المسائل التي أفتى بها الإمام الشافعي في مصر، وما استقر عليه من المذهب.

جـ- **كتاب الرسالة**: وهو الكتاب الذي وضع فيه علم أصول الفقه، ويشتمل على أصول مذهبه.

٤- **تلاميذ الإمام الشافعي**: للإمام الشافعي تلاميذ أسهموا في نقل فقهه ونشر مذهبه منهم.

أ - البويطي: يوسف بن يحيى البويطي.

ب- المزني: إسماعيل بن يحيى المزني المصري، له كتاب مختصر في الفقه الشافعي، يعرف باسم مختصر المزني.

٥- **أشهر كتب المذهب الشافعي**: **مغني** المحتاج، للخطيب الشربيني.

رابعاً : المذهب الحنبلي

١- **مؤسس المذهب الحنبلي**: ينسب المذهب الحنبلي إلى الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، ولد ببغداد سنة (١٦٤ هـ) ونشأ بها. توفي أبوه وهو صغير فقامت أمه على تربيته وتنشئته. رحل في طلب العلم إلى الكوفة والبصرة، والمدينة المنورة، والشام واليمن، وتلقى العلم من مشاهير علماء الأمصار، التي رحل إليها، مثل الإمام محمد بن إدريس الشافعي.

وكان الإمام أحمد يتمتع بقوة الفهم والإدراك والحفظ، فقد حفظ عدداً كبيراً من أحاديث الرسول ﷺ ، وكان الإمام كثير التصدق بالمال على الفقراء والمحتاجين، توفي رحمه الله ببغداد سنة (٢٤١ هـ).

٢- **أصول مذهب الإمام أحمد** : يتفق المذهب الحنبلي في أصول أدلة الأحكام الشرعية مع بقية المذاهب فهو يعتمد على القرآن والسنة والإجماع والقياس، ويضيف إليها الاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع ، ولكنه يقدّم الأحاديث وأقوال الصحابة على الاجتهاد، من قياس واستحسان ومصالح مرسلة. ولو كان الحديث ينتابه بعض الضعف، بشرط أن لا يكون الضعف شديداً يغلب على الظن أنه ليس من أحاديث النبي ﷺ.

٣- **كتب الإمام أحمد**: كتب الإمام أحمد كتباً عدة أهمها «مسند الإمام أحمد». جمع فيه ما رواه من أحاديث، وهي تبلغ ما يقرب من (٤٠) ألف حديث انتقاها من (٧٥٠) ألف حديث، والمسند مرتب على طريقة المسانيد المعروفة في علم الحديث.

٤- **تلاميذ الإمام أحمد**: تتلمذ على الإمام أحمد عدد كبير من التلاميذ منهم :

أ - ابناه صالح وعبد الله، فقد روى عبد الله عن أبيه المسند وقيل أنه هو الذي رتبه على طريقة المسانيد، ثم زاد على ما جمعه أبوه من أحاديث، بقصد زيادة الفائدة.

ب- إسحق التيمي وهو أبو يعقوب المروزي ولد بمرو، كتب عن الإمام أحمد كثيراً من مسائل الفقه.

٥- **أشهر كتب المذهب الحنبلي**: المغني: لابن قدامة المقدسي.

شرح منتهى الإرادات: لمنصور بن يونس البهوتي.

الأسئلة

١ - بماذا تعلّل امتناع أبي حنيفة عن قبول منصب القضاء؟

٢ - بَيِّن أصول مذهب الإمام أبي حنيفة في الاجتهاد.

٣ - لماذا كثر استعمال القياس في المذهب الحنفي؟

٤ - ماذا يشترط الإمام مالك لقبول حديث الآحاد؟

٥ - اذكر مثالاً فقهياً على سد الذرائع الذي استخدمه الإمام مالك.

٦ - ما موقف الإمام الشافعي من الاستحسان؟

٧ - ما موقف الإمام الشافعي من أقوال الصحابة المختلفة؟

٨ - بَيِّن الأصول التي اعتمدها الشافعي في الاجتهاد.

٩ - بَيِّن موقف الإمام أحمد من العمل بالحديث الضعيف.

١٠- ضع رمز الكتاب من القائمة الأولى في مربع العبارة التي تناسبه في القائمة الثانية:

أ - كتاب الحجة يشتمل على	☐ المذهب الجديد من الفقه الشافعي.
ب- كتاب إبطال الاستحسان يشتمل على	☐ أصول الفقه.
جـ- كتاب الأم يشتمل على	☐ المذهب القديم من الفقه الشافعي.
د - كتاب الرسالة يشتمل على	☐ الرد على من قال بالاستحسان.
	☐ بر الوالدين وبخاصة الأم

الأسئلة

١١- انقل إلى دفترك العبارات الآتية، ثم ضع دائرة حول الإجابة الصحيحة.

أ - لم يعمل أبو حنيفة بحديث ولوغ الكلب لسبب:

١- ضعف الحديث عنده.

٢- عدم اشتهار الحديث.

٣- مخالفة الحديث للعقل.

٤- عمل راوي الحديث بخلافه.

ب- لم يتقدم الإمام مالك للفتوى إلا بعد أن:

١- صنف كتاب الموطأ.

٢- سافر إلى العراق.

٣- شهد له سبعون عالماً بالقدرة على ذلك.

٤- صنف كتاب المدونة.

جـ - لم يستدل الإمام مالك بحديث: «البيعان بالخيار مالم يتفرقا» لأنه:

١- ضعيف السند والمتن.

٢- غير مشهور.

٣- يخالف عمل الراوي.

٤- يخالف عمل أهل المدينة.

تقنين الفقه الإسلامي

ترتب على اجتهادات الفقهاء وأصحاب المذاهب وجود ثروة كبيرة من الأحكام والمصطلحات الفقهية المنبثة في ثنايا الكتب والموسوعات الفقهية، بحيث يصعب على القضاة الإلمام بتلك الأحكام، والرجوع إليها عند الحكم في قضية من القضايا، مما دفع بعض العلماء إلى التفكير بطريقة تسهِّل على القضاة مهمتهم، فما هذه الطريقة؟ وما أهميتها بالنسبة للقاضي؟

أولاً : مفهوم تقنين الأحكام الفقهية

المراد بالتقنين: صياغة الأحكام الفقهية في صورة مواد قانونية مُلزمة ومبوبة، بحسب الموضوعات التي تنتظمها.

وهذا العمل يحتاج إلى لجنة من العلماء تقوم بمراجعة الأحكام في المذاهب الفقهية المختلفة، ومناقشة أدلتها، والخروج بالرأي الراجح. وصوغ الآراء الراجحة في قواعد قانونية، وترتيبها ترتيباً حسب الموضوعات. وعرضها على الجهات المختصة في الدول من أجل اعتمادها ووضعها موضع التنفيذ. كي يلتزم بها جميع القضاة في تلك الدولة. مثل قوانين الأحوال الشخصية المطبقة في المحاكم الشرعية في المملكة الأردنية الهاشمية والبلاد العربية.

نشاط

اذكر موضوعاً من الفقه الإسلامي تم تقنينه في المملكة الأردنية الهاشمية واكتبه في دفترك.

ثانياً : نشأة التقنين

يُرجع العلماء نشأة تقنين الفقه الإسلامي إلى زمن أبي جعفر المنصور. إذ عرض عليه عبد الله بن المقفع تدوين مدونة فقهية تلزم الدولة بها جميع الأفراد، ولكن العلماء رأوا عدم الحاجة لذلك لأمرين:

١- قلة الاجتهادات الفقهية.

٢- إن القاضي كان مجتهداً عارفاً بمواطن الاتفاق والاختلاف فلا داعي للتقنين.

ولكن بعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وكثرت الاجتهادات الفقهية، ظهرت الحاجة للتقنين بخاصة في القرنين الأخيرين، فقد اهتم السلطان عالمكير الهندي بهذا الأمر وشكل لجنة علمية لذلك، فوضعت كتاب الفتاوى

الهندية في المذهب الحنفي، إلا أن الدولة لم تلزم القضاة به، لأنه لم يكن تقنيناً بالمعنى المقصود، وإنما كان كتاباً فقهياً تعليمياً ثم توالى الاهتمام بتقنين الأحكام الفقهية بعد ذلك، حتى ظهرت قوانين عدة في المعاملات المالية والأحوال الشخصية في عصر الدولة العثمانية، مثل مجلة الأحكام العدلية، والتي تعد أول تقنين للأحكام الفقهية في البلاد الإسلامية.

ثالثاً : أهمية تقنين الأحكام الفقهية

أدى تقنين الأحكام الفقهية إلى كثير من الفوائد نذكر منها :

١- **تسهيل مهمة القاضي في الرجوع إلى الأحكام الفقهية**: إذ إنّ تقنين الأحكام يؤدي إلى جمع تلك الأحكام وترتيبها ترتيباً موضوعياً يسهل على القاضي الرجوع إلى القاعدة التي يريدها للحكم في القضية المعروضة عليه.

٢- **تحديد الرأي المعتمد في الفقه الإسلامي**: والتقنين كذلك يريح القاضي عن عناء المقارنة بين الآراء والمناقشة للأدلة والخروج بالرأي الراجح، فهو يجد الرأي الراجح المعتمد ويطبقه مباشرة.

٣- **وحدة أحكام القضاة**: إن ترك أمر تطبيق الأحكام الفقهية لاجتهاد القاضي واختياره من الآراء الفقهية، يؤدي إلى تباين الأحكام القضائية الصادرة عن القضاة في قضية واحدة، الأمر الذي يجعل الناس يشعرون بعدم تحقق المساواة بينهم، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى بلبلة واضطراب، وعدم الثقة بالقضاة، ولمنع ذلك لا بد من تقنين الأحكام الفقهية، وتحديد الآراء المناسبة للتطبيق في كل عصر، فتكون موحدة في جميع أرجاء الدولة التي تعتمد ذلك التقنين.

نشاط

اذكر فائدة أخرى لتقنين الأحكام الفقهية واكتبه في دفترك.

رابعاً : أمثلة تطبيقية

١- **مجلة الأحكام العدلية صدرت سنة (١٢٩٣هـ/١٨٧٦م)** : **أحسّت** الدولة العثمانية بحاجة القضاة إلى تقنين الأحكام الفقهية، فشكلت لجنة من سبعة فقهاء بارزين برئاسة وزير العدلية سنة (١٢٨٥هـ/ ١٨٦٩)، لتقنين أحكام المعاملات المالية في الفقه الحنفي وتنظيمها.

واستمرت اللجنة في عملها سبع سنوات استطاعت أن تضع مجلة الأحكام العدلية بعد المقارنة بين الأقوال في المذهب الحنفي، وترجيح الأقوال المناسبة فيه، وصياغة تلك الأحكام صياغة قانونية في شكل مواد متسلسلة، بلغت (١٨٥١) مادة اشتملت على أبواب في المعاملات مثل البيوع والإجارات والكفالة. إضافة إلى اشتمالها على قواعد فقهية تعين القاضي في أداء مهمته، مثل قاعدة: «لا ضرر ولا ضرار».

وبعد انتهاء اللجنة من إعداد المجلة عرضتها على الجهات المختصة، وتم اعتمادها من قبل الدولة العثمانية سنة (١٢٩٣هـ-١٨٧٦م)، وصدرت الإرادة السلطانية بتطبيقها في جميع البلاد التابعة للدولة العثمانية، مثل تركيا وبلاد الشام والعراق وليبيا.

٢- **القانون المدني الأردني (١٩٧٧م)** : **استمر** تطبيق مجلة الأحكام العدلية في كثير من الدول العربية، ومع طول المدة أحست بعض الدول بضرورة إجراء تعديلات عليها، ومن بين هذه الدول المملكة الأرنية الهاشمية، التي رأت أن المجلة يلاحظ عليها الأمور الآتية:

أ - التزام المجلة بمذهب واحد وهو المذهب الحنفي. وهذا ما جعلها غير قادرة على مجاراة التطور والحاجات المتجددة للأمة.

ب- عدم اتفاق أسلوبها مع أسلوب التقنين التشريعي المعاصر.

جـ- ظهور بعض المعاملات الجديدة، التي لم تكن موجودة وقت تدوين المجلة، ويحتاج القضاة إليها اليوم.

وبناء على هذه الملاحظات قرّرت المملكة الأردنية الهاشمية، وضع قانون يعتمد على مجلة الأحكام العدلية، وأحكام الفقه الإسلامي على اختلاف مذاهبه، والإفادة من التقنيات المعاصرة فيما لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية سُمي بالقانون المدني، وشكلت لهذا الغرض في سنة (١٩٦٥م) لجنة تتكون من بعض أعضاء مجلس الأعيان والنواب، والقضاة وعلماء الشريعة الإسلامية، على أن تستعين هذه اللجنة، بمن تشاء من علماء الشريعة والقانون.

ثم أعيد تشكيل هذه اللجنة في سنة (١٩٧١م)، وقد استطاعت اللجنة الجديدة وضع قانون مدني بعد خمس سنوات، ووضع موضع التنفيذ من قبل الدولة في سنة (١٩٧٧م)، ويقع في (١٤٤٩) مادة، في عقود البيوع والإجارة والتأمين وغير ذلك.

وقد أفادت كثير من الدول العربية من هذا القانون واعتمده وزراء العدل العرب أساساً لمشروع قانون المعاملات المالية الموحد للدول العربية.

٣- **قانون الأحوال الشخصية الأردني (١٩٧٦م)** : **كانت** الأردن منذ تأسيس الإمارة تطبق قانون حقوق العائلة العثماني، المستمد من المذاهب الفقهية الأربعة الذي أصدرته الدولة العثمانية.

وفي سنة (١٩٤٧م) صدر قانون حقوق العائلة الأردني المؤقت. وفي سنة (١٩٥١م) صدر قانون حقوق العائلة، واستمر العمل به حتى سنة (١٩٧٦م) وهي السنة التي صدر فيها قانون الأحوال الشخصية الأردني الذي نحن بصدده، وما يزال هذا القانون ساري المفعول حتى يومنا هذا، وبموجبه تحكم المحاكم الشرعية الأردنية.

ويشتمل قانون الأحوال الشخصية على (١٨٧) مادة في أحكام الزواج والطلاق والنفقات والنسب والوصايا والميراث وغيرها، وفق المذاهب الفقهية الأربعة، وفي حالة عدم وجود نص فيه، يرجع القاضي إلى الرأي الراجح من المذهب الحنفي.

الأسئلة

١ - بيّن المراد بتقنين الأحكام الفقهية.

٢ - كيف أدى تقنين الأحكام الفقهية إلى تسهيل مهمة القاضي؟

٣ - يؤدي تقنين الأحكام الفقهية إلى وحدة المجتمع ، بيّن هذا الأثر.

٤ - بيّن الأسباب الموجبة لإجراء التعديلات على مجلة الأحكام العدلية في المملكة الأردنية الهاشمية.

٥ - بيّن أثر القانون المدني الأردني في القوانين الأخرى.

٦ - انقل في دفترك العبارات الآتية، ثم ضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة:

أ - ترجع فكرة التقنين إلى عصر.

١- هارون الرشيد.

٢- عمر بن الخطاب.

٣- أبي جعفر المنصور.

٤- سليمان القانوني.

ب- يرجع سبب عدم التقنين في العصور الأولى إلى:

١- قلة الاجتهادات الفقهية.

٢- التزام القاضي بمذهب محدد.

٣- عدم قدرة العلماء على الصياغة القانونية.

٤- عدم اهتمام الفقهاء بالاجتهاد.

جـ- طبقت المملكة الأردنية الهاشمية في بداية عهدها في مجال الأحوال الشخصية:

١- قانون الأحوال الشخصية.

٢- قانون حقوق العائلة الأردني.

٣- قانون الأحوال الشخصية السوري.

٤- قانون حقوق العائلة العثماني.

الدرس الخامس

التأمين

أدى التقدم العلمي إلى ازدهار المعاملات التجارية، حيث أقيمت المصانع، وتنوعت وسائل النقل، من قطارات وسيارات وطائرات وسفن ضخمة، وواكب هذا التقدم وجود مؤسسات مالية وشركات تجارية كبيرة.

إن تعرض هذه المؤسسات إلى المخاطر يؤدي إلى فداحة الأضرار التي تلحق بالأفراد والمجتمعات، الأمر الذى أدى إلى التفكير في إيجاد وسيلة تعمل على تفتيت الأضرار الناتجة عن تلك المخاطر. ومن أهم هذه الوسائل التأمين، فما مفهوم التأمين؟ وما أهميته؟ وما أنواعه؟ وما حكم كل منها؟

أولاً : مفهوم التأمين

التأمين في اللغة: مأخوذ من الأمان، وهو زوال الخوف والفزع، قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾[1]

والتأمين في الاصطلاح: تفتيت آثار المخاطر والمصائب وتوزيعها على مجموعة من الناس المشتركين في التأمين فلا يتحمل عبئها المصاب وحده.

ثانياً : أهمية التأمين

للتأمين القائم على مبدأ التعاون والتكافل الاجتماعي فوائد عدة منها :

١- تخفيف آثار المصائب والنكبات التي تصيب الأفراد حيث يؤدي إلى معرفة المصابين والمنكوبين وقت البلاء عن طريق توزيع المخاطر والمصائب على مجموعة من الناس المشتركين فيه.

٢- طمأنة النفس وزوال الخوف من المخاطر المحتملة، فحينما يحس الفرد بأن حاجاته وحاجات أولاده مُؤمَّنة في حالات الطوارىء والأحوال غير العادية ترتاح نفسه ويطمئن وتستقر حياته.

٣- ادخار الأموال وتوفيرها، فالموظف مثلاً يجد بعد انتهاء خدمته مبلغاً من المال يستعين به في شيخوخته.

٤- التحابب والتواد وتماسك المجتمع.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية (٣٥).

ثالثاً: أنواع التأمين وحكم كل منها

التأمين أنواع منها :

١- **التأمين التعاوني**: وهو الذي تقوم به الحكومات أو المؤسسات لتأمين الموظفين والعاملين لديها من إصابات المرض والعجز والشيخوخة، وهو يشتمل على صور عِدَّة منها :

أ - **نظام تقاعد الموظفين**: ويتم بموجبه إعطاء الموظف مرتباً شهرياً بعد بلوغه سناً معينة في الوظيفة مقابل اقتطاع جزء من راتبه يوضع في صندوق خاص يسمى صندوق تقاعد الموظفين.

ب- **نظام الضمان الاجتماعي**: ويتم بموجبه تعريض الموظف في حالة الإصابة بالمرض أو العجز أو الشيخوخة أو إعطاؤه راتباً شهرياً مقابل جزء من راتبه لصالح مؤسسة الضمان الاجتماعي حيث تقوم المؤسسة بإدارة هذه الأموال وتنميتها.

جـ- **التأمين الصحي**: ويتم بموجبه تقديم العلاج لمن يصاب بمرض مقابل قسط شهري يقتطع من راتب المشترك.

حكم التأمين التعاوني :

هذا النوع من التأمين بجميع صوره جائز شرعاً لأنه ينسجم مع مقاصد الشريعة التي تدعو إلى التعاون والتكافل الاجتماعي لقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[1]

ولقوله ﷺ: **(ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)**[2] ولقوله ﷺ: **(إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم)**[3].

ويقوم هذا النوع من التأمين على أساس كفالة الحكومة أو المؤسسة للعاملين فيها، ولا يقصد منه تحقيق الربح. وينبغي أن يراعى في استثمار الأموال المودعة في تلك الصناديق الابتعاد عن المحظورات الشرعية كالربا وغيره.

نشاط

اذكر أدلة أخرى على تأمين الحاجات الضرورية للإنسان.

٢- **التأمين التبادلي**: هو التأمين الذي تقوم به الجمعيات الخيرية والتعاونية لتأمين حاجات المنتسبين إليها، ولا يقصد من هذا النوع تحقيق الأرباح، ويقوم على أساس التبرع. ومن أمثلة ذلك الجمعيات الخيرية التي

---

(١) سورة المائدة، الآية (٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام، ١٠٩/٣ .

تنشأ بين أهل بلدة معينة، فيجمعون من بعضهم أموالاً بصورة دورية توضع في صندوق يصرف منه لمن أصيب بضرر من المشتركين.

حكم التأمين التبادلي

هذا النوع من التأمين جائز شرعاً، لأنه يقوم على أساس التبرع والتكافل الاجتماعي بين الأفراد المشتركين في الجمعية، ولا مانع من استثمار الجمعية بما يعود عليها بالنفع شريطة أن تكون طرق الاستثمار مشروعة.

نشاط

ما الفرق بين التأمين التبادلي والتأمين التعاوني؟

٣- **التأمين التجاري**: وهذا التأمين نوعان هما : التأمين التجاري التقليدي، والتأمين التجاري الإسلامي.

النوع الأول: التأمين التجاري التقليدي: وهو النوع الذي تقوم به شركات متخصصة بقصد الحصول على الربح على أساس عقد بين طرفين هما: شركة التأمين، والشخص المؤمن، تتعهد الشركة بموجبه أو تؤدي إلى الشخص المؤمَّن له مبلغاً من المال في حالة وقوع الحادث المؤمِّن ضده مقابل أن يدفع الشخص المؤمن له قسطاً دورياً للشركة، وقد اصطلح على تسمية هذا العقد بوثيقة التأمين، أو بوليصة التأمين.

والتأمين التجاري يشمل التأمين على ما يأتي:

أ - **الأموال**: وهو التأمين على الأموال من الأخطار التي تهدد سلامتها، كالتأمين على المحل التجاري من الحريق، والتأمين على وسائل النقل المختلفة، والبضائع التي تنقلها.

ب- **الأشخاص**: ويشمل التأمين من الإصابات والتأمين على الحياة. وتتعهد الشركة بموجبه أن تدفع مبلغاً من المال للمؤمن له عند وقوع إصابة بدنية مقابل دفعه أقساطاً معلومة، وفي حالة التأمين على الحياة تدفع الشركة مبلغاً مالياً لورثته عند وفاته.

حكم التأمين التجاري التقليدي

عقد التأمين التجاري عقد معاوضة ملزم لطرفي العقد، تأخذ الشركة بموجبه قسط التأمين، ويأخذ المؤمن له التعويض في حالة حصول المخاطر أو الحوادث وقد لا يحصل عليه، لأن حصوله عليه مرتبط بوقوع الحادث، وهو احتمالي قد لا يقع فالمعاوضة بين المتعاقدين في هذا العقد احتمالية لهذا فإن التأمين التجاري غير جائز شرعاً لما يأتي:

١- لأنه عقد معاوضة يتضمن الغرر الكثير، **وقد نهى النبي ﷺ عن بيع الغرر**[1].

٢- لأنه يشتمل على الربا، إذ الشركات تستثمر أموالها غالباً بطريق الربا.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البيوع ١١٥٢/٣ .

النوع الثاني: التأمين التجاري الإسلامي

أنشئت شركات تجارية إسلامية للتأمين تتولى إدارة التأمين التعاوني بين حملة وثائق التأمين بموجب عقد وكالة بين حامل الوثيقة والشركة، وتتقاضى الشركة أجرة معلومة على قيامها بهذا العمل باعتبارها وكيلة عنهم لإدارة عملية التأمين، وعليه فإن الشركة تفصل بين حسابات المساهمين (المؤسسين للشركة) وحسابات المُؤمِّنين (حملة الوثائق) فتدفع من حسابات المساهمين أجور الموظفين والمباني وثمن الأوراق اللازمة، وتستثمر الباقي من حسابات المساهمين. وأما حسابات حملة الوثائق المتعاونين فيما بينهم لدفع الأخطار التي قد تلحق بأحدهم، فتدفع منها الشركة قيمة الأضرار والأمور المستحقة الدفع بموجب وثيقة التأمين، فإن بقي شيء من حسابات المؤمنين فإنه يستثمر لصالح المُؤَمِّنين، وعليه فإن التأمين التجاري الإسلامي تأمين تعاوني وهو جائز من الناحية الشرعية، وتعين شركات التأمين الإسلامية هيئات رقابة شرعية تدرس نظامها وعقودها وحساباتها، وطرق استثمارها للأموال المتحصلة لديها وتتأكد من أنها لا تخالف أحكام الشريعة الإسلامية.

الأسئلة

١- ما الأسباب التي تدعو إلى التأمين؟

٢- ما مفهوم التأمين في اللغة والاصطلاح؟

٣- اذكر ثلاث نقاط تبين أهمية نظام التأمين.

٤- ما المقصود بالتأمين التعاوني؟ وما حكمه؟

٥- ما مفهوم التأمين التبادلي؟ وما حكمه؟

٦-اذكر دليلاً من القرآن الكريم وآخر من السنة النبوية على مشروعية التأمين التعاوني.

٧- عدد أنواع التأمين التجاري، وبين حكم كل منها.

٨- ميز بين التأمين التجاري التقليدي والتأمين التجاري الإسلامي.

الدرس السادس

النّذر

عرف الناس النذر قبل الإسلام فقد جاء في القرآن الكريم :

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1]

فما المراد بالنذر؟ وما أحكامه؟

أولاً : مفهوم النذر

النذر في اللغة: الوعد بخير أو شر

والنذر في الاصطلاح: أن يُلزِم الشخص نفسه بأمر غير واجب من الطاعات تعظيماً لله تعالى، كأن يقول لله عليّ أن أصوم شهراً، أو لله عليَّ أن أتصدق بمائة دينار، أو أن أذبح شاة للفقراء.

ثانياً : أنواع النذر

النذر نوعان هما:

١ – **نذر مطلق**: مثل أن يقول: لله عليَّ أن أعتكف في المسجد عشرة أيام من رمضان. فهذا النذر مشروع لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ ﴾[2]

وقد امتدح تعالى المؤمنين الأبرار الذين يوفون بالنذر في قوله :

﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾[3]

وقال ﷺ: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه**»[4].

٢ – **النذر المعلق**: وهو أن يلزم نفسه بفعل طاعة معلقاً إياها على حصول شيء محبوب له. كأن يقول: لله عليّ أن أتصدق بألف دينار إن شفى الله مريضي، أو إن نجحت في الامتحان. فهذا النوع من النذر كرهه العلماء لأن النبي ﷺ قال: «**إن النذر لا يقدم شيئاً ولا يؤخر، وإنّما يستخرج بالنذر من البخيل**»[5]ومع القول بكراهته فإذا ألزم الإنسان به نفسه، يجب عليه الوفاء به.

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٣٥).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٧٠).

(٣) سورة الإنسان، الآية (٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر.٢٣٢/٧

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر.٢٣٢/٧

ثالثاً : الشروط الواجب توافرها في النذر

يشترط في النذر شروط عدة منها:

١- أن يكون الناذر مسلماً فلا يصح نذر غير المسلم، فلو نذر في أثناء كفره نذراً ما ثم دخل في الإسلام فلا يلزم به.

٢- أن يكون الناذر عاقلاً بالغاً فلا يصح نذر الصغير والمجنون لأنهما غير مكلفين بالأحكام الشرعية.

٣- أن يكون المنذور قربة لله تعالى، كالصلاة والصدقة، والاعتكاف والطواف حول الكعبة فلا يصح نذر المعصية، كمن نذر أن يشرب الخمر، أو أن يقتل فلاناً لقوله ﷺ «**لا وفاء لنذر في معصية الله**»[1] كما لا يصح النذر لغير الله تعالى، كالنذر للأولياء وأصحاب القبور والأضرحة.

٤- أن يكون المنذور مما يملكه الناذر وقت النذر أو بعده.

٥- أن لا يكون المنذور واجباً على الناذر كمن قال لله عليَّ نذر أن أصوم شهر رمضان، أو أن أحج حجة الإسلام.

نشاط

حدد الشروط المتعلقة بالناذر والشروط المتعلقة بالمنذور واكتبها في دفترك.

رابعاً : أحكام النذر

١- يجب على الناذر الوفاء بالنذر متى استوفى شروطه، لقوله تعالى: ﴿ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ ﴾[2].

٢- تجب كفارة يمين على من نذر نذراً لم يقدر على فعله، كأن يقول: لله عليّ نذر أن أصوم طوال حياتي إذا شفى الله مريضي، أو نجحت في الامتحان. وكفارة اليمين إطعام عشرة مشاكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة، فإن لم يقدر صام ثلاثة أيام.

٣- تجب كفارة يمين على من نذر نذراً مبهماً لا قربة فيه، أو لم يحدد فيه قربة، كمن قال: لله عليّ نذر إن رجع أبي من السفر.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب النذر، باب لا وفاء لنذر في معصية الله ١٢٦٢/٣ .

(٢) سورة الحج، الآية (٢٩).

الأسئلة

١- بَيِّن المراد بالنّذر في الاصطلاح.

٢- هات مثالاً على ما يأتي:

أ - النذر المعلق.

ب- النذر الذي لم يحدد فيه قربة.

جـ- نذر المعصية.

٣- ما حكم النذر المعلق؟ وما الأدلة على هذا الحكم؟

٤- ماذا يجب على من نذر أن يصوم الدهر؟

٥- بَيِّن الحكم الشرعي مع التعليل لما يأتي:

أ - نذر صغير أن يتصدق بعشرة دنانير.

ب- نذر رجل أن ينفق على زوجته سنة.

جـ- نذر مسلم أن يفطر يوماً من غير عذر في نهار رمضان.

نشاط

- ما حكم رجل نذر أن يصوم أياماً فوافق عيد الأضحى وعيد الفطر؟
- ارجع إلى صحيح البخاري (كتاب الأيمان والنذور) واستخرج حديثاً شريفاً في موضوع النذر.

الدرس السابع

الكفارات

عرفت في الدرس السابق أن الإسلام أوجب كفارة اليمين على من نذر نذراً لم يُطِقه، وعلى من نذر نذراً ولم يحدد فيه قربة، كما أوجب الإسلام الكفارة في ذنوب أخرى حددها، فما الكفارة؟ وما أنواعها؟ وما أهم أحكامها؟

أولاً : مفهوم الكفارة

الكفارة في اللغة: مشتقة من الكفر بمعنى الستر والغطاء.

والكفارة في الاصطلاح: ما أوجبه الإسلام على المذنب ذنباً معيناً، من تصرفات تقع منه في الحياة الدنيا لمحو الذنب الذي اقترفه.

والكفارة تكفِّر الذنب وتُسهم في حل مشكلات الفقراء والمحتاجين.

ثانياً: أنواع الكفّارات

تنقسم الكفارات إلى أنواع حسب الذنوب التي توجبها، عرفت منها كفارة الحنث في اليمين وكفارة الظهار، وفيما يأتي تبيين لنوعين آخرين من الكفارات هما:

١- **كفارة إفساد الصوم في نهار رمضان** : وذلك بإتيان الرجل زوجته في نهار رمضان.

وكفارة هذا الذنب على الترتيب، تحرير رقبة مؤمنة، فمن لم يجد صام شهرين قمريين متتابعين، فمن لم يستطع أطعم ستين مسكيناً.

ويدل على هذه الكفارة الحديث النبوي الشريف الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: **(جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال هلكت يا رسول الله، قال: وما أهلكك؟ قال: وقعت على امرأتي في رمضان قال: هل تجد ما تعتق رقبة؟ قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، قال هل تجد ما تطعم ستين مسكيناً، قال: لا، قال: ثم جلس فأتي النبي ﷺ بعرق فيه تمر، فقال تصدق بهذا، قال على أفقر منا؟ فما بين لأبتيها أهل بيت أحوج إليه منا فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال: اذهب فأطعمه أهلك)**[1].

٢- **كفارة القتل الخطأ** : القتل الخطأ هو القتل غير المُتَعمّد، كمن صوّب بندقية صيد نحو طائر على شجرة فأصاب إنساناً معصوم الدم فقتله. وكفارة هذا الذنب تحرير رقبة مؤمنة، فمن لم يجد فكفارته صيام شهرين

(١) صحيح مسلم، كتاب الصوم، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم، ووجوب الكفارة فيه وبيانها.

قمريين متتابعين، يدل على ذلك قوله تعالى:

﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1]

ثالثاً : أهم أحكام الكفارات

أحكام الكفارات متعددة، منها :

١- تجب كفارة الحنث في اليمين على (التخيير والترتيب)، فمن حنث في يمينه مخير بين إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم أو تحرير رقبة، فإن لم يجد صام ثلاثة أيام.

٢- تجب كفارة إفساد الصوم في نهار رمضان، والظِّهار على الترتيب، فيبدأ المذنب بتحرير رقبة مؤمنة، فإن لم يجد صام شهرين قمريين متتابعين، فإن لم يقدر على الصيام أطعم ستين مسكيناً.

٣- تجب كفارة القتل الخطأ على الترتيب الآتي: تحرير رقبة مؤمنة، فإن لم يجد المذنب صام شهرين متتابعين.

٤- إن الإسلام جعل تحرير رقبة مؤمنة كفارة لجميع الذنوب السابقة.

٥- إن مقدار الطعام للمساكين الذي يقدمه المذنب هو طعام يوم واحد، وجبتان من أوسط ما يطعمه أهله، وقدره بعض الفقهاء بمقدار صدقة الفطر، وهو صاع من غالب قوت البلد كالقمح والأرز، ويعادل بالأوزان الحديثة (٢,١٧٦كغم) ويمكن تقديره بالنقود بحسب قيمتها.

ومقدار الكسوة لكل مسكين أن يكون لباساً ساتراً كثوب طويل للرجل أو المرأة.

٦- يجب على من حلف يميناً على قطع رحمه كمن حلف أن لا يزور أخته يوم العيد، أن يكفر عن يمينه ويزور أخته، ولا يتذرع على عدم الزيارة بحلف اليمين، لأن صلة الرحم خير من التمسك باليمين، قال ﷺ : **(من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير)**[2].

٧- تداخل الكفارات: إذا ارتكب شخص أكثر من ذنب مما يوجب الكفارة فهل تتعدد عليه الكفارات بتعدد الذنوب؟ أم تكفي كفارة واحدة عن جميع الذنوب التي أذنبها؟ في هذه الحالة نفرق في الحكم بين ما إذا كانت موجبات الكفارات متحدة أو مختلفة، فإن كانت موجبات الكفارات مختلفة كمن أفسد صومه في نهار رمضان وظاهر من امرأته، فإن الكفارات تتعدد موجباتها، وتلزم الشخص كفارة كل ذنب.

وإن كانت موجبات الكفارات متحدة كمن أفسد صومه بالمعاشرة الزوجية في يومين من أيام رمضان، فإن عليه كفارة واحدة.

---

(١) سورة النساء، الآية (٩٢).

(١) صحيح مسلم، باب الأيمان.

الأسئلة

١- بَيِّن معنى الكفارة لغة واصطلاحاً.

٢- اذكر الذنوب التي توجب الكفارات مع التمثيل على كل منها.

٣- كفارة حنث اليمين تجب على التخيير والترتيب في البدائل وضح ذلك.

٤- ما حكم من حلف يميناً على عدم زيارة والدته في يوم عيد الاضحى؟ وكيف يتحلل من هذا اليمين؟

٥- بَيِّن متى تتداخل الكفارات ومتى لا تتداخل، مع مثال يوضح ذلك.

٦- انقل الى دفترك العبارات الآتية ثم ضع دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة.

* مقدار الإطعام للمسكين.

١- وجبة فطور.

٢- وجبة عشاء

٣- طعام يوم واحد

٤- وجبة غداء

نشاط

اكتب مقالاً في حدود صفحة مبيناً فيه فوائد معالجة الإسلام مشكلة الرق.

الدرس الثامن

التسعير

نجد كثيراً من الدول اليوم تضع تسعيرة محددة لبعض السلع الضرورية، لا يجوز للتاجر أن يتعداها، فما حكم هذا الإجراء؟

أولاً : مفهوم التسعير

التسعير في اللغة: من سعّر الشيء إذا جعل له ثمناً معلوماً.والتسعير في الاصطلاح: ان يأمر الحاكم أصحاب السلع والخدمات أن لا يبيعوا سلعهم أو خدماتهم بثمن أو أجر إلا بسعر معين، يحدده لهم مراعياً في ذلك مصلحة البائع والمشتري، فيمنعون من الزيادة على ذلك السعر أو النقصان منه رفعاً للضرر عن الجميع .

ثانياً : أحكام التسعير

للتسعير أحكام متعددة بينها العلماء أهمها:

١- لا يجوز للحكام تسعير السلع في الأحوال العادية، التي لا يتدخل فيها التجار لرفع الأسعار أو تخفيضها، كما لو ارتفع السعر أو انخفض تبعاً لقانون العرض والطلب، ففي حالة قلة وجود السلعة يرتفع سعرها، وفي حالة كثرتها ينخفض، هذا أمر لا يوجب تحديد أسعار السلع ، ويؤيد ذلك:

أ - قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ﴾[1] فإلزام الناس ببيع السلعة بأقل من سعرها الأصلي فيه أكل لأموال الناس بالباطل، فالأصل أن الناس لهم سلطة على أموالهم، فلهم التصرف فيها بشرط عدم الإضرار بالآخرين، ولا يجبرون على بيعها بسعر معين، وإذا أخذها شخص بالسعر المكره عليه منهم، أخذها بغير طيب نفس منهم.

ب- روى أنس رضي الله عنه قال غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ . فقال الناس: يا رسول الله غلا السعر فسعّر لنا. فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله هو المسعّر القابض الباسط الرازق، وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطلبني في دم ولا مال**»[2] فقد امتنع النبي ﷺ عن التسعير عند غلاء الأسعار في الأحوال العادية لأن غلاءها كان بسبب شح السلع دون تدخل من التجار بإغلاء أسعارها وهذا الأمر متعلق بالعرض والطلب، وعدّ النبي ﷺ التسعير في هذه الأحوال مظلمة يطالب بها أصحاب السلع النبي ﷺ يوم القيامة.

---

(١) سورة النساء، الآية (٢٩).

(٢) حديث حسن صحيح، رواه الترمذي في السنن، كتاب البيوع، باب ما جاء في التسعير، ٦٠٦/٣ .

جـ- إن التسعير دون حاجة أو ضرورة يضرّ باقتصاد البلد، حيث يمتنع التاجر عن استيراد السلع إذا كان سعرها في بلدها أكثر من سعر البلد الذي تجلب إليه، كما يمتنع المزارع من زراعة أرضه، لأن السعر المحدّد لا يفي بنفقات الزراعة، كما يمتنع الصانع من تصنيع السلع إذا كان السعر المحدد أقل من الكلفة، ومحصلة ذلك الإقلال من السلع وغلاء سعرها، وإضعاف اقتصاد البلد.

٢- أما إذا كان ارتفاع الأسعار ناشئاً عن تدخل التجار الظالم، كالاحتكار فيجب عندئذ على الدولة أن تتدخل، لمنع هذا الظلم، ورفعه عن الناس، وذلك بتحديد سعر مناسب تراعي فيه مصلحة البائع والمشتري، وتستعين بأهل الخبرة في ذلك، وبناء على ذلك يجب التسعير في الأحوال الآتية:

أ - احتكار التجار للسلعة بقصد رفع سعرها على الناس، لنهي النبي ﷺ عن الاحتكار في قوله: «**لا يحتكر إلاخاطىء**»[1].

ب- تواطؤ مجموعة من التجار على خفض سعر سلعة معينة، بقصد الإضرار بتجار آخرين صغار، أو الإضرار بالمزارعين، للعزوف عن الزراعة، ومن ثم يقوم التجار بترويج ما يستوردونه من سلع.

جـ- إذا كان المتحكم في السلعة تاجر واحد، أو وكيل واحد.

ثالثاً : حكمة وجوب التسعير في الأحوال غير العادية

مما سبق يتبيّن لنا أن الإسلام يوجب التسعير لحكم كثيرة منها:

١- معاقبة المحتكرين الذين يقصدون رفع الأسعار بعقوبة خفضها، فكان الجزاء من جنس العمل، والمعاملة بخلاف قصد المحتكر.

٢- تيسير العيش لجميع الأفراد في المجتمع دون استغلال لحاجاتهم.

٣- حماية صغار التجار، من جشع التجار الكبار.

نشاط

استنتج فائدة أخرى للتسعير الواجب.

(٢) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب تحريم الاحتكار في الأقوات.

الأسئلة

١- عرّف التسعير لغة واصطلاحاً.

٢- كيف يحدد السعر المناسب للسلع ؟

٣- اذكر حالتين يجوز فيهما تسعير السلع .

٤- ما فوائد التسعير؟

٥- بَيِّن الحكم مع التعليل:

أ - امتنع تاجر عن بيع سلع ضرورية في شهر رمضان، بقصد رفع سعرها.

ب- سعّرت الدولة بيض الدجاج برفع ثمنه لئلا يمتنع أصحاب المزارع عن طرحه في السوق.

جـ- حدّدت الدولة أسعار السلع الضرورية في أثناء الحرب.

د - أنقص بعض التجار أسعار بعض السلع في السوق.

٦- بَيِّن الحكم الشرعي المتعلق بتسعير السلع في الأحوال العادية مع ذكر الدليل.

٧- بَيِّن الحكم الشرعي المتعلق بتسعير السلع في الأحوال غير العادية مع ذكر الدليل.

الدرس التاسع

بيع التقسيط

يكثر اليوم في المعاملات التجارية بيع التقسيط، ويشمل كثيراً من السلع، كالشقق السكنية، والأثاث، والأدوات الكهربائية، وغيرها، فما المراد ببيع التقسيط؟ وما حكمه؟

أولاً: مفهوم بيع التقسيط

التقسيط في اللغة: من القسط وهو الحصة والنصيب، فيقال قسَّط الثمن أي قسّمه على مُدِدٍ زمنية محددة.

وبيع التقسيط: هو بيع السلعة بثمن مؤجل يزيد عن ثمنها نقداً، على أن يؤدى الثمن على دفعات معينة في أوقات محددة.

ثانياً: حكم بيع التقسيط

أجاز الفقهاء بيع التقسيط، واستدلوا لذلك بالأدلة الآتية:

أ - قوله تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ ﴾[1]

وبيع التقسيط بثمن مؤجل نوع من أنواع البيع يدخل في عموم هذه الآية.

ب- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾[2]

فهذه الآية تدل على جواز البيع المتضمن تأجيل الثمن، وهذا أمر مشروع باعتبار أن بيع التقسيط يتضمن ديناً في الذمة ينبغي توثيقه حفظاً لحقوق الناس.

ثالثاً: شروط جواز بيع التقسيط

يشترط لجواز بيع التقسيط ما يأتي:

١- أن لا يتضمن عقد البيع زيادة الثمن المؤجل، في حالة تأخر المشتري عن السداد في الوقت المحدد، لأن الزيادة في الدَّين مقابل التأجيل ربا نسيئة، وهو محرم.

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٧٥).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٨٢).

نشاط

ما المراد بالربا؟ واذكر دليلاً على تحريمه.

٢- أن تكون السلعة والثمن من جنسين مختلفين، حتى لا يقع البائع والمشتري في الربا، فإن كانا - السلعة والثمن- من جنس واحد فلا يجوز البيع مع التأجيل أو الزيادة في الثمن لأنه ربا وهو حرام.

٣- أن لا يتفق المشتري مع التاجر أن يبيعه السلعة بعد شرائها منه بالتقسيط بثمن حال أقل، لأن هذا هو بيع العينة الذي نهى عنه رسول ﷺ، ولأنه تحايل على الربا، مثل أن يشتري ثلاجة بألف دينار بالتقسيط لمدة سنتين من تاجر ثم يبيعها له بثمن حال أقل من سعرها، فهذا لا يجوز لنهي النبي ﷺ عن مثل هذا البيع في الحديث: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذُلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»[1].

٤- أن لا تكون الزيادة في ثمن السلعة فاحشة، لئلا يؤدي ذلك إلى استغلال حاجة الناس. ويرجع تقدير ذلك إلى عُرف التجار الموثوقين.

رابعاً : أهمية بيع التقسيط

لبيع التقسيط للأفراد والمجتمع الفوائد الآتية:

١- يوفر للتاجر فرصة لاستثمار أمواله، فهو يشتري كمية كبيرة من السلع ويبيعها بربح معقول بالتقسيط.

٢- يحقق للمستهلك غير القادر على الشراء بالنقد العاجل المصلحة، فهو يؤدي إلى حصوله على السلع التي لا يقدر على شرائها نقداً.

٣- تنشيط الحركة التجارية في المجتمع، فلا يقتصر دوران المال على فئة الأغنياء فقط وإنما يتعدى ذلك إلى الفقراء.

تعلّم:

ربا النسيئة له صورتان:

الأولى: أن يتقرر في ذمة شخص لآخر دين سواء أكان منشؤه قرضاً أو بيعاً، فإذا حلّ الأجل طالبه صاحب الدين، فقال المدين: زدني في الأجل أزدك في المال.

والثانية: أن يقرض شخص شخصاً آخر عشرة دنانير بأحد عشر إلى أجل.

---

(١) سنن أبي داود، كتاب البيوع،٣/٢٧٤ .

الأسئلة

١- ما المراد ببيع التقسيط؟

٢- اذكر الأدلة على جواز بيع التقسيط.

٣- بَيِّن أهمية بيع التقسيط بالنسبة للناس.

٤- ما الحكم الشرعي في المعاملات الآتية مع التعليل.

أ - اشترى تاجر عشرين كيلو غرام فضة مصنعة، بخمسة عشر كيلو غرام من الفضة مجوّدة الصنع.

ب- اشترى شخص كيس أرز بخمسة وعشرين ديناراً إلى مدة سنة، وباعه إلى التاجر نفسه بخمسة عشر نقداً.

جـ- باع تاجر دقيقاً بثمن مؤجل إلى محتاج، وزاد عليه زيادة كبيرة.

د - باع تاجر سيارة بالتقسيط، واشترط على المشتري إذا تأخر في سداد الثمن أن يزيد عليه نسبة ٢٠٪ من الثمن الأصلي.

الدرس العاشر

التبرع بالأعضاء

تقدم علم الطب في هذا العصر تقدماً كبيراً، فتمكّن الأطباء من أن ينقلوا أعضاء سليمة من جسم إنسان إلى آخر، فما الحكم الشرعي في عملية نقل الأعضاء، والتبرع بها؟

أولاً : مفهوم نقل الأعضاء

المراد بنقل الأعضاء: هو عملية جراحية لاستئصال عضو تالف من جسم إنسان، ووضع عضو سليم مكانه، سواء أكان الشخص الذي أخذ منه العضو السليم هو المريض نفسه، أم إنساناً آخر. وهذا يستلزم إجراء عمليات طبية عدة هي:

١- استقطاع العضو السليم المراد نقله من الإنسان.

٢- استئصال العضو المصاب من الإنسان المريض.

٣- زرع العضو السليم في الإنسان المريض.

ثانياً : حكم نقل الأعضاء وزرعها

أجاز العلماء نقل الأعضاء وزرعها للضرورة العلاجية، فكل ما يحفظ حياة الإنسان ويصونه أمر واجب شرعاً، ولو كان في ذلك عدم مراعاة لبعض الأحكام الشرعية الأخرى لأن حفظ الحياة من مقاصد الشريعة، والتبرع بالأعضاء يحفظ حياة الإنسان ويحقق مبدأ الإيثار والتعاون بين المسلمين فيما لا يضر أحداً.

ويشترط لذلك شروط عدة منها:

١- أن لا يوجد علاج آخر يقوم مقام عملية النقل.

٢- أن يغلب على ظن الطبيب المعالج نجاح العملية.

٣- أن يأذن صاحب العضو المراد نقله بذلك في أثناء حياته بالوصية، أما إذا كان ميتاً فلا بد من أخذ إذن وليه كالأب.

٤- أن لا يؤدي نقل العضو إلى إلحاق ضرر أكبر من الضرر المراد رفعه بالشخص الذي أخذ منه العضو.

ثالثاً : أحكام نقل الأعضاء

١- يجوز نقل عضو أو قطعة من جسم الإنسان، لغرسه في موضع آخر من جسم الإنسان نفسه، كنقل قطعة من فخذ المصاب لغرسها في رقبته المصابة بالحرق مثلاً.

٢- يجوز نقل عضو من جسم إنسان حي إلى جسم إنسان حي آخر، يحتاج إلى ذلك، كنقل كلية إنسان إلى آخر، ويشترط لذلك أن لا يؤدي إلى وفاة المأخوذ منه، أو تعرضه لضرر غالب أو متيقن، كاقتطاع قلب إنسان حي لنقله إلى إنسان مريض بالقلب.

٣- يجوز نقل عضو من جسم إنسان ميت إلى انسان حي، قياساً على جواز أكل الحي من الميتة للضرورة، ولأن المحافظة على حياة الحي أولى من انتهاك حرمة الميت.

رابعاً : حكم بيع الأعضاء

لا يجوز للإنسان أن يبيع أعضاءه في حال حياته، ولا بعد وفاته، لأن الإنسان موضع تكريم الله تعالى حال الحياة وبعد الممات. قال تعالى:

﴿ * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(١)

وبيع الإنسان لأعضائه ينافي هذا التكريم الإلهي للإنسان، بل فيه امتهان له، والقول بجواز بيع الأعضاء يؤدي إلى انتشار عصابات لسرقة الناس بقصد بيع أعضائهم، فيحرم ذلك سداً للذرائع .

خامساً : حكم التبرع بالأعضاء

١- يجوز التبرع بالأعضاء من الإنسان حال حياته، إذا كان لا يترتب على ذلك وقوع ضرر غالب أم متيقن للمتبرع . لأن في التبرع إحياءً لنفس إنسانية، وإنقاذاً لها من الهلاك. قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾(٢)

كما أن في التبرع تطبيقاً عملياً لمعاني التضحية والإيثار والتعاون التي دعا إليها الإسلام.

٢- تجوز الوصية بالأعضاء البشرية، والوصية هي تبرع الإنسان حال الحياة، بعضو من أعضاء جسمه ولا يقتطع منه إلا بعد وفاته. فقد ثبت طبياً أن بعض الأعضاء كالقرنية يمكن أن تبقى حية بعد الوفاة لفترة قصيرة.

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٧٠).

(٢) سورة المائدة، الآية (٣٢).

الأسئلة

١- ما المقصود بكل مما يأتي: نقل الأعضاء البشرية، الوصية بالأعضاء البشرية؟

٢- ما الحكم الشرعي في نقل الأعضاء وزرعها؟

٣- اذكر شروط نقل الأعضاء وزرعها.

٤- انقل في دفترك العبارات الآتية ثم ضع دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة:

أ - نقل الأعضاء يستلزم:

١. استقطاع العضو السليم المراد نقله.

٢. استئصال العضو المصاب.

٣. زرع العضو السليم في الإنسان المحتاج.

٤. جميع ما ذكر.

ب- بيع الأعضاء البشرية بقصد العلاج:

١. يجوز لإنقاذ حياة المريض.

٢. يحرم لأن الإنسان موضع التكريم.

٣. يكره لأن العضو المقتطع أصبح ميتاً.

٤. يجب للضرورة العلاجية.

جـ - واحد من الآتية ليس مشروطاً لنقل الأعضاء من إنسان حي:

١. أن يأذن الإنسان المتبرع.

٢. أن لا يوجد علاج آخر.

٣. أن لا يترتب على النقل ضرر غالب للمنقول منه.

٤. أن يكون المتبرع قريباً للمريض.

٥- بَيِّن الحكم من التعليل:

أ - تبرعت أم بقلبها في حال حياتها لابنتها.

ب- تبرع أب بإحدى كليتيه السليمتين لابنه.

جـ- تبرع أخ في حال حياته بقرنيته لأخيه.

د - أوصى صديق لصديقه بقرنيته.

نشاط

اكتب مقالاً في التبرع بالقرنية أو أحد أعضاء الجسم في حدود صفحة واقرأه في الإذاعة المدرسية.

طفل الأنابيب

مضى على زواج السيد عادل من السيدة عائشة سنوات عدة دون أن ينجبا أطفالاً. فالزوجة في حزن وألم، لكنها لم تفقد الأمل في الإنجاب، والزوج في قلق وخوف لكنه لم يصل إلى درجة اليأس. والأهل في ترقب ودعاء، فاقترح أحد الأقارب على الزوجين أن يذهبا إلى مركز طبي للتلقيح الصناعي وجرى الحوار الآتي:

القريب: إن أحد زملائي مضى على زواجه عشر سنين ولم ينجب، وقبل أيام رزق بطفل عن طريق عملية التلقيح الصناعي المعروف بطفل الأنابيب.

الزوجة (لزوجها): هل سمعت ذلك؟ فلنذهب إلى مركز أطفال الأنابيب.

الزوج: انتظري يا عائشة، القضية أكبر من الإنجاب.

الزوجة: ما القضية التي أكبر من الإنجاب؟

الزوج: لا بدّ من معرفة الحكم الشرعي في هذه الطريقة، وهل هي مشروعة أو غير مشروعة؟ لأنه لا يجوز للمسلم أن يقدم على أي أمر إلا بعد معرفة الحكم الشرعي له. فقد كان الصحابة، رضوان الله عليهم، لا يقدمون على عمل إلا بعد أن يسألوا الرسول ﷺ عن حكمه. فإن قضى بمشروعية ذلك، أقدموا، وإن قضى بخلاف ذلك أحجموا.

(قامت الزوجة مسرعة إلى مكتبة المنزل، وأتت بصحيح البخاري).

الزوجة: انظر في هذا الكتاب لعلك تجد حكم عملية طفل الأنابيب.

الزوج: يا عائشة هذه قضية مستجدة لم تكن موجودة زمن النبي ﷺ، ولا في زمن الإمام البخاري جامع هذا الكتاب.

الزوجة: إذا لم يكن فيها حكم شرعي، في هذا الكتاب أو غيره، هل نبقى بدون أولاد؟

الزوج: الفقه الإسلامي لم يجمد على ما في بطون الكتب، وإنما يستطيع العلماء والمفتون أن يجتهدوا في القضايا الجديدة، ويبيّنوا الحكم الشرعي فيها.

الزوجة: فلنذهب إلى المفتي، نعرض عليه هذه القضية، لكي نعرف الحكم الشرعي قبل الإقدام عليها.

الزوج: بارك الله فيك يا عائشة، هذا هو الطريق الصحيح الذي ينبغي أن نسلكه.

(وذهب الزوجان إلى المفتي في مكتبه).

الزوجان: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المفتي: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، تفضلا.

الزوجة: بارك الله فيك، نريد أن تبيّن لنا الحكم الشرعي في عملية أطفال الأنابيب هل هي جائزة شرعاً أم لا، لأننا نفكر في إجرائها؟

المفتي: يا ابنتي إن الحكم الشرعي لا يكون بهذه السرعة، وإنما يحتاج إلى معرفة حقيقة هذه العملية من طبيب متخصص لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

المفتي: (رفع سماعة الهاتف واتصل تلفونياً بالطبيب المتخصص في ذلك. ووجه إليه السؤال التالي): ما حقيقة عملية طفل الأنابيب؟ وكيف تتم؟

الطبيب: إن عملية طفل الأنابيب تعتمد على الإجراءات الطبية الآتية:

١- إعطاء المرأة دواءً منشطاً لإفراز البويضات.

٢- شفط البويضات من الجهاز التناسلي للزوجة ووضعها في سائل خاص، للمحافظة على صلاحيتها ونموها.

٣- الحصول على الحيوانات المنوية من الزوج ووضعها في سائل خاص، بعد تنقيتها من الشوائب عن طريق المختبر.

٤- جمع الحيوانات المنوية المأخوذة من الزوج مع البويضات المأخوذة من الزوجة في طبق واحد، أو أنبوب واحد، لتتم عملية التلقيح أو الإخصاب.

٥- نقل البويضة الملقحة إلى داخل رحم الزوجة في مدة (٤٨-٩٦) ساعة.

فإذا نجحت هذه العملية وعلقت البويضة الملحقة برحم الزوجة، كانت هذه الزوجة حاملاً بجنين عن طريق الأنبوب في خارج الرحم، وهو ما يسمي بالتلقيح الاصطناعي الخارجي.

المفتي: بارك الله فيك، يا (دكتور) أريد أن أسأل لماذا يلجأ الأطباء إلى هذه العملية، هل هناك ضرورة؟

الطبيب: نعم، يلجأ إلى ذلك لأسباب عدة منها:

١- انسداد قناة فالوب عند الزوجة فلا تصل البويضة الملقحة إلى الرحم.

٢- قلة عدد الحيوانات المنوية عند الزوج.

٣- موت الحيوانات المنوية بسبب نسبة الحموضة في السائل الذي تفرزه الزوجة.

المفتي: إن حفظ الأنساب، مقصد شرعي وهذه الطريقة قد تؤدي إلى اختلاط الأنساب، فما الضمانات التي تحفظ الأنساب وتمنع من اختلاطها، فقد يلجأ بعض الأطباء إلى تغيير بويضة الزوجة أو ماء الزوج؟

الطبيب: نحن في المركز نعمل كفريق عمل، ونختار من كان موثوقاً في دينه وخلقه ولا نسمح بالتلاعب بأنساب الناس، ونفصل فصلاً كاملاً بين كل رجل وآخر. بوضع طابع على الأنبوب يبين اسمه كما في جواز السفر أو دفتر العائلة.

المفتي: شكراً يا دكتور وبارك الله فيك ونفع الناس بعلمك.

الطبيب: شكراً لفضيلتكم، ونحن مستعدون لاستقبالكم في المركز الطبي لإطلاعكم على العملية وكيفية إجرائها، والضمانات الكفيلة بمنع اختلاط الأنساب.

المفتي: (مخاطباً الزوجين) بإمكانكما الذهاب إلى البيت، وغداً سأوافيكم بالفتوى مكتوبة إن شاء الله تعالى. (ثم ذهب إلى المركز الطبي لأطفال الأنابيب والتقى الطبيب المتخصص، وكان في صحبة المفتي عدد من العلماء الشرعيين، وأطلعهم الطبيب على الإجراءات).

وبعد أن اتضح الأمر للمفتي وللعلماء الشرعيين تشاوروا في حكم هذه المسألة وأصدروا الفتوى الآتية:

١- يجوز إجراء عملية «التلقيح الاصطناعي» في أنبوب خارج الرحم إذا دعت الضرورة أو الحاجة إلى ذلك، لأن من أهم مقاصد الزواج إنجاب الأولاد.

٢- يشترط لجواز إجراء هذه العملية شروط عدة وهي:

أ - أن تكون العلاقة الزوجية قائمة بين الزوجين عند إجراء العملية.

ب- أن يتم إجراء هذه العملية برضا الزوجين.

جـ- أن يؤمن اختلاط الأنساب بعدم استعمال غير بويضة الزوجة أو غير ماء الزوج.

د - أن يقوم بإجراء هذه العملية من يوثق بدينه وعلمه من الأطباء في مركز طبي موثوق.

الأسئلة

١- بَيِّن الإجراءات الطبية لعملية طفل الأنابيب.

٢- اذكر الأسباب التي تدعو الطبيب إلى إجراء عملية طفل الأنابيب.

٣- اذكر شروط جواز إجراء عملية طفل الأنابيب.

٤- بَيِّن الحكم الشرعي مع التعليل:

أ - امرأة طلبت من الطبيب أن يجري لها عملية طفل أنابيب باستعمال ماء من غير زوجها.

ب- امرأة جاءت للطبيب ليجري لها عملية طفل أنابيب، بعد وفاة زوجها باستعمال حيوانات زوجها المجمدة.

جـ- رجل طلب من الطبيب إجراء عملية طفل أنابيب لزوجته، باستخدام بويضة غير بويضة الزوجة.

الضرورة الشرعية

عرفت أن التبرع بالأعضاء الآدمية، والإنجاب عن طريق الأنابيب جائز للضرورة، فما مفهوم الضرورة؟ وهل تقتصر الضرورة على هذين الحكمين؟ أم تتعلق بها أحكام أخرى؟

أولاً : مفهوم الضرورة الشرعية

الضرورة في اللغة من الضرر، ينزل بالإنسان ولا يستطيع دفعه كالجوع أو المرض. والضرورة في الاصطلاح: أن تطرأ على الإنسان حالة من الخطر أو المشقة الشديدة كالمرض الشديد يتعذر دفعها إلا بارتكاب ما هو ممنوع شرعاً، كفعل الحرام أو ترك الواجب، دفعاً للضرر الذي نزل به ضمن شروط معينة.

ثانياً : مشروعية الضرورة

ما من إنسان في هذا الوجود إلا وتحيط به ظروف تدفعه إلى الخروج عن بعض القواعد والأحكام الواجب احترامها، لأن الإنسان خلق ضعيفاً. والله تعالى الذي خلق الإنسان يعلم هذا الضعف فيه، ولذلك شرع له أحكاماً استثنائية، لرفع الحرج عنه ولحفظ حياته وحقوقه عند تعرضه للظروف الاضطرارية، كالمجاعات والحروب والأمراض وغير ذلك ومن الأدلة على ذلك :

أ - قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[1]

ب- وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾[2]

جـ- وروى جابر بن سمرة: «**أن اهل بيت كانوا بالحرة محتاجين، فماتت عندهم ناقة لهم أو لغيرهم، فرخص لهم النبي ﷺ في أكلها، فعصمتهم بقية شتائهم أو سنتهم**»[3]

ثالثاً : شروط الضرورة

يشترط لاعتبار الضرورة شروط عدة وهي :

١- أن تكون الضرورة حقيقية تتعلق بالضرورات الخمس، وهي حفظ الدين والنفس والعرض والعقل والمال، أما

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٧٣).

(٢) سورة الأنعام، الآية (١١٩).

(٣) رواه أحمد في مسنده، ٨٧/٥ .

إذا كانت لا تتعلق بشيء من ذلك، فلا يجوز ارتكاب الممنوع شرعاً، فشرب الخمر يجوز في حالة العطش الشديد المؤدي للهلاك، ولا يجوز لإشباع شهوة الإنسان، لإن إشباع الشهوة لا يتعلق بالضرورات الخمس، وكذلك إذا كانت الحاجة ماسة فتنزل منزلة الضرورة.

٢- أن يكون الضرر اللاحق بالمضطر في حالة الضرورة، أشدّ من الضرر المترتب على ارتكاب المحظور شرعاً. ولذا لا يجوز ارتكاب المحظور للضرورة، إذا كان الضرر اللاحق بالمضطر، أخف من الضرر المترتب على ارتكاب المحظور.

٣- أن يتعين على المضطر مخالفة الممنوع شرعاً، وذلك بأن لا توجد وسيلة أخرى، لدفع الضرر الذي نزل به. ومثال ذلك، امرأة في حالة ولادة ذهبت إلى المستشفى، فلم تجد طبيبة الولادة، ووجدت طبيباً، فيجوز ذلك للضرورة، أما إذا كان الطبيبان موجودين فلا يجوز لها أن تترك الطبيبة، وتذهب إلى الطبيب، لوجود وسيلة أخرى.

٤- أن لا يترتب على ارتكاب المحظور إلحاق الضرر بغيره من الناس. فلا يجوز قتل إنسان سليم، أو مريض لنزع كليتيه وزرعهما في مريض آخر.

٥- أن يقتصر المضطر على الحد الأدنى، أو القدر اللازم لدفع الضرر، فيأكل المضطر من الميتة قدر ما يسد رمقه ولا يتجاوز ذلك. وينظر الطبيب إلى المرأة بقدر ما تحتاج إليه الضرورة الطبية، عملاً بالقاعدة الشرعية (الضرورة تقدر بقدرها).

تعلّم:

الحرّة: أرض بالمدينة المنورة بها حجارةٌ سود كثيرة.

عصمتهم: منعتهم من الهلاك.

الأسئلة

١- ما المراد بالضرورة الشرعية؟

٢- هات دليلاً من القرآن الكريم، وآخر من السنة الشريفة على اعتبار الضرورة.

٣- اذكر الضرورات الخمس.

٤- بَيِّن الحكم مع التعليل.

أ - قام طبيب بنزع قلب إنسان قارب على الوفاة لزرعه في مريض آخر.

ب- شخص أكل من الميتة ليتعرف طعمها.

جـ - امرأة حامل بجنين ستة أشهر ذهبت للطبيب لإجهاضها وقتل الجنين، للمحافظة على رشاقة جسمها.

د - عطش شخص عطشاً متحملاً فشرب من الخمر.

المستوى الرابع

الوحدة الثانية عشرة

علوم الحديث النبوي الشريف

وتشتمل هذه الوحدة على:

- الحديث النبوي الشريف (مفهومه، أهميته والرحلة في طلبه.
- علم الحديث (مفهومه، أنواعه، أهدافه).
- جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (١). (المنهج العلمي في تدوين الحديث).
- جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (٢). (التأليف في علم مصطلح الحديث).
- جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (٣). (تتبع أحوال الرواة).
- جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (٤). (قواعد الجرح والتعديل).
- جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (٥). (قواعد الحكم على الحديث).
- جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (٦). (الوضع في الحديث الشريف).
- أقسام الحديث حسب قائله.
- أقسام الحديث حسب عدد الرواة.
- أقسام الحديث حسب القبول والرد.

الدرس الأول

الحديث النبوي الشريف
(مفهومه وأهميته، والرحلة في طلبه)

الحديث النبوي الشريف هو المصدر الثاني للإسلام عقيدة وشريعة، فما مفهوم الحديث؟ وهل يوجد فرق بينه وبين السنة، والأثر، والخبر؟ وما أهمية الحديث النبوي؟

أولاً : مفهوم الحديث

الحديث لغة: الكلام، نقول تحدث فلان أي تكلم، والحديث أيضاً الجديد، نقول: جهاز حديث أي جديد.
والحديث اصطلاحاً: ما نُسب إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خَلقية، أو خُلُقية.
وقد مر معك في سنوات سابقة أمثلة على أنواع الحديث جميعها.

ثانياً : العلاقة بين الحديث والسنة والخبر والأثر

قد يخطر على بالك سؤال عن مدى العلاقة بين الحديث وبعض المصطلحات الأخرى التي نسمعها كثيراً مثل السنة والخبر والأثر، فهل من فرق بينها؟

يرى جمهور المحدّثين أن هذه الكلمات (الحديث، السنة، الخبر، الأثر) تفيد المعنى نفسه، وأن لا فرق بينها اصطلاحاً، ولذلك فإنهم يستعملونها بمعنى واحد، ولكن بعض المحدثين يرون أن السنة أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته الخُلُقية، ولكنها لا تشمل الصفات الخَلْقية. ويرى بعضهم أن الخبر يشمل ما نسب إلى النبي ﷺ وإلى غيره وأن الأثر ما نسب إلى الصحابي أو التابعي فقط.

ثالثاً : أهمية الحديث النبوي

هل تجد في القرآن الكريم عدد الصلوات المفروضة؟ وعدد ركعات كل صلاة؟ وشروط الصلاة وأركانها؟

إنك لا تجد ذلك في القرآن الكريم، وإنما تجدها مفصلة مبينة في السنة النبوية، فهي المصدر الثاني للإسلام في كل جوانب الحياة، وهي وحي من الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[1]

وفي السنة النبوية من التفصيلات والمعلومات ما لا تجد ذكره أو تفصيله في القرآن الكريم، سواء في مجال العقيدة أو العبادات، أو المعاملات، أو التشريعات أو الأخلاق وعليه فإن السُّنة النبوية الشريفة مبينة للقرآن الكريم

(١) سورة النجم، الآيتان (٣ - ٤).

ومفسرة لمعانيه. والذين يدعون إلى الاكتفاء بالقرآن الكريم وترك السنة إنما يريدون بذلك هدم الإسلام، ويمكن رد هذه الدعوى بأمور منها :

١- إن القرآن الكريم يأمر باتباع السنة والاحتكام إليها عند الاختلاف، قال الله تعالى:
﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[١] وقال الله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾[٢]
فالذين يدعون إلى الاستغناء عن السنة والاكتفاء بالقرآن، لا يأخذون بما أمر الله سبحانه في القرآن الكريم.

٢- إن عدم الأخذ بالسنة يعني أن لا نعرف كيفية أداء العبادات من صلاة وزكاة وحج وغيرها من تشريعات، ثم إن الرسول ﷺ أمر بالتمسك بالسنة فقال: «**تركتُ فيكم شيئين لن تَضِلُّوا بعدهما كتابَ اللهِ وسُنتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض**»[٣].
وكذلك فإنه لا يمكن فهم الإسلام ولا تطبيقه لتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة من غير الحديث النبوي الشريف، ولقد نبه النبي ﷺ إلى أنه سيكون من الناس من ينكر الأخذ بالسنة النبوية، ولقد حذر النبي ﷺ من هذه المقولة بقوله: «**يُوشكُ الرَّجُلُ متكئاً على أريكتِهِ يحُدَّثُ بحديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيهِ مِنْ حرامٍ حرمناه، ألا وإنَّ مَا حَرَّمَ رسولُ الله ﷺ مثل ما حَرَّم الله تعالى**»[٤].

رابعاً : الرحلة في طلب الحديث

حث الإسلام على طلب العلم، وجعل السعي لتحقيقه فرض كفاية على المسلمين ومن أوجه السعي لطلب العلم الرحلة، قال تعالى:
﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[٥]
وقال النبي ﷺ : «**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة**»[٦].
وهكذا فإن الرحلة في طلب العلم بشكل عام، والحديث النبوي بشكل خاص، قد بدأت ونشطت في عهد النبي ﷺ، واستمرت كذلك في فترات التاريخ الإسلامي الحافل بالعلم والبحث العلمي.
وللرحلة في طلب الحديث أهداف كثيرة من أهمها :

١- جمع الأحاديث النبوية الشريفة خشية ضياعها، لأن الأحاديث النبوية تفرقت بين المسلمين، مع انتشار الصحابة في البلاد الإسلامية الواسعة.

---

(١) سورة الحشر، الآية (٧).
(٢) سورة المائدة، الآية (٩٢).
(٣) رواه الحاكم.
(٤) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، سنن ابن ماجه، باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه.
(٥) سورة التوبة، الآية (١٢٢).
(٦) حديث صحيح، سنن الترمذي، ابواب العلم، باب فضل طلب العلم.

٢- التّثبت من الحديث، فقد كان الراوي عندما يسمع حديثاً يرتحل إلى من رواه، ليسمعه منه ويتثبت من صحته.
ومن الأمثلة على ذلك :
قال أبو العالية: «كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ ونحن بالبصرة، فما نرضى حتى نركب إلى المدينة المنورة فنسمعها من أفواههم».

خامساً: نماذج من الرحلة في طلب الحديث

١- عن جابر بن عبد الله قال: «بلغني عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمعه منه، قال فابتعت بعيراً، فشددت عليه رَحْلي، فَسِرتُ إليه شهراً، حتى أتيت الشام فإذا هو عبد الله ابن أنس الأنصاري، فخرج إليّ فاعتنقني واعتنقته، قال: قلت: حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله ﷺ في المظالم، لم أسمعه، فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الله العباد فيناديهم: أنا الملك، أنا الديّان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، وواحد من أهل النار يطلبه بمظلمة**»[(١)].
تأمل في هذه الرحلة الشاقة، التي تستغرق شهراً ذهاباً، وشهراً إياباً، من أجل حديث واحد، وانظر إلى عدل الله تعالى الذي يأبى أن يظلم أحداً من أهل النار لحساب شخص من أهل الجنة.
٢- خرج أبو أيوب الأنصاري من المدينة المنورة إلى عقبة بن عامر وهو بمصر، فقال عقبة بعد ما عانقه ما جاء بك يا أبا أيوب؟ قال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ سَتَرَ مُؤمناً في الدنيا سَتَرهُ الله يومَ القيامة**»[(٢)] فقال أبو أيوب: صدقت ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعاً إلى المدينة المنورة.

---

(١) حديث صحيح، مسند الإمام أحمد، ٤٩٥/٣ .
(٢) حديث حسن، مسند الإمام أحمد، ١٥٣/٤، ١٥٩ .

الأسئلة

١- بَيِّن المقصود بالمفاهيم الآتية:
الحديث، الصفة الخَلْقية، الصفة الخُلُقية.

٢- بَيِّن الفرق بين كل من الأثر والخبر، عند من يرى ذلك.

٣- وَضِّح مخاطر الاكتفاء بالقرآن الكريم مصدراً للأحكام الشرعية.

٤- كيف تَرُدَّ على من ينكر أن السنة مصدر من مصادر الأحكام الشرعية؟

٥- ما أهم هدف من أهداف الرحلة في طلب الحديث الشريف في رأيك؟ ولماذا؟

٦- استنتج عبرتين تفيدهما في الوقت الحاضر من رحلة الصحابة للتثبت من صحة الحديث الشريف.

٧- ضع دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة فيما يأتي:

أ - بدأت الرحلة في طلب الحديث الشريف في عهد:

١. النبي ﷺ ٣. التابعين

٢. الصحابة ٤. أتباع التابعين

ب- أهم هدف من أهداف الرحلة في طلب الحديث هو:

١. نشر العلم ٣. جمع الحديث الشريف

٢. كسب صداقات جديدة ٤. السياحة

الدرس الثاني

الحديث النبوي الشريف
(مفهومه وأنواعه وأهدافه)

كان رسول الله ﷺ يعيش بين أصحابه يعلمهم كل شؤون حياتهم، وكان اهتمام الصحابة بكل ما يصدر عنه ﷺ فريداً، ليس له مثيل في تاريخ البشرية، فهم يؤمنون بأنه لا ينطق عن الهوى، وأن ما ينزل عليه وحي من الله تعالى.

وكان الرسول ﷺ يحثهم على سماع حديثه وتبليغه للناس فعن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نَضّر الله امرءاً سمعَ منا شيئاً فَبَلَّغَه كما سَمِعَهُ**»[1] وقد اهتم الصحابة، رضي الله عنهم، في تبليغ الحديث كما سمعوه من رسول الله ﷺ وقد وضع الصحابة ومن جاء بعدهم من العلماء بعض الأسس والقواعد لتبليغه إلى من بعدهم دون زيادة أو نقصان.

أولاً : مفهوم علم الحديث وأنواعه

علم الحديث : هو العلم الذي يبحث في حديث رسول الله ﷺ من حيث نقله وضبط ألفاظه وتدوينه. وهو نوعان:

١ – علم الحديث روايةً

وهو العلم الذي يبحث في نقل الحديث من جيل إلى جيل بشكل منضبط، حفظاً في الصدور وكتابة في السطور وقد ساعد على حفظ الحديث أمور منها:

أ – قوة الذاكرة التي امتاز بها العرب، لقلة الكتبة بينهم، فكانت الغالبية تعتمد على الذاكرة حتى نمت وقويت، ولقلة تعقيدات حياتهم التي يعيشونها في الجزيرة العربية.

ب – اهتمام الصحابة بحفظ السنة لأهميتها في معرفة الأحكام الشرعية، وابتغاء الأجر في الآخرة.

جـ – أسلوب النبي ﷺ الذي كان يساعد على الحفظ، فقد كان يتحدث بتأن دون استعجال، وكان يكرر بعض العبارات للتأكيد بالإضافة إلى بلاغته ﷺ.

د – قصر الحديث النبوي في أغلب الأحيان.

نشاط

اذكر سبباً آخر يساعد على حفظ الحديث الشريف.

٢ – علم الحديث درايةً

وهو العلم الذي يبحث في القواعد التي يعرف بها الحديث المقبول، من الحديث المردود، فقد وضع العلماء مجموعة من الأسس والقواعد المتعلقة بسند الحديث ومتنه، والتي تساعد في الحكم على

(١) رواه الترمذي ، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع.

الحديث من حيث صحة نسبته إلى النبي ﷺ أو عدم صحتها، ويسمى علم الحديث درايةً علم مصطلح الحديث أو علم أصول الحديث.

ثانياً : أهداف علم الحديث

لعلم الحديث روايةً ودرايةً أهداف في غاية الأهمية منها:

١- حفظ الحديث النبوي من الضياع والاندثار، وذلك بروايته مشافهةً وكتابته جيلاً عن جيل، حتى وصل إلينا.

٢- التمييز بين الأحاديث الصحيحة وغير الصحيحة، وقد منع هذا من دخول الأحاديث الضعيفة والموضوعة في الدين.

٣- بناء العقلية الإسلامية الناقدة الممحصة، التي لا تأخذ كلَّ ما تسمع وإنما تبحث وتتحرى وتنقب حتى تصل إلى الحقيقة، فإن صح الحديث عن رسول الله ﷺ قبلناه وإن لم يصح رددناه.

٤- ابتغاء الأجر العظيم على بذل الجهد للمحافظة على سنة النبي ﷺ.

٥- تسهيل مهمة المفسر والفقيه لاستنباط الأحكام.

ثالثا : نشأة علم الحديث

علمت أن علم الحديث نوعان هما: علم الرِّواية وعلم الدِّراية، وقد نشأ علم الرواية زمن النبي ﷺ لأن الصحابة، رضي الله عنهم، كانوا يسألونه ويبلغون ما يسمعون، فهل تعرف نشأة علم الحديث درايةً؟

لم تكن معرفة علم الحديث درايةً ذات إشكالية في زمن النبي ﷺ، لأن الصحابة، رضي الله عنهم، كانوا يسألونه عن أي حديث يشكون في نسبته إليه، وقد بدأت المشكلة بعد وفاته ﷺ، فكيف حافظ المسلمون على الحديث النبوي عبر القرون؟ هذا ما سنستعرضه على مرحلتين:

١- المرحلة الأولى : عصر الصحابة

بحث الصحابة، رضي الله عنهم، في القرآن والسنة عن القواعد التي يعرف بها الحديث الصحيح من غيره، فوجدوا توجيهات تدل على ذلك منها :

أ - الأمر باتباع السنة، وطاعة الرسول ﷺ وهذا لا يتم إلا بحفظ السنة النبوية.

ب- التحذير من الكذب في الحديث النبوي الشريف قال ﷺ: «**من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»(١).

جـ- طلب التثبت من الأخبار قبل قبولها، واشتراط التقوى فيمن تقبل روايته، قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾(٢)

---

(١) صحيح مسلم، المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) سورة الحجرات، الآية (٦).

د - التحذير من نقل ما لا يعرف الراوي صحته، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[1] ولذلك بدأ الصحابة، رضي الله عنهم، يبنون على هذه الأسس علم الحديث الشريف، وكلما تعرضت السنة لخطر جديد وضعوا القواعد التي تكفل بقاءها نقية صافية.

لقد كان الخطر يتمثل في احتمال الخطأ في الرواية، أما الكذب فلم يثبت أن أحداً من الرواة كذب على رسول الله ﷺ، فكيف عالج العلماء احتمال وقوع الخطأ في هذه المرحلة؟

لقد استخدم العلماء أساليب عدة لمعالجة ذلك أهمها :

أ - اقتصار الراوي على رواية الأحاديث التي يطمئن إلى حفظها وضبطها، وعدم روايته لما يشك في حفظه من الأحاديث، فكل راو معرض للنسيان.

وهذا الأسلوب يعالج الخطأ والنسيان بشكل وقائي، أي قبل أن يقع، وقد قلل من وقوع الخطأ في الرواية إلى حد كبير.

نشاط

بيّن الفرق بين الأسلوب الوقائي والأسلوب العلاجي وأهمية كل منهما.

ب- عرض رواية الراوي على القرآن الكريم، والثابت من السنة، فإن وجدوه يعارض شيئاً من القرآن أو الحديث، عرفوا أن الراوي قد أخطأ في الرواية.

جـ- التثبت بشاهد أو يمين: فإن شهد مع الراوي شاهد آخر، أو طلبوا من الراوي اليمين فأقسم، تبين أنه متأكد من صحة ما روى، فيقبل حديثه.

ومثال ذلك أن عمر بن الخطاب طلب إلى أبي موسى الأشعري شاهداً على حديث: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع**»[2] فشهد له الصحابة بذلك فقبله.

وهذا التثبت إنما يكون عند وجود شك في نسيان الراوي أو خطئه.

٢- المرحلة الثانية: عصر ما بعد الصحابة

في هذه المرحلة ظهر الكذب في الحديث، فاستحدث العلماء أساليب جديدة لحفظ الحديث منها:

أ - السؤال عن أسماء رواة الحديث للتأكد من مدى صدقهم ودقتهم، فنشأ علم الجرح والتعديل، وعلم الرجال.

ب- الرِّحلة إلى الراوي الذي سمع الحديث من النبي ﷺ للتأكد من صحة الحديث.

جـ- المقارنة بين رواية الراوي ورواية غيره للحديث، لاكتشاف الكذب أو الخطأ. واستمرت هذه الأساليب وتوسعت على مرور الزمن إلى أن جُمعت الأحاديث وكُتبت، كما ستعرف في تدوين علوم الحديث.

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٣٦).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب الاستئذان

الأسئلة

١- ما الفرق بين علم الحديث روايةً وعلم الحديث درايةً؟

٢- وَضِّح بداية نشأة علم الحديث رواية.

٣- كيف ساعد أسلوب النبي ﷺ على حفظ الحديث الشريف؟

٤- بَيِّن كيف يعين علم الحديث الشريف على محاربة الخرافات والإشاعات في المجتمع.

٥- علّل ما يأتي:

أ - لم تنشأ علوم الحديث دراسة في عهد النبي ﷺ.

ب- عدم قبول كل ما نسمع من الأحاديث.

٦- لعلم الحديث رواية ودراية أهداف كثيرة، اكتب أهمها في رأيك، ولماذا؟

٧- يقول الله سبحانه: ﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ وقال كذلك ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ ﴾ ما القواعد التي يمكن أن تستنتجها من هاتين الآيتين الكريمتين في علم الحديث؟

٨- مقارنة ما يرويه الراوي برواية غيره من الرواة، لها أهمية في اكتشاف الكذب أو الخطأ، برأيك كيف يكون ذلك؟

٩- أسهم علم الحديث روايةً ودرايةً في بناء العقلية الإسلامية الناقدة، وَضِّح ذلك.

الدرس الثالث

جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (١)
(المنهج العلمي في تدوين الحديث)

لقد كانت الكتابة نقلة هامة كبيرة في تاريخ البشرية، وهي الوسيلة الأولى في القديم والحديث، لتدوين العلوم والمعارف، ونقلها من جيل إلى جيل، وبالتدوين انتقل الحديث النبوي الشريف من جيل إلى جيل حتى وصل إلينا، وقد تم ذلك على مراحل سنبينها في هذا الدرس.

أولاً: مراحل كتابة الحديث النبوي الشريف وتدوينه

لقد مرت كتابة الحديث النبوي الشريف وتدوينه في عدة مراحل هي:

١- بداية العصر النبوي

في هذه المرحلة لاحظ الرسول ﷺ قلة عدد الكتبة بين الصحابة، وخشي من أمرين هما :

أ - أن ينشغل الكُتّاب، بكتابة الحديث الشريف عن كتابة القرآن الكريم، والأمر يستدعي أولاً تدوين القرآن الكريم.

ب- أن تختلط عند بعض الكتبة الآيات بالأحاديث، وبخاصة قبل أن تتقدم وسائل الكتابة، إذ كانوا يكتبون على الأحجار والجلود، وما شابه ذلك.

لهذا نهى النبي ﷺ الصحابة عن كتابة الأحاديث، وسمح لعدد قليل منهم فقط بالكتابة. ومن أشهرهم: الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص صاحب «الصحيفة الصادقة» قال أبو هريرة: «**ليس أحد من أصحاب النبي ﷺ أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب**»(١).

نشاط

لماذا سمح النبي ﷺ لعدد قليل من الصحابة بكتابة الأحاديث النبوية؟

٢- أواخر العصر النبوي

بعد سنوات من إقامة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، شجّع الرسول ﷺ على التعلم بأساليب متعددة، فكثر عدد الكُتّاب، وزالت أسباب المنع، وسمح النبي ﷺ لمن شاء أن يكتب، بل وأمر بكتابة بعض الأحاديث أحياناً، وقد كتب في هذه المرحلة كثير من الأحاديث النبوية ومن ذلك :

---

(١) رواه الترمذي ، كتاب العلم، باب الرخصة في كتابة العلم.

أ- كتبه ﷺ إلى أمرائه وعماله، وهي تشتمل على أهم أمور الإسلام من عقيدة وأحكام، كأحكام الزكاة وأنصبتها ومقاديرها، والديات، والحدود، وبيان المحرمات.

ب- كتبه ﷺ إلى الملوك، ورؤساء الدول، وزعماء القبائل يعرض عليهم الدخول في الإسلام.

جـ- العقود والمعاهدات التي أبرمها ﷺ مع الكفار.

د - كتب لأفراد من الصحابة في مناسبات مختلفة، كقوله ﷺ لبعض الصحابة: «**اكتبوا لأبي شاة**» [1] وذلك في خطبة حجة النبي ﷺ.

هـ- صحائف كثيرة بالحديث النبوي كتبها كثير من الصحابة لأنفسهم مثل: علي بن أبي طالب، وسعد بن عبادة، وجابر بن عبد الله، وسمرة بن جندب، وغيرهم.

٣- بعد وفاة الرسول ﷺ وحتى نهاية القرن الهجري الأول

اشتدت حاجة المسلمين إلى كتابة الحديث بعد وفاة النبي ﷺ فازدادت كتابتهم له، وقد كتب منهم في هذه المرحلة عشرات من الصحابة والتابعين، ولكن الكتابة كانت تتم بجهود فردية، حتى جاء عمر بن عبد العزيز، رحمه الله تعالى، فأمر الإمام محمد بن شهاب الزهري بجمعها وكتابتها، فانتقل الأمر من الكتابة الفردية إلى الكتابة الرسمية، التي تشرف عليها الدولة الإسلامية.

٤- القرنان الثاني والثالث الهجريان

في هذه المرحلة تمت كتابة الحديث وتدوينه في مصادر كبيرة، لا زالت هي المصادر المعتمدة حتى الآن، مثل الموطأ للإمام مالك، والجامع الصحيح للبخاري، وصحيح مسلم، وسنن الترمذي، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجة، ومسند الإمام أحمد بن حنبل.

ثانياً : تصنيف الحديث الشريف

لم تكن الأحاديث النبوية في بداية عهد الكتابة ترتب ترتيباً معيناً، بل كانت تسرد سرداً دون أي ترتيب، ولكن حينما ظهرت الكتب الكبيرة التي تحتوي آلافاً، بل عشرات الآلاف من الأحاديث كان لا بد من ترتيب الأحاديث بطريقة علمية تسهّل على الباحث الوصول إلى الحديث الذي يبحث عنه. فما أهم طرق التصنيف في الحديث؟

لقد اعتمد علماء الحديث طريقتين رئيستين في التصنيف هما:

١- التصنيف بحسب الموضوع

وفي هذه الطريقة توضع الأحاديث الخاصة بالعلم وحدها وتسمى كتاب العلم، وأحاديث الإيمان وحدها، وأحاديث الصلاة وحدها، وأحاديث الجهاد منفردة وهكذا. ثم تقسّم أحاديث كل موضوع رئيس إلى موضوعات فرعية كثيرة، ويسمى كل موضوع فرعي «باباً» فنقول كتاب الإيمان باب بُني الإسلام على خمس، وباب حلاوة الإيمان، وباب الحياء من الإيمان، وهكذا، وهذه هي أكثر طرق التدوين انتشاراً بين العلماء، وعلى هذه الطريقة الكتب الستة.

---

(١) صحيح البخاري، باب كتابة العلم.

٢– التصنيف بحسب الصحابي الذي روى الحديث

وفي هذه الطريقة تكتب الأحاديث التي رواها أبو بكر أولاً، ثم الأحاديث التي رواها عمر، ثم الأحاديث التي رواها عثمان، فالأحاديث التي رواها علي، رضي الله عنهم جميعاً، وهكذا حسب ترتيب معين للصحابة.

وتكتب عند كل صحابي منهم جميع الأحاديث التي رواها بغض النظر عن موضوعها، وتسمى الكتب المؤلفة على هذه الطريقة« المسانيد»، ومن أمثلة هذه الكتب مسند الإمام أحمد بن حنبل.

نشاط

كيف رتب الإمام البخاري والإمام مسلم الأحاديث الشريفة في صحيحيهما ؟

ثالثاً : شروط مصادر الحديث الشريف

هناك طريقة أثبتها علماء الحديث الشريف في تدوين الحديث الشريف في كتبهم التي أصبحت مصادر للحديث الشريف وهذه الطريقة هي:

١– ذكر سند الحديث

يشترط في كتاب السنة النبوية حتى يكون مصدراً من المصادر المعتمدة في الحديث الشريف، ذكر كل حديث بسنده من مؤلف الكتاب إلى الرسول ﷺ ، فصحيح الإمام البخاري يعد مصدراً من مصادر السنة النبوية، لأنه يقول حدثنا فلان حتى النبي ﷺ.

ومن جانب آخر، فإن كل كتاب جمع مجموعة من الأحاديث من غير ذكر أسانيدها، لا يعد من مصادر الحديث النبوي.

٢– ذكر درجة الحديث

هناك شروط خاصة انفرد بها كل مؤلف في كتابه، فمنهم من اشترط أن لا يذكر في كتابه إلا الحديث الصحيح، كالإمام البخاري والإمام مسلم في صحيحهما ومنهم من اشترط أن تكون أحاديث كتابه من الأحاديث المقبولة، وهي تشمل الأحاديث الصحيحة والحسنة، كأبي داود، والنسائي في سننهما، ومنهم من ذكر مع الأحاديث المقبولة بعض الأحاديث الضعيفة وبيّن ضعفها كالترمذي في سننه.

الأسئلة

١- علّل ما يأتي:

أ - خشي الرسول ﷺ من كتابة الحديث الشريف في بداية العهد النبوي.

ب- سمح ﷺ لبعض الصحابة بكتابة الحديث الشريف في بداية العهد النبوي .

٢- بيّن الفرق بين بداية العصر النبوي وآخره في تدوين الحديث الشريف.

٣- في نهاية القرن الأول الهجري انتقلت كتابة الحديث الشريف من الكتابة الفردية إلى الكتابة الرسمية- في رأيك- ما أهمية ذلك؟

٤- استنتج ثلاث فوائد لتصنيف الأحاديث في كتب السنة النبوية.

٥- ما رأيك بطريقة تصنيف الأحاديث النبوية الشريفة بحسب الصحابي الراوي؟

٦- بيّن متى يعد الكتاب في السنة النبوية مصدراً من المصادر المعتمدة في الحديث الشريف.

٧- ضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة فيما يأتي:

* كانت بداية كتابة الحديث الشريف في زمن:

أ - النبي ﷺ.

ب- أبي بكر رضي الله عنه.

جـ - عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

د - عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (٢)
(التأليف في علم مصطلح الحديث)

وضعت قواعد علم مصطلح الحديث تدريجياً وبشكل تراكمي كالبناء توضع لبناته واحدة فوق الأخرى، وكان العلماء يتداولونها مشافهة، وبعد أن استقرت هذه القواعد عندهم أقبلوا على تدوينها وإليك بيان ذلك.

أولاً: بداية الكتابة في علم مصطلح الحديث

بدأت عملية مراعاة قواعد علوم الحديث دراية قبل كتابتها، وكان من أشهر من وعى هذه القواعد ودرسها الإمام الزهري، ولكنه لم يكتب فيها كتاباً.

وقد ألف الإمام الشافعي كتابه المشهور (الرسالة) في أصول الفقه ضمنه شروط الحديث المقبول وشروط الراوي الذي يقبل حديثه، ويعتبر هذا أول تدوين لقواعد علم مصطلح الحديث.

وأما التأليف في علم مصطلح الحديث بشكل مستقل، عن غيره من العلوم فقد بدأ في القرن الرابع الهجري، ومن أشهر ما كتب في تلك الفترة : «**الكفاية في علم الرواية**» ومؤلفه: أحمد بن علي بن ثابت، «الخطيب البغدادي».

وامتاز التأليف في تلك الفترة بأمرين هما :

أ - فصل علم مصطلح الحديث عن العلوم الأخرى في التأليف.

ب- جمع كل ما أمكن من المعلومات في هذا العلم من المؤلفات الصغيرة، حتى لا تضيع ، وقد طغى الجمع على التنقيح والتمحيص، والموازنة بين الآراء والترجيح بينها في هذه المرحلة.

ثانياً :ازدهار التأليف في علوم الحديث

وصل التأليف في علم مصطلح الحديث إلى مرحلة النضج والاكتمال ابتداء من القرن السابع الهجري، إذ تمكن العلماء- بعد تمام عملية الجمع - من ضبط التعريفات، كتعريف الحديث الحسن، والتفريق بينه وبين الحديث الصحيح في هذا العصر، والترجيح بين الآراء، ومن أهم المؤلفات في هذا القرن «علوم الحديث» ومؤلفه عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح.

ثالثاً : عصر الركود

وقد بدأ هذا العصر من القرن العاشر الهجري، وكانت المؤلفات فيه كثيرة، ولكنها كانت في كثير منها تكراراً لما سبق من المؤلفات، قلَّ فيها الابتكار وكثر فيها التقليد.

وكثر في هذا العصر شرح المختصرات، واختصار المطولات، ونظم بعض الكتب شعراً، ولكن دون إبداع في المضمون.

رابعاً : عصر الصحوة

أفاق العالم الإسلامي في هذا العصر، على احتلال الأعداء لبلاد المسلمين واستعماره لها، وتقسيمها إلى دويلات صغيرة ضعيفة في قدراتها، وقد سبق هذا الغزو العسكري غزو أكثر خطراً، وهو الغزو الثقافي الذي يستهدف عقيدة المسلمين ومصادر دينهم، وطمس شخصيتهم الحضارية.

وقد أثيرت شبهات حول السنة النبوية، لتشكيك المسلمين في المصدر الثاني لدينهم، فهب عدد من العلماء يدافعون عن السنة النبوية، ويردون على هذه الشبهات ويكشفون زيفها وتناقضها، وما تنطوي عليه من أخطاء علمية. ومن أهم ما أُلف في هذا العصر كتاب. «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» للدكتور مصطفى السباعي.

ثم توالت بعد ذلك المؤلفات في مختلف بلدان العالم الإسلامي، وهي مؤلفات لا تكاد تحصى، وانكشفت افتراءات المفترين على الحديث النبوي الشريف، واكتسبت الأمة مناعة ضد التشكيك في مصادر دينها قرآناً وسنة.

الأسئلة

١- ما الفرق بين ازدهار التأليف في علم مصطلح الحديث واستقلاله؟

٢- لماذا كان الغزو الثقافي أخطر من الغزو العسكري؟

٣- ضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة فيما يأتي:

أ - أول من كتب في علم مصطلح الحديث مستقلاً عن غيره من العلوم هو:

١. الزهري.

٢. الشافعي.

٣. البغدادي.

٤. ابن الصلاح.

ب- تميز عصر الركود بـ:

١. قلة المؤلفات.

٢. انعدام التأليف.

٣. قلة المؤلفين.

٤. قلة الإبداع في التأليف.

نشاط

ارجع إلى أحد كتب عصر الصحوة مثل كتاب «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» واكتب بحثاً في حجية السنة النبوية وأنها المصدر الثاني للتشريع .

الدرس الخامس

جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (٣)
(تتبع أحوال الرواة)

معرفة أحوال رواة الحديث النبوي الشريف من أهم ركائز الحكم على الحديث من حيث صحته أو ضعفه، فما هي أحوال الرواة التي تركزت عليها جهود علماء الحديث؟

نظر العلماء في أمور الرواة فوجدوا أن رواية الراوي للحديث النبوي كما سمعه تقتضي أن لا يحدث تغييراً في الحديث، لا عمداً (وهو الكذب)، ولا دون عمد (وهو الخطأ أو النسيان)، ولذلك جعلوا الشروط التي تشترط في كل راوٍ قسمين هما :

١- شروط تنفي عن الراوي احتمال الكذب، وتسمى العدالة.

٢- شروط تنفي عن الراوي احتمال الخطأ والنسيان، وتسمى الضبط.

وسمّى العلماء المجموعة الأولى العدالة، والثانية الضبط، وفيما يأتي بيان ذلك :

أولاً : العدالة

العدالة صفة تحمل الراوي على الصدق في رواية الحديث وتعرف بأنها: استقامة الراوي التامة في شؤون الدين وسلامته من الفسق كله وسلامته من خوارم المروءة[١]. وللعدالة المعتبرة في رواة الأحاديث النبوية شروط لا بد من اجتماعها هي:

١- **الإسلام** : لأن الكافر ربما حمله كفره على الكذب في الحديث النبوي الشريف.

٢- **العقل** : لأنّ المجنون لا يعي ما يقول.

٣- **البلوغ** : لأن الصغير لا يدرك مخاطر الكذب في الحديث النبوي الشريف.

٤- **التقوى** : وهي اجتناب الكبائر، وعدم الإصرار على الصغائر، فإن الإصرار على الصغائر قد يقود إلى الكبائر. والذي يتجرأ على فعل كبيرة ربما يتجرأ على الكذب في الحديث النبوي.

٥- **المروءة** : وهي الالتزام بالعادات المباحة في الإسلام وهي تختلف بين عصر وآخر، وبين بيئة وأخرى، ومن أمثلة ذلك أن الرجال في القرن الهجري الأول اعتادوا على تغطية رؤوسهم، ولم يرد فيه أمر ولا نهي، فكان من المروءة أن يغطي الرجل رأسه، وأما الآن فقد اعتاد الرجال كشف رؤوسهم، فلا يعد مَنْ كشفَ رأسه مِنَ الرجال فاقداً للمروءة.

فإذا اجتمعت كل شروط العدالة السابقة في الراوي كان عدلاً.

---

(١) صبحي الصالح ، علوم الحديث ومصطلحه، ص ١٢٩

نشاط

لماذا لم يدخل العلماء في المروءة العادات التي أمر الإسلام بها، والابتعاد عن العادات التي نهى الإسلام عنها؟

ثانياً: الضبط

وهي صفة إذا توافرت في الراوي حالت بينه وبين الخطأ في رواية الحديث النبوي وهي تتطلب ما يأتي:

١ – التيقظ، وهو قسمان :

أ – **التيقظ الحسي**: ويتحقق ذلك بأن لا يكون الراوي شارد الذهن في أثناء سماع الحديث، وأن لا يكون في حالة بين النوم واليقظة.

ب– **التيقظ المعنوي**: بأن لا يكون الراوي ضعيف الفهم، فيفهم الكلام على غير وجهه الصحيح وما شابه ذلك.

٢– عدم مخالفة الرواة الموثوقين

فإن الراوي إذا كثرت مخالفته – لمن هو أوثق منه من الرواة الموثوقين في روايته – دلّ ذلك على خطئه، وعدم ضبطه لما يروي.

فإذا اجتمع الأمران السابقان في الراوي سمي ضابطاً، وإن اجتمعت كل شروط العدالة والضبط فإن الراوي يسمى (ثقة)، فالثقة هو: العدل الضابط.

ثالثاً : المؤلفات في رواة الحديث

تتبع علماء الحديث أحوال الرواة من حيث العدالة والضبط وكل ما يتعلق بهما، وقد وصلوا في الدقة منزلة لم يعرفها التاريخ البشري كله، ودونوا ذلك في كتب خاصة لتمكين الباحث من تمحيص الروايات والحكم عليها من خلال رواتها ومن أهم هذه الكتب كتاب «تهذيب التهذيب» للحافظ ابن حجر العسقلاني.

وقد رتبت هذه الكتب أسماء الرواة حسب الحروف الهجائية ليسهل الوصول إلى المعلومات المتعلقة بكل راوٍ من رواة الحديث النبوي الشريف.

وتشتمل هذه الكتب على اسم الراوي وكنيته ولقبه ونسبه وولادته، وشيوخه وتلاميذه، وبلده ليمتاز عن غيره من الرواة فلا يختلط ضعيف بثقة.

وتشتمل هذه الكتب كذلك على أقوال العلماء في الراوي من حيث عدالته وضبطه، وتتفاوت هذه الكتب في الرواة تطويلاً واختصاراً، فبعضها يقع في عدد محدود من المجلدات وبعضها يقع في عدد كثير من المجلدات يصل أحياناً إلى أكثر من عشرين مجلداً.

الأسئلة

١- قسِّم علماء الحديث شروط الراوي إلى مجموعتين. وضحهما.

٢- تختلف مقاييس المروءة من مجتمع إلى آخر ومن عصر إلى آخر، وضح ذلك.

٣- قارن بين مقياس التقوى والمروءة كشرطين لابد من توافرهما في راوي الحديث.

٤- بَيِّن أربعة من الأمور التي تحويها كتب الرواة عن كل راوٍ من الرواة.

٥- في رأيك. ما أهمية ذكر ما يأتي عن راوي الحديث؟

أ - ذكر تلاميذه وشيوخه.

ب- ذكر ولادته وبلده ورحلاته ووفاته.

٦- ضع دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة فيما يأتي:

أ - مما يعين على عدم الخطأ في رواية الحديث الشريف:

١. الإسلام

٢. التقوى

٣. التيقظ

٤. المروءة

ب- الثقة في اصطلاح المحدثين معناها:

١. التقي البالغ

٢. العدل الضابط

٣. المتيقظ

٤. المسلم التقي

جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (٤)
(قواعد الجرح والتعديل)

بعد تتبع أحوال الراوي، يصل العلماء إلى حكم محدد بشأنه، فإما أن يكون مقبول الرواية أو أن يكون مردود الرواية، وهذا الحكم على الرواي هو الذي يُطلق عليه في علم مصطلح الحديث الجرح والتعديل، فما الجرح؟ وما التعديل؟ وما شروطهما؟ وما مراتبهما؟

أولاً : تعريف الجرح والتعديل

الجرح لغة: مصدر من جَرَحَ، وجرحه إذا أحدث في بدنه جرحاً يسمح بسيلان الدم منه، ويقال جرح الشاهد إذا عثر منه على ما تسقط به عدالته من كذب وغيره.

والجرح اصطلاحاً: هو ظهور وصف في الراوي يثلم عدالته أو يخل بحفظه وضبطه مما يترتب عليه سقوط روايته أو ضعفها وردها.

والعدل لغة: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور، ورجل عدل: مقبول الشهادة، والعدل من الناس المرضي قوله وحكمه.

والتعديل اصطلاحاً : هو توثيق الراوي، أي الحكم عليه بأنه عدل ضابط مما يترتب عليه صحة روايته وقبولها.

ثانياً : مشروعية الجرح والتعديل

إن الجرح والتعديل أمران ضروريان لحفظ الحديث النبوي الشريف من الأحاديث المكذوبة، والأحاديث التي وقع فيها الخطأ والنسيان، ولولا الجرح والتعديل لاختلطت الأحاديث المقبولة بالأحاديث غير المقبولة، وهذا له أثره في الأحكام الشرعية والعقائد الإسلامية، لذا أجمع العلماء على وجوب الجرح والتعديل، وأنه ليس من الغيبة المحرمة، لأنه لا مجال لحفظ الدين إلا به، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ومن الأدلة النقلية التي تثبت مشروعية الجرح والتعديل قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾[1] وقوله سبحانه :

﴿ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٞ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾[2]

أي ممن ترضون دينه وأمانته.

---

(١) سورة الحجرات، الآية (٦).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٨٢).

ثالثاً : شروط الجرح والتعديل

لا بد من توافر شروط عدة في الجرح والتعديل، وهذه الشروط هي :

١- أن يكون «الجارح والمعدِّل» ثقة - أي عدلاً ضابطاً - فإنه لا يمكن قبول حكم غير الثقة، إذ فاقد الشيء لا يعطيه وعدالة الجارح والمعدّل تجعلنا نثق بصدقه وأمانته، كما أن ضبط «الجارح والمعدِّل» يجعلنا نثق بأنه لم يخلط بين راوٍ وآخر، وأنه على درجة ممتازة من الثقة في حكمه.

٢- أن يكون «الجارح والمعدِّل» عالماً بقواعد الجرح والتعديل، أما الجاهل بقواعد الجرح والتعديل فلا يقبل حكمه.

٣- أن يكون عالماً بمصطلحات الجرح والتعديل، حتى لا يستعمل اللفظ لغير معناه الذي تعارف عليه العلماء.

٤- أن يُبَيِّن سبب الجرح فلا يكفي أن يقول الجارح فلان غير ثقة، بل لا بد أن يذكر سبب عدم ثقته، كأن يقول: «فلان يُخطىء كثيراً، أو فلان يكذب» وما شابه ذلك، وبهذا يتم التأكد من هذا الجرح، فلا يلتبس راوٍ بآخر، ولا يجرح بما تاب عنه من المعاصي.وأما المعدِّل فلا يجب عليه ذكر سبب التعديل لأن الأصل في الإنسان العدالة.

هذه هي شروط «الجارح والمعدّل». ونلاحظ أنه لا يشترط أن يكون «الجارح والمعدّل» رجلاً، فالجرح والتعديل يقبل ممن اجتمعت فيه الشروط الأربعة سواء أكان رجلاً أو امرأة وسواء أكان واحداً أم أكثر.

نشاط

ماذا تعني كلمة ثقة عند علماء الحديث؟ وماذا تعني عند الناس في عصرنا؟

رابعاً: مراتب الجرح والتعديل

كما أن مستويات الطلبة تنقسم إلى أقسام متعددة، مثل ممتاز، وجيد جداً، وجيد ومقبول، فإن مستويات رواة الحديث كذلك، وقد قسَّمها العلماء عدة تقسيمات، ولكل قسم عدة ألفاظ اصطلاحية تدل عليها، لا نستطيع أن نذكرها كلها خشية الإطالة، ولذلك سنقسمها إلى ثلاثة أقسام فقط وهي :

١- من يقبل حديثهم وهم درجات، ويعبر عن هذا القسم بالمصطلحات الآتية:

أ - أوثق الناس.　　ب- ثقة ثقة.

جـ - ثقة　　د - صَدوق

٢- من يرد حديثهم وهم درجات أيضاً ويعبر عنهم بمثل المصطلحات الآتية :

أ - ضعيف جداً.　　ب- متهم بالكذب.

جـ- كذَّاب.　　د - أكذب الناس.

٣- من يكتب حديثهم و ينظر فيه، فإن وجدنا حديثاً آخر يقويه قبلناه، وإن لم نجد رددناه، فهو بين القسمين السابقين لا يقبل وحده، ولا يرد فوراً، ويعبر عن هذا القسم بمثل المصطلحات الآتية:

أ - يكتب حديثه.　　ب- لا بأس به إن شاء الله.

جـ- ليس بالقوي.　　د - له ما يُنكَر.

الأسئلة

١- ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، كيف تفهم مشروعية الجرح في ضوء ذلك؟

٢- لماذا أجاز العلماء الجرح مع أنه في الظاهر من الغيبة؟

٣- ما معنى أن يكون الجرح مفسَّراً؟

٤- لماذا لا يشترط في التعديل أن يكون مفسَّراً؟

٥- ضع دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة فيما يأتي :

أ - حكم الجرح والتعديل هو :

١- مباح　　٢- مندوب

٣- واجب　　٤- حرام

ب- أشد درجات من يرد حديثهم :

١- كذاب　　٢- ضعيف جداً

٣- متهم بالكذب　　٤- أكذب الناس

جـ - من المصطلحات الدالة على قبول حديث الراوي :

١- يكتب حديثه　　٢- لا بأس به إن شاء الله

٣- ثقة　　٤- ضعيف

الدرس السابع

جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (٥)
(قواعد الحكم على الحديث)

يتكون الحديث من سند ومتن، وللحكم عليهما قواعد اتفق عليها المحدثون، فما هذه القواعد التي تميز بين الحديث المقبول والحديث المردود؟

أولاً: شروط الحديث المقبول

اشترط المحدّثون شروطاً عدة للحديث المقبول وهي :

١– أن يكون كل رواته ثقات

أي أن تجتمع في كل واحد منهم أركان العدالة والضبط، فإن كان واحد منهم، أو أكثر غير ثقة، فإن الحديث يعد غير مقبول.

٢– أن يكون سنده متصلا

أي أن يروي كل راوٍ الحديث عن شيخه، بطريقة مقبولة، وبذلك يكون الرواة في سند الحديث، قد سمع كل منهم الحديث من شيخه أو تلقاه بإحدى الطرق المقبولة عند أهل الحديث.

٣– أن لا يخالف متن الحديث شيئاً أقوى منه

والقوة تتمثل في أحد الأمور الآتية:

أ – **آية من كتاب الله تعالى** : ومثاله حديث مقدار الدنيا وأنها سبعة آلاف سنة ويجيء في الألف السابعة[١] وهذا من أبين الكذب لأنه لو كان صحيحاً لكان كل شخص عالماً بوقت قيام الساعة والله تعالى يقول:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ....﴾[٢]

ب– **حديث نبوي آخر أقوى منه**: ومثاله قولهم: «إذا حدثتم عني بحديث يوافق الحق فخذوا به حدَّثت به أو لم أحدِّث» فإنه مخالف للحديث المتواتر في قوله ﷺ: «**من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[٣]

جـ–**حقيقة قاطعة**: أن لا يخالف الحديث حقيقة قاطعة لم يعد أي مجال لنقضها أوبطلانها.

فإذا اجتمعت في الحديث كل الشروط السابقة فهو حديث مقبول.

---

(١) أي تكون نهاية عمر الدنيا في الألف السابعة

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٨٧).

(٣) صحيح مسلم، المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: طرق رواية الحديث

ويمكن أن نقسم طرق رواية الحديث إلى قسمين رئيسين:

١– رواية الحديث مشافهة

وذلك إما بأن يروي الشيخ الحديث من حفظ، أو من كتابه، والطالب يسمع فيحفظ، أو يكتب. وتسمى هذه الطريقة "السماع". وإما بأن يقرأ الطالب على شيخه الحديث، فيقره الشيخ على صحة ما قرأ. وتسمى هذه الطريقة "العرض".

وقد نقلت أكثر الأحاديث النبوية بالمشافهة (سماعاً وعرضاً) وهي أقوى طرق الراوية عند المحدثين.

٢– رواية الحديث كتابة

أي دون أن يسمع الطالب من شيخه أو يعرضها عليه، ويكون ذلك بأن يعطي الشيخ لتلميذه كتاباً يحوي مجموعة من الأحاديث دون أن يقرأها عليه، أو أن يرسل له رسالة مع شخص فيها مجموعة من الأحاديث، أو أن يجد الطالب كتاباً بخط أحد العلماء وفيه مجموعة من الأحاديث، وما شابه ذلك.

وهذه الطريقة دون الطريقة الأولى في القوة، ولكنها مقبولة بشرط التثبت من نسبة المكتوب إلى العالم الذي نسبت الأحاديث إليه، فإن نقلها شخص فلا بد من أن يكون أميناً، أو أن يعرف الطالب خط شيخه فلا يلتبس عليه. فإن تأكد من صحة نسبة المكتوب إلى كاتبه، فطريقة الرواية مقبولة، وإلا فلا.

فإذا روى كل راو من رواة السند الحديث عن شيخه فالسند متصل، وإن سقط أحد رواة السند فالسند غير متصل، ويعد الحديث غير مقبول.

الأسئلة

١- ما المقصود بالمصطلحات الآتية:
السند، المتن، طريقة العرض؟

٢- ما المقصود باتصال السند كأحد شروط قبول الحديث؟

٣- وَضِّح الفرق بين رواية الحديث مشافهة وكتابة، وما حكم كل منهما؟

٤- وَضِّح أهمية وضع قواعد لمعرفة الحديث المردود.

الدرس الثامن

جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي الشريف (٦)
(محاربة الوضع في الحديث الشريف)

مضى عصر الصحابة، رضي الله عنهم، وهم الأمناء على كتاب ربهم وسنة نبيهم، فكانوا عدولاً ثقات، روايتهم للحديث الشريف مقبولة دون توقف، ولكن ما أن انقضى هذا العصر حتى ظهر بعض الناس، ممن سولت لهم أنفسهم وضع أحاديث، نسبوها إلى رسول الله ﷺ لسبب أو لآخر، فما معنى الوضع؟ وما الأمور الدالة في الكشف عن الحديث الموضوع؟

وما جهود علماء الحديث في محاربته؟

أولاً: معنى الوضع في الحديث

الوضع في الحديث: هو الكذب في نسبة الحديث إلى النبي ﷺ، بأن ينسب إليه ما لم يقله، سواء أكان المنسوب إليه حكمةً لأحد الحكماء، أم مثلاً من الأمثال. أم كلاماً من نسج خيال الوضّاعين.

ولقد بذل علماء الحديث جهوداً كبيرة لمحاربة الوضع في الحديث النبوي الشريف لكي تبقى السنة النبوية صافية نقية، لا تشوبها شائبة. وإليك أهم ما فعله علماء الحديث في هذا المجال:

١- **درس علماء الحديث أسباب الكذب في حديث النبي ﷺ وصنفوا الوضّاعين حسب هذه الأسباب**، لأن ذلك يساعد على كشف الأحاديث المكذوبة، وقد تبيّن لهم أن أسباب الكذب في الحديث تتلخص فيما يأتي:

أ- **الانتصار للمذهب**، مما يلاحظ في الحياة أن يكون للناس مذاهب واتجاهات عقائدية، وفقهية، وسياسية، لذلك حاول صاحب كل اتجاه ترجيح مذهبه على غيره، وقد اتخذ بعض الناس الكذب على النبي ﷺ، طريقاً لانتصار مذهبه.

ومن أمثلة الكذب في الحديث انتصاراً للمذهب السياسي في مسألة الخلافة، الأحاديث الموضوعة الآتية: «أبو بكر يلي أمتي بعدي»، و«علي خير البشر، من شك فيه فقد كفر» و «الأمناء ثلاثة أنا وجبريل ومعاوية».

ب- **العداء للإسلام**، وقد كان يقوم بهذا المنافقون والزنادقة الذين فشلوا في محاربة الإسلام، بالحجة والبرهان وكذلك بالقوة والسلاح، فلجأوا إلى الدسّ في الأحاديث لمحاولة تشويه الإسلام، وتحريفه من داخله، ومن أمثلة ذلك أن أحدهم زاد جملة مكذوبة على حديث صحيح فغير معناه فقال: «أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي إلا أن يشاء الله»، فجملة إلا أن يشاء الله كذبة أضيفت إلى الحديث.

نشاط

أين الكلمات المكذوبة في الحديث «أنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي إلا أن يشاء الله»؟ وما الهدف من هذا الوضع؟

حـ- **التوصل إلى الأغراض الدنيوية**، كالمال والتقرب إلى بعض الأمراء، فقد روي أن شخصاً اسمه غياث ابن إبراهيم حين دخل على الخليفة المهدي وهو يمارس هواية اللعب بالحمام قال: حدثنا فلان أن النبي ﷺ قال: «لا سَبْقَ إلا في نصل أو خُفٍّ أو حافر أو جناح» والحديث صحيح إلا «أو جناح» زادها غياث ليسوغ فعل الخليفة، فلما ذهب قال المهدي : أشهد أن قفاك قفا كذاب على رسول الله ﷺ ثم ترك ما كان فيه، وأمر بذبح الحمام.

د- **الترغيب والترهيب**، وقد فعل ذلك قوم جَهَلَة رأوا تقصير الناس في بعض أعمال الخير فوضعوا أحاديث للحث عليها، وأحاديث أخرى للتحذير من بعض المعاصي، فكانت نيتهم حسنة، لكن أسلوبهم كان محرّماً، وهو الكذب على النبي ﷺ ومن أمثلة ذلك، الحديث الطويل الذي وضعه نوح بن أبي مريم في فضائل قراءة سور القرآن، من أولها إلى آخرها، واعتذر عن ذلك بأنه رأى الناس قد أعرضوا عن القرآن، فوضع هذا الحديث حسبة لله تعالى. هذا ولا ينبغي أن يُفهم أن كل ما ورد في فضائل السور غير صحيح.

٢- **رفض كل حديث ليس له سند**، قال عبد الله بن المبارك «الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء».

٣- **تتبع أحوال رواة الحديث المروي بالسند**، وتطبيق معايير العدالة والضبط عليه، كما سبق ذكره. فإن وجدنا فيه من اتُّهم بالكذب فهو حديث موضوع.

٤- **التحذير من الوضّاعين والاستماع إليهم، والتعلم منهم**.

٥- **بيان حكم الكذب على النبي ﷺ** وأنه من أكبر الكبائر فقد قال ﷺ: «**من كذبَ عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»(١).

وبيان حكم رواية الحديث الموضوع، وأنه أيضاً من الكذب على النبي ﷺ، انطلاقاً من قوله عليه السلام: «**من حدّث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**»(٢).

ولذلك فإنه لا تجوز رواية الحديث الموضوع، إلا لبيان أنه موضوع مكذوب على النبي ﷺ.

وقد وضع علماء الحديث علامات للحديث الموضوع، استنتجوها من بحوثهم الطويلة، ومعرفتهم الواسعة بهذه الأحاديث، وهذه العلامات هي خلاصة جهود طويلة في هذا المجال، وهي إما أن تدل على أن الحديث موضوع قطعاً، أو تشكك فيه كثيراً فتجعله غير مقبول.

ثانياً: الأمور الدالة على أن الحديث موضوع

من أهم ما يدل أن الحديث موضوع :

١- **إقرار الراوي بأنه وضع الحديث**. كما حدث من عبد الكريم بن أبي العوجاء لما اكتشف أمره، وحوكم، وصدر الحكم بقتله، قال: والله لقد وضعت فيكم أحاديث أُحَرِّمُ فيها الحلال وأُحِلُّ فيها الحرام. ولذلك فكل حديث في سنده هذا الراوي فهو حديث موضوع.

---

(١) صحيح مسلم، المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) صحيح مسلم، المقدمة، باب وجوب الرواية عن الثقات.

٢- **المخالفة الصريحة للقرآن الكريم أو السنة الثابتة عن رسول الله** ﷺ وذلك كالأحاديث التي تذكر السنة التي ستقوم فيها القيامة، فهذا يناقض قطعاً ما ورد في القرآن والسنة من أن الساعة لا يعلم وقتها إلا الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ﴾[1]

٣- **مخالفة الحقائق العقلية المتفق عليها بين العلماء**، فإن اختلفوا في أمر ما فلا يعد من الحقائق العقلية، بل هو من الآراء، ولا يرد الحديث إذا خالف رأي شخص أو مجموعة من الأشخاص.

٤- **مخالفة الحقائق الحسية** التي لا يختلف فيها اثنان من أصحاب الحواس السليمة كالحديث الذي يذكر أن الأرض تقف على قرن ثور. فإن الأرض أصبحت الآن مشاهدة من كل جهاتها، وترى وهي تسبح في الفضاء لا تقف على شيء.

٥- **مخالفة الحقائق العلمية** التي لا يختلف فيها المختصون والتي خرجت من نطاق الفرضيات والنظريات إلى نطاق الحقائق التي لا شك فيها، وذلك كحديث «المجرّة التي في السماء من عرق الأفعى التي تحت العرش» ومن ذلك ما يعارض الحقائق التاريخية، كالكتاب الذي أخرجه بعض اليهود بإسقاط الجزية عنهم وأن النبي ﷺ أعطاهم هذا الكتاب عام خيبر وقدموه للوزير، فعرضه الوزير على أحد علماء الحديث وهو الخطيب البغدادي سنة (٤٤٧ هـ) فلما نظر فيه قال: هذا مزور. قيل: كيف قلت هذا؟ قال: فيه شهادة معاوية وقد أسلم بعد فتح خيبر، وفيه شهادة سعد بن معاذ وقد مات قبل خيبر بسنتين.

٦- **ركاكة الحديث إما في اللفظ أو في المعنى**، وذلك لأن النبي ﷺ أفصح العرب، فلا يمكن أن يكون أسلوبه ركيكاً، كأن تجد في الحديث أخطاء لغوية، ليس لها وجه في اللغة العربية، أما الركاكة في المعنى فمعناها أن يكون الحديث متعارضاً مع الحقائق التي ذكرناها سابقاً.

٧- **أن لا يوجد الحديث في أي مصدر من مصادر الحديث**، وليس له سند عن النبي ﷺ فمن أين إذن جاءنا هذا الحديث، وكيف وصل إلينا بعد كل هذه القرون الطويلة؟

نشاط

ما رأيك فيما يوزعه الناس، من أنه رأى النبي ﷺ في المنام، وأمره أن يبلغ الناس أن ينسخوا ذلك (١٣) مرة، فمن نسخها فله السعادة في الدنيا والآخرة، ومن لم ينسحها فله الويل؟ فيم تستدل على رأيك؟

ومن الجهود التي بذلها علماء الحديث جمع الأحاديث الموضوعة في كتب خاصة لتحذير الناس منها، ولتكون مرجعاً لطلاب العلم كلما سُئِلوا عن حديث وَيُشَكُّ في أنه موضوع.

وقد كان كل مؤلف منهم يجمع الأحاديث الموضوعة في عصره، المنتشرة بين الناس ومن أهم هذه الكتب كتاب «المصنوع في الحديث الموضوع» للحافظ على القاري.

---

(١) سورة الأعراف، الآية (١٨٧).

الأسئلة

١ - ما معنى الحديث الموضوع؟

٢ - لماذا اهتم علماء الحديث الشريف بأسباب وضع الحديث؟

٣ - اذكر أربعة من أسباب وضع الحديث.

٤ - اذكر مثالاً على الوضع في الحديث للانتصار للمذهب.

٥ - بَيِّن أهمية كون الكذب على الرسول ﷺ من الكبائر.

٦ - بَيِّن علاقة الوضع في الحديث الطويل في فضل سور القرآن سورة سورة كما مر بك في الدرس السابق.

٧ - بَيِّن أهمية دراستنا لجهود العلماء في محاربة الوضع في الحديث وتتبع الوضَّاعين.

٨ - بَيِّن معنى ركاكة الحديث في لفظه، وركاكته في معناه.

٩ - وضّح أهمية جمع الأحاديث الموضوعة في كتب خاصة.

١٠- ضع دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة فيما يأتي:

أ - حكم وضع حديث بقصد حث الناس على الخير هو:

١- واجب ٢- مستحب

٣- مباح ٤- حرام

ب- حكم التحذير من الوضَّاعين هو:

١- واجب ٢- مستحب

٣- مباح ٤- حرام

نشاط

ارجع إلى المكتبة واستخرج منها بعض الكتب التي جمعت فيها الأحاديث الموضوعة.

الدرس التاسع

أقسام الحديث حسب قائله

قسّم علماء الحديث الأحاديث النبوية الشريفة تقسيمات متعددة، وكل تقسيم ينظر إلى الأحاديث من زاوية معينة كتقسيمه من جهة صحته، أو عدد رواته، أو من جهة قائله.

والحديث ينقسم من حيث قائله إلى أربعة اقسام هي الحديث القدسي، والمرفوع، والموقوف، والمقطوع. وسنعرض في هذا الدرس هذه الأقسام تباعاً.

أولاً : الحديث القدسي

١- **تعريف الحديث القدسي**: هو الحديث الذي يضيفه الرسول ﷺ إلى الله تعالى، وذلك كأن يقول: قال الله تعالى. أو يقول الله تعالى، أو كأن يقول الراوي قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل، وسمي هذا النوع بالقدسي نسبة إلى القدس وهو الطهارة والتنزيه، ويسمى أيضاً بالحديث الإلهي نسبة إلى الإله سبحانه.

٢- **الفرق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم**: مع أن الحديث القدسي والقرآن الكريم من كلام الله لكنه يفترق عن القرآن الكريم فروقاً عدة أهمها:

أ - الإعجاز: إن القرآن الكريم معجز إعجازاً لفظياً بيانياً، وأما الحديث القدسي فهو غير معجز في اللفظ، لذلك فقد جاء التحدي بالإتيان بمثل القرآن الكريم أو بعضه، أما الحديث القدسي فلم يجر التحدي به.

ب- التواتر: القرآن الكريم متواتر كله، وأما الحديث القدسي فبعضه متواتر وبعضه غير متواتر.

جـ- التعبد بالتلاوة: القرآن الكريم متعبد بتلاوته. فقراءته عبادة في الصلاة وخارج الصلاة ولو بغير فهم. أما الحديث القدسي فغير متعبد بتلاوته، أي لا يقرأ في الصلاة، ويقرأ خارج الصلاة، ولكن لا يثاب عليه.

د - القرآن الكريم لا تصح الصلاة إلا به أما الحديث القدسي فلا تصح الصلاة به.

هـ- اللمس: القرآن الكريم لا يجوز مسه ولا قراءته للجنب والحائض والنفساء، أما الحديث القدسي فإنه يجوز فيه ذلك.

و - التلاوة بالمعنى: القرآن الكريم تحرم تلاوته بالمعنى، والحديث القدسي تجوز روايته بالمعنى.

ز - القرآن الكريم لفظه ومعناه من عند الله تعالى، أما الحديث القدسي فمعناه من الله تعالى ولفظه من الرسول ﷺ.

حـ- طريقة الوحي: القرآن الكريم لا يكون إلا بوحي جلي عن طريق جبريل، عليه السلام، أما الحديث القدسي فيجوز أن يكون بوحي أو رؤيا منامية، أو بالإلقاء في الروع.

٣- الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي الشريف

الفرق الرئيس بين الحديث القدسي والحديث النبوي الشريف يتثمل في أمرين هما:

أ - إضافة النبي ﷺ الحديث القدسي إلى الله تعالى إما بلفظ "قال الله تعالى"، أو "يقول الله تعالى"، أو بلفظ "فيما يرويه عن ربه عز وجل".

ب- صيغة الحديث القدسي، فإذا نظرنا في أي حديث قدسي وجدنا صيغته عبارة عن مخاطبة من الله تعالى للناس. وذلك مثل: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**»[١] فهل يمكن أن يكون ذلك خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وكلامه. إنه قطعا كلام الله. ولو كان الكلام صادراً من الرسول ﷺ لقال: يا عباد الله إن الله حرم الظلم على نفسه وجعله بينكم محرماً فلا تظالموا. ومثل: «**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب**»[٢] وهكذا كل الأحاديث القدسية. أما الحديث النبوي فهو من كلام النبي. ويتبين ذلك من صيغة الحديث النبوي أيضاً، مع العلم بأن الحديث النبوي قد أوحي بمعناه إلى النبي ﷺ من الله تعالى.

والأحاديث القدسية قليلة وموضوعها الموعظة والرقائق، ومن أمثلة الحديث القدسي عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ قال الله تبارك وتعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك. من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه**»[٣]، بينما الأحاديث النبوية كثيرة جداً، وموضوعها أصول الدين وفروعه كلها.

ثانياً : الحديث المرفوع

١- تعريف الحديث المرفوع: هو الحديث الذي أضيف إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل أو تقرير، أو صفة، يستوي فيه أن يكون الصحابي الذي أضافه إلى النبي ﷺ، أو أن يكون غيره، فالمهم أن تكون الإضافة إلى النبي ﷺ، وليست إلى الله تعالى، كالحديث القدسي.

فالمرفوع له صفة واحدة فقط هو أن يضاف إلى النبي ﷺ بغض النظر عن أي شروط أو صفات أخرى، فقد يكون مقبولاً أو غير مقبول.

٢- حكم الحديث المرفوع: إذا ثبت الحديث عن رسول الله ﷺ وكان متصل السند وتوافرت فيه شروط الحديث المقبول فهو نص شرعي يستدل به في العقيدة والعبادات، والمعاملات والأخلاق، وفي كل جوانب الحياة. والآيات القرآنية تذكر أن الحديث النبوي وحي من الله تعالى، وأنه تجب طاعته.

ولذلك فإن الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ والمستكمل لشروط الصحة يعد دليلاً شرعياً، ووحياً من الله تعالى، ولا يستثنى من ذلك إلا ما جاء الدليل بأنه ليس وحياً، وإنما هو أمر فعله النبي **صلى الله عليه وسلم** على سبيل العادة، وليس على سبيل العبادة والتشريع.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله.

ثالثاً : الحديث الموقوف

١- **تعريف الحديث الموقوف**: هو الحديث الذي أضيف إلى الصحابي ولم يرفعه إلى النبي ﷺ.
فما رواه الصحابي من قول أو فعل ولم يضفه إلى النبي ﷺ يسمى حديثاً موقوفاً سواء كان متصل السند أو غير متصل.

٢- **حكم الحديث الموقوف**: الأصل في الحديث الموقوف أنه ليس دليلاً شرعياً، فلا يؤخذ منه حكم شرعي، وذلك لأن الصحابي - مع جلالة قدره- لا يوحى إليه من الله تعالى، فلا يعد ما يقوله أو يفعله دليلاً شرعياً، بخلاف النبوي المرفوع فإنه وحي من الله تعالى إذا صحت نسبته إلى النبي ﷺ.
ومع ذلك فإنه إذا دلّت قرينة قوية، على أن قول الصحابي إنما سمعه من النبي ﷺ، أو أن فعله قد أقره عليه النبي ﷺ فإن حكمه يصبح كحكم الحديث المرفوع أي أنه يعدّ حينئذ دليلاً شرعياً.

رابعاً : الحديث المقطوع

١- **تعريف الحديث المقطوع**: هو الحديث الذي أضيف إلى التابعي من قوله أو فعله ولم يرفعه إلى الصحابي أو إلى الرسول ﷺ، فإن أضافه إلى الرسول ﷺ مباشرة فهو الحديث المرسل.

٢- **حكم الحديث المقطوع**: الحديث المقطوع ليس حديثاً نبوياً، وليس وحياً من الله تعالى، ومن أمثلته: قال ابن شهاب الزهري: «**لو هلك عثمان وزيد لهلك علم الفرائض، لقد أتى على الناس زمان وما يعلمها غيرهما**»[١] وكذلك أفتى مسروق بن الأجدع في رجل توفي وليس له وارث إلا ابنة أخيه وخاله، فقال: **للخال نصيب أخته ولابنة الأخ نصيب أبيها**»[٢].

---

(١) سنن الدارمي، كتاب الفرائض، باب في تعليم الفرائض.
(٢) سنن الدارمي، كتاب الفرائض، باب ميراث ذوي الأرحام.

الأسئلة

١ - ما مفهوم الحديث القدسي؟

٢ - ما المقصود بأن القرآن الكريم متعبد بتلاوته؟

٣ - بَيِّن الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي من جهة اللفظ.

٤ - وَضِّح ما يدل على أن الحديث القدسي من كلام الله تعالى.

٥ - قارن بين الحديث القدسي والحديث النبوي الشريف.

٦ - اذكر الفرق بين الحديث القدسي والحديث المرفوع.

٧ - بَيِّن حكم الحديث المرفوع مع الدليل.

٨ - هات حديثاً مرفوعاً من الأحاديث التي تحفظها.

٩ - بَيِّن وجه الدلالة على الحديث المرفوع من قوله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[1]

١٠- اذكر الفرق بين الحديث المرفوع والحديث الموقوف.

١١- هل يعد الحديث الموقوف دليلاً شرعياً؟ ولماذا؟

١٢- ما الفرق بين الحديث الموقوف والمقطوع؟

١٣- ضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة فيما يأتي:

أ - حكم مس الجنب للحديث القدسي هو:

١- حرام ٢- مكروه

٣- مباح ٤- مندوب

ب- الذي يميز الحديث القدسي عن الحديث النبوي أن الحديث القدسي:

١- معناه من الله تعالى ٢- معناه من الرسول ﷺ

٣- معناه ولفظه من الله تعالى. ٤- معناه ولفظه من الرسول ﷺ.

جـ- عن معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» هذا النص حديث:

١- قدسي. ٢- مرفوع.

٣- موقوف. ٤- مقطوع.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٣٦).

د - الحديث الذي لا يعد دليلاً شرعياً هو الحديث:

١- القدسي. ٢- المرفوع.

٣- المقطوع. ٤- المرسل.

نشاط

اعقد مقارنة بين الحديث المرفوع والموقوف والمقطوع من حيث المفهوم والحكم.

الدرس العاشر

أقسام الحديث حسب عدد الرواة

يزداد الخبر الذي تسمعه رسوخاً في نفسك، كلما زاد الذين رووه وأخبروك به، حتى تصبح قناعتك تامة لا مزيد عليها.

ولقد درس علماء الحديث عدد رواة الحديث في كل طبقة من طبقات السند فدرسوا عدد من رواه عن الصحابة، وعدد من رواه عن التابعين وهكذا إلى آخر السند، وقد قسَّموا الحديث من حيث عدد رواته في كل طبقة من طبقات السند إلى قسمين رئيسين هما الحديث المتواتر، وحديث الآحاد وفيما يأتي تفصيل كل منهما.

أولاً : الحديث المتواتر

١- **تعريف الحديث المتواتر**: هو الحديث الذي رواه جمع كثير، يستحيل اتفاقهم على الكذب، في كل طبقة من طبقات السند.

وقد اشترط علماء الحديث في الحديث المتواتر شروطاً عدة أهمها :

أ - أن يروي الحديث جمع كثير في كل طبقة، وهذا ضمان لعدم الوقوع في الخطأ، فإنه يستحيل عادة أن يخطىء عشرة مثلاً الخطأ نفسه، في الكلمة نفسها، في الحديث نفسه، ولذلك فإن اشتراط وجود جمع كثير، يجعل الوقوع في الخطأ نفسه مستحيلاً عادة.

ب- أن يكون هذا الجمع الكثير ممن يستحيل اتفاقهم على الكذب. بأن يكون عددهم كثيراً، ومن بلدان مختلفة، وقد بلغوا من العدالة حَدَّاً يستحيل معه اتفاقهم على الكذب في الحديث.

جـ- أن يكون هذا الجمع الكثير في كل طبقة من طبقات السند من الصحابة إلى الطبقة الثالثة من السند. وطبقات السند هي الصحابي والتابعي وتابع التابعي ولا يضر فيما عداه.

نشاط

وضح لماذا يشترط وجود شروط التواتر في كل طبقات السند.

٢- **حكم العمل بالحديث المتواتر**: إن وصول الحديث بطريق التواتر ينفي وجود أي احتمال للخطأ أو للكذب في روايته، ولذلك فإنه يجب الأخذ بالحديث المتواتر، ويكفر من ينكره، لأن إنكاره ليس شكاً في السند وإنما هو تكذيب للنبي ﷺ.

فالحديث المتواتر إذن كالقرآن الكريم، من حيث إنه قطعي الثبوت يجب الإيمان، والعمل به، ويكفر منكره.

٣- أقسام الحديث المتواتر: ينقسم الحديث المتواتر إلى قسمين:

أ - المتواتر لفظاً: ومثال ذلك حديث: «**من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[١] فقد رواه أكثر من سبعين من الصحابة عن رسول الله ﷺ مرفوعاً.

ب- المتواتر في المعنى: وهو أن يرد الحديث بالمعنى نفسه ولكن بألفاظ متعددة ومثال ذلك: أحاديث عذاب القبر فقد وردت عن أربعين صحابياً تقريباً، ولكنها ليست بلفظ واحد بل بألفاظ متعددة، ولكنها كلها تشترك في معنى واحد، وهووجود عذاب أو نعيم في القبر.

ومن الكتب التي ألفت لجمع الأحاديث المتواترة كتاب «إتحاف ذوي الفضائل» للشيخ عبد العزيز الغماري.

ثانياً : حديث الآحاد

١- تعريف حديث الآحاد: هو كل حديث فقد شرطاً أو أكثر من شروط الحديث المتواتر، وبعبارة أخرى هو كل حديث غير متواتر ولذلك فإن حديث الآحاد يمكن أن :

أ - يرويه جمع عن جمع ولكن لا تنطبق على هذا الجمع شروط المتواتر في كل الطبقات أو في بعضها.

ب- يرويه راوٍ أو راويان أو ثلاثة أو أكثر ولم يصل عددهم إلى حدِّ التواتر.

جـ- يكون متصل السند أو غير متصل السند.

٢- حكم حديث الآحاد: يمكن أن يكون حديث الآحاد مقبولاً أو غير مقبول. ولذلك فإن توافرت فيه كل شروط الحديث المقبول التي سبق أن درستها فهو حديث مقبول وإن فقد شرطاً من شروط الحديث المقبول، فهو حديث غير مقبول.وقد استدل المحدثون على قبول حديث الآحاد في العقيدة والأحكام- إذا توفرت فيه كل الشروط- بأدلة كثيرة منها :

أ - قول الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾[٢]

ويفهم من هذه الآية أنه إن جاءكم ثقة بخبر فاقبلوه.

ب- أن الرسول ﷺ كان يرسل الصحابي الواحد أو العدد القليل من الصحابة إلى منطقة كاملة، كاليمن أو إلى قبيلة كبيرة لتعليمهم الدين بما فيه من عقائد وأحكام. وقد كان هذا كافياً لإقامة الحجة عليهم، ولو لم يكن كافياً لأرسل إليهم عدداً كبيراً من الصحابة في كل مرة.

ومع أن حديث الآحاد المقبول يقبل في العقائد والأحكام إلا أن منكره آثم ولا يكفر، وذلك لوجود احتمال حدوث خطأ في الرواية، ولا يكفر مسلم إلا إذا أنكر شيئاً قطعي الثبوت.

ولذلك فإن علماء الحديث جميعاً قد ضمنوا كتبهم أحاديث الآحاد في موضوع العقيدة، لأن هذه الأحاديث مصدر من مصادر العقيدة الإسلامية.

---

(١) صيح مسلم، المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) سورة الحجرات، الآية (٦).

وكذلك فإن كل المؤلفين من علماء العقيدة قد استشهدوا بأحاديث الآحاد المقبولة في العقيدة في كتبهم، وهم في ذلك يقتدون برسول الله ﷺ حينما كان يرسل آحاد الصحابة لتعليم الناس العقيدة والأحكام العملية معاً.

ومن أمثلة حديث الآحاد حديث عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى**...»[1] فهذا الحديث لم يروه عن النبي ﷺ إلا عمر بن الخطاب، فهو حديث آحاد ولكنه حديث صحيح.

ثالثاً : الحديث المشهور

حديث الآحاد درجات، والحديث المشهور أعلى درجاته، وهو الذي يرويه ثلاثة أو أكثر في كل طبقة من طبقات السند ولم يصل حد التواتر، واشتهر بين الناس.

وحكمه هو حكم حديث الآحاد تماماً. وهو أنه إذا اجتمعت فيه شروط قبول الحديث فإنه يقبل في العقيدة والأحكام ويأثم منكره ولا يكفر.

ومن أمثلة الحديث المشهور حديث: «**لا ضرر ولا ضرار**»[2].

فقد رواه عن النبي ﷺ صحابة عدة منهم، ابن عباس، وأبو سعيد الخدري، وعبادة بن الصامت، ولكنه لم يصل إلى حد التواتر.

---

(١) الجامع الصحيح، للإمام البخاري، كتاب الوحي، الباب الأول.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، حديث حسن.

الأسئلة

١- بيّن علاقة كثرة الرواة بقوة الحديث «الخبر».

٢- لماذا لم يحدد المحدثون عدد الجمع الكثير؟

٣- كيف يعرف علماء الحديث استحالة اتفاق جمع من الرواة على الكذب؟

٤- بيّن الفروق بين الحديث المتواتر والآحاد.

٥- ما هي شروط الحديث المشهور؟

٦- اذكر أدلة قبول حديث الآحاد في العقيدة.

٧- ضع دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة بعد نقل العبارات الآتية إلى دفترك:

أ - اشترط المحدثون الجمع الكثير لضمان عدم:

١- الكذب ٢- الخطأ

٣- الكذب والخطأ ٤- الكذب أو الخطأ

ب- حكم الأخذ بالحديث الآحاد المقبول:

١- واجب في العقيدة والأحكام. ٢- واجب في العقيدة فقط.

٣- واجب في الأحكام فقط. ٤- مندوب في العقيدة والأحكام.

نشاط

ارجع إلى بعض كتب علوم الحديث مثل كتاب «الباعث الحثيث» لابن كثير، واستخرج أقسام حديث الآحاد.

الدرس الحادي عشر

أقسام الحديث حسب القبول والرد

درست سابقاً أن للحديث المقبول شروطاً، فإن توافرت كلها قُبِلَ الحديث، وإلا فلا، وقد قسّم المحدثون الأحاديث بناءً على توافر تلك الشروط أو عدم توافرها إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي: الحديث الصحيح، والحديث الحسن، والحديث الضعيف، وفي هذا الدرس نتناولها بصورة إجمالية، فما مفهوم كل منها؟ وما حكمه؟

أولاً : الحديث الصحيح

١- تعريف الحديث الصحيح

هو الحديث الذي اتصل سنده بالثقات، ولم يكن شاذاً، ولذلك فإنه يجب أن يتوافر في الحديث حتى يكون صحيحاً ما يأتي:

أ - اتصال السند، أي أن يروي كل راوٍ الحديث عمن قبله مباشرةً، مشافهةً أو كتابةً بشرط التثبت من نسبة الحديث إلى راويه.

ب- أن يكون كل راوٍ من رواةِ الحديث ثقة، وأن تجتمع فيهم جميعاً كل أركان العدالة والضبط.

جـ- أن لا يعارض الحديث شيئاً أقوى منه، فلا يعارض آية، ولا حديثاً رواه من هو أوثق منه، ولا يعارض الحقائق العقلية، أو العلمية، أو الحسية.

٢- حكم الحديث الصحيح

يقبل الحديث الصحيح في العقيدة والأحكام لأنه حديث اجتمعت فيه كل شروط الحديث المقبول.

والحديث الصحيح ربما يكون متواتراً فيجب الأخذ به ويكفر منكره. وغالباً ما يكون آحاداً فيجب الأخذ به، ويأثم منكره ولا يكفر.

نشاط

بين العلاقة بين الحديث الصحيح والحديث المتواتر.

٣- مصادر الحديث الصحيح

الأحاديث الصحيحة كثيرة جداً، تبلغ عدة آلاف، وقد أُلِّفت مصادر خاصة بالأحاديث الصحيحة، ولكن المحدّثين بعد دراسة هذه المصادر، وجدوا أنه لا يوجد من هذه المصادر كتاب كل أحاديثه صحيحة إلا «صحيح البخاري» و «صحيح مسلم».

وتوجد مصادر أخرى فيها كثير من الأحاديث الصحيحة، وليس كل ما فيها صحيح، مثل «الموطأ » للإمام مالك و «صحيح ابن خزيمة» و «صحيح ابن حبان».

ولذلك فإن الأحاديث الصحيحة ليست فقط هي الأحاديث الموجودة في «صحيح البخاري» و «صحيح مسلم» بل إنه يوجد من الأحاديث الصحيحة في الكتب الأخرى، أكثر مما في الصحيحين، ومن أمثلة الحديث الصحيح الآحادي الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه قال: حدثنا محمد بن المثنى قد حدثنا عبد الوهاب الثقفي قال حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «**ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**»(١).

٤- أقسام الحديث الصحيح: يرى بعض العلماء أن الحديث الصحيح يقسم إلى قسمين هما:

أ- **الحديث الصحيح لذاته**: وهو الحديث المتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله، حتى ينتهي إلى رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، ولا يكون شاذاً ولا معللاً بعلةٍ قادحةٍ، فإذا توفر مضمون هذا التعريف في الحديث يكون قد اشتمل على أعلى صفات القبول ويعد صحيحاً لذاته.

ب- **الحديث الصحيح لغيره**: وهو الحديث الذي استوفى الشروط السابقة في تعريف الحديث الصحيح، ولكن ضبط الراوي كان غير تام، وهذا ما يسميه العلماء الحديث الحسن، فإذا روى الحديث ذاته راو آخر تام الضبط، ارتقى الحديث من درجة الحسن ليكون في درجة الحديث الصحيح لكنه ليس صحيحاً لذاته بل صحيح لغيره وذلك لأن في سنده ثلمة، هي خفة الضبط عند الراوي، وقد جبرت بالوجه الآخر الذي روي منه الحديث، فكان صحيحاً لغيره، ومثال ذلك ما رواه محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**»(٢) فمحمد بن عمرو من المشهورين بالصدق لكنه لم يكن من أهل الإتقان، فضعَّفه بعضهم من جهة حفظه ووثَّقه آخرون لصدقه، فحديثه هذا حسن لذاته، وصحيح لغيره لأنه روي من طريق آخر، فقد رواه الأعرج، وسعيد المقبري وأبوه وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ثانياً : الحديث الحسن

١- تعريف الحديث الحسن

هو ما اتصل سنده بنقل عدل خف ضبطه من غير شذوذ ولا علة، ويعرفه آخرون بأنه الحديث الذي نقله العدل الضابط ضبطاً أخف من ضبط الصحيح، وكان متصل السند غير معلّل ولا شاذ.

ولذلك فإن الحديث الحسن قد اجتمعت فيه شروط الصحيح بشكل عام فهو حديث:

أ - متصل السند، قد رواه كل راوٍ عن مثله بطريقةٍ مقبولة.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب ما جاء في السواك.

ب- كل رواته عدول (ثقات) ضابطون ضبطاً أقل من ضبط رجال الصحيح.

جـ- ليس شاذاً، فلا يعارض رواية من هو أوثق منه.

والفرق الوحيد بين الحديث الحسن والحديث الصحيح، هو أن في سند الحديث الحسن راوياً أو أكثر من الدرجة الثانية في الضبط، بينما كل رواة الحديث الصحيح من الدرجة الأولى في الضبط.

فإذا كان كل رواة السند ممن وصفوا بـ: «أوثق الناس»، أو «ثقة»، وما شابه ذلك من المصطلحات، فالحديث صحيح.

أما إذا كان بعض رواة الحديث أو كلهم ممن وصفوا بـ: «لا بأس به» أو ما شابه ذلك، فإن الحديث حسن.

٢- حكم الحديث الحسن

الحديث الحسن اجتمعت فيه كل الشروط المطلوبة ولذلك فهو حديث مقبول في العقيدة والأحكام، وهو في ذلك كالحديث الصحيح إلا أن الحديث الصحيح أقوى منه.

وقد يروي الحديث الحسن نفسه راوٍ آخر من درجة: «لا بأس به». وفي هذه الحالة يتقوى الحديث الحسن، ويصبح حديثاً صحيحاً ويسمى «الصحيح لغيره». لأنه قد وصل إلى مرتبة الصحة بتقوية من غيره. أما الحديث الصحيح الذي سبق أن درسته فقد سُمّي: الصحيح لذاته لأن قوة الضبط فيه ذاتية، وليست من حديث آخر. والحديث الحسن الذي ذكر في هذا الدرس هو الحديث الحسن لذاته.

أما إذا كان أصل الحديث فيه ضعف فَتَقوّى بحديث آخر فإنّه يسمى: الحسن لغيره، ومن الأمثلة على الأحاديث الحسنة، ما روى الترمذي قال: حدثنا يحيى بن سعيد عن بهز بن حكيم حدثني أبي عن جدي قال: «**قلتُ يا رسولَ الله مَنْ أَبرّ؟ قال: أمك، قال: قلت ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: قلت ثم من؟ قال أمك، ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب**»[1].

ثالثاً: الحديث الضعيف

١- تعريف الحديث الضعيف

هو الحديث الذي فقد شرطاً من شروط الحديث المقبول. فإذا فقد اتصال السند بينَ روايين أو أكثر من رواة الحديث فالحديث ضعيف، وإذا كان أحد الرواة أو أكثر غير عدل أو غير ضابط فالحديث ضعيف.

كان ذلك إذا لم نجد حديثاً آخر يقويه. فإن وجدنا حديثاً آخر يقويه ويشهد له فإنه يصبح حسناً لغيره إذا كان الضعف يسيراً.

٢- حكم الحديث الضعيف

الحديث الضعيف حديث مردود، لا يقبل في العقيدة، ولا في الأحكام العملية كالصلاة، والبيوع، والحلال والحرام، وذلك لأن الحديث الضعيف فقد شرطاً أو أكثر من شروط الحديث المقبول.

---

(١) الترمذي، الجامع الصحيح، باب البر والصلة.

وقد رأى بعض العلماء أن الحديث الضعيف يستحب الأخذ به إذا اجتمعت فيه عدة أمور وهي:

أ - أن يكون ضعفه يسيراً، كوجود راوٍ في سند الحديث وصف بأنه ليس بالقوي، أو له ما ينكر، ولم نجد حديثاً يقوّيه فهو حديث ضعيف ضعفاً يسيراً. أما الحديث الضعيف ضعفاً شديداً فلا يقبل نهائياً.

ب- أن يكون الحديث مندرجاً تحت أصل عام أي أن يكون الحديث داخلاً تحت قاعدة واردة في نص من القرآن الكريم أو السنة الصحيحة. أما إذا لم يكن الحديث داخلاً تحت قاعدة شرعية فلا يقبل أبداً.

جـ- أن يكون الحديث في المستحبات أو المكروهات، أما إذا كان في الواجبات أو المحرمات فلا يقبل أبداً.

وقد ضرب بعض العلماء مثالاً للحديث الضعيف الذي اجتمعت فيه هذه الأمور، وهو الحديث الذي أخرجه ابن ماجة في سننه قال: حدثنا أبو أحمد المرّار بم حمويّة، قال: حدثنا محمد بن المصفّى، قال: حدثنا بقية بن الوليد، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: «**من قام ليلتي العيدين يحتسب لله لم يمت قلبه يوم تموت القلوب**»[1] فإن في سند هذا الحديث بقية بن الوليد وهو صدوق كثير التدليس عن الضعفاء، ففي روايته شيء من الضعف، لكنه ضعف غير شديد.

والحديث يحث على قيام ليلتي العيدين وهذا داخل تحت نصوص شرعية صحيحة تحث على قيام الليل بشكل عام، دون أن تذكر ليلة العيد بشكل خاص فهو إذن يندرج تحت أصل عام. والحديث في فضائل الأعمال فهو لا يجعل قيام ليلة العيد فرضاً بل فيه استحباب ذلك، وعدّه مندوباً. وهكذا فقد اجتمعت في الحديث الأمور الثلاثة فيستحب العمل به.

ولما كان الحديث الضعيف مردوداً فإنه لا تجوز روايته للناس إلا مع بيان أنه حديث ضعيف تحذيراً منه.

---

(١) سنن ابن ماجه.

الأسئلة

١- اذكر أقسام الحديث من حيث القبول والرد.

٢- قارن بين الحديث الصحيح والحسن من حيث تعريف كل منهما.

٣- اذكر حكم الحديث الحسن.

٤- بَيِّن علاقة الحديث الحسن بالحديث الصحيح.

٥- ما الفرقُ بين الحسن لذاته والحسن لغيره من حيث حقيقة كل منهما.

٦- قارن بين الحديث الضعيف والحسن لغيره.

٧- بَيِّن الشروط العامة التي إن فقد شرط واحد منها كان الحديث ضعيفاً.

٨- ما معنى أن يكون الحديث الضعيف مندرجاً تحت أصل عام؟

٩- ما معنى أن يكون الحديث الضعيف في فضائل الأعمال؟

١٠ - ضع دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة فيما يأتي:

أ - كل حديث موجود في صحيح البخاري وصحيح مسلم هو:

١. صحيح متواتر. ٢. صحيح آحاد.

٣. صحيح. ٤. كل ما ذكر.

ب- الحديث الذي لا يوجد في صحيح البخاري ومسلم هو:

١. غير صحيح. ٢. صحيح.

٣. آحاد. ٤. ربما كان صحيحاً وربما كان غير صحيح.

جـ - الحديث المتصل غير الشاذ الذي رواته أقل ثقة يسمى:

١. صحيحاً لذاته. ٢. صحيحاً لغيره.

٣. حسناً لذاته. ٤. حسناً لغيره.

د - الحديث الذي أحد رواته غير ضابط ولم يأت حديث آخر يقويه يسمى:

١. صحيحاً لغيره. ٢. حسناً لذاته.

٣. حسناً لغيره. ٤. ضعيفاً.

هـ - حكم رواية الحديث الضعيف:

١. مباح. ٢. مكروه.

٣. حرام. ٤. مندوب.

الوحدة الثالثة عشرة

علم أصول الفقه

وتشتمل هذه الوحدة على:

- علم أصول الفقه .
- الحكم الشرعي التكليفي والوضعي (معناه وأقسامه).
- مصادر التشريع الإسلامي (١) (القرآن الكريم).
- مصادر التشريع الإسلامي (٢) (السنة النبوية).
- مصادر التشريع الإسلامي (٣) (الإجماع والقياس).
- الاجتهاد (١).
- الاجتهاد (٢).

علم أصول الفقه

عرفت سابقاً أن موضوع علم الفقه هو الأحكام الشرعية العملية التي يستنبطها الفقيه من أدلتها التفصيلية، معتمداً في ذلك على مجموعة من القواعد والضوابط، التي تعينه على استخراج الحكم الشرعي، مثل قاعدة الأصل في الأشياء الإباحة، والأمر يفيد الوجوب، والنهي يفيد التحريم، والأمر بعد الحظر إباحة، وغيرها من القواعد والضوابط التي يجمعها علم مستقل أطلق عليه اسم علم أصول الفقه، فما معنى علم أصول الفقه؟ وما موضوعه؟ وما غايته؟ وكيف نشأ؟ وما أهميته؟

أولاً : معنى علم أصول الفقه

يعرّف الأصوليون علم أصول الفقه بأنه : معرفة دلائل الفقه إجمالاً، وكيفية الاستفادة منها، وحال المستفيد.

والمراد "بمعرفة دلائل الفقه إجمالاً" أن يعرف المجتهد الأدلة التي تستنبط منها الأحكام الشرعية وهي الكتاب، والسنة النبوية، والإجماع، والقياس، وأن يعرف القواعد الكلية مثل الأمر يفيد الوجوب والنهي يفيد التحريم، وأن تكون هذه المعرفة على وجه الإجمال لا التفصيل.

والمراد "بكيفية الاستفادة منها" معرفة استنباط الأحكام من الأدلة وذلك عن طريق معرفة القواعد اللازمة لذلك كقاعدة الأمر يفيد الوجود والنهي يفيد التحريم، ومعرفة طرق الاستدلال، مثل تقديم القرآن الكريم على السنة.

والمراد "بحال المستفيد" معرفة حال المجتهد والشروط الواجب توافرها فيه، وغير ذلك من مباحث الاجتهاد.

ثانياً : موضوع علم أصول الفقه

إذا نظرت في معنى علم أصول الفقه، نجد أنه يبحث في مصادر التشريع، التي يرجع إليها الفقيه، لمعرفة حكم الله تعالى في القضايا التي يُسأل عنها، فهو يبحث في:

- القرآن الكريم، مجمله، ومفسره، ناسخه ومنسوخه، ألفاظه ودلالاتها.
- السُّنَّة النَّبوية الشريفة وأقسامها من قولية، وفعلية، وتقريرية.
- الإجماع معناه وأنواعه.
- القياس، معناه وأركانه، وحجية هذه المصادر، ويبحث في طريقة الاستدلال بها فيقدم الكتاب على السنة وكليهما على الإجماع والقياس، إلى آخر ذلك من القضايا، ويبحث أيضاً في الاجتهاد. معناه وغايته وأهميته، وشروط المجتهد، والحكم الشرعي، معناه وأقسامه، وحكم كل قسم من أقسامه على ما ستعرف فيما يلي.

ثالثاً : الغاية من علم الأصول

عرفت أن علم الأصول يبحث في الأدلة التي تعين الفقيه على استخراج الحكم الشرعي من الأدلة التفصيلية، وهو بذلك، وسيلة لمعرفة حكم الله تعالى في الوقائع والقضايا المراد معرفة الحكم الشرعي لها، وليس غاية بذاته، وإنما الغاية منه، الوصول إلى معرفة الأحكام الشرعية العملية المكتسبة، من الأدلة التفصيلية، ليلتزم المكلف حدود الله تعالى، ويبتغي مرضاته، ويؤدّي الواجبات المطلوبة منه، وينتهي عن المحرمات المطلوب اجتنابها.

رابعاً : نشأة علم أصول الفقه

مر علم الفقه بمراحل عدة، حتى أصبح علماً مستقلاً، له أصوله وقواعده، التي يقوم عليها، وفيما يأتي بيان لهذه المراحل:

١ – مصادر الأحكام في عصر النبي ﷺ

كان الوحي مصدر التشريع في عهد النبي ﷺ، سواء أكان الوحي قرآناً أو سنةً، فقد كانت الآيات الكريمة تنزل حسب مقتضيات الحاجة التشريعية للأمة الإسلامية، وحسب المناسبات التي تقتضي معرفة حكم الله تعالى فيها، أو تنزل لتثبيت العقيدة في النفوس، وبهذا يكون القرآن الكريم المصدر الأول للأحكام، وكان النبي ﷺ يبيّن الأحكام الشرعية، وقد كان النبي ﷺ يستشير أصحابه، رضي الله عنهم، في بعض الأمور مثلما حدث في موضوع أسرى بدر، فقد استشار النبي ﷺ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فأشار أبو بكر، رضي الله عنه، بأخذ الفدية، وأشار عمر، رضي الله عنه، بقتلهم فأخذ النبي ﷺ برأي أبي بكر الصديق، كما كان النبي ﷺ يطلب إلى بعض الصحابة القضاء في بعض الأمور، ويُصحح قضاءهم إن لم يكن صواباً، أو يقرّهم عليه، وهذا كله يبيّن بجلاء ووضوح أن الكتاب والسنة هما المصدران الأولان للتشريع في عهد النبي ﷺ.

٢ – مصادر الأحكام في عصر الصحابة

التحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى تاركاً بين يدي المسلمين كتاب الله تعالى، وسنته ﷺ، وحث المسلمين على التمسك بهما وعدم التفريط فيهما، لأنهما قوام الدين، وبعد وفاته ﷺ ظهرت وقائع جديدة لا بد من معرفة حكمها، فكان الصحابة، رضي الله عنهم، يبحثون عن حكم المسألة في الكتاب، فإن وجدوا الحكم أخذوا به، وإلا رجعوا إلى السنة يلتمسون فيها الحكم، فإن لم يجدوا سألوا سواهم من الصحابة إن كانوا يعلمون أن الرسول ﷺ قضى فيها بشيء فإذا وجدوا قضاءً أخذوا به، مثل ما فعل أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، عندما جاءته الجدة تسأله ميراثها، فقال لها، رضي الله عنه، ما لك في كتاب الله تعالى شيء، وما أعلم لك في سنة رسول الله ﷺ شيئاً، ولكني أسأل الناس، فقال المغيرة بن شعبة إن الرسول ﷺ قضى لها بالسدس، وشهد معه محمد بن مسلمة، فأمضى أبو بكر رضي الله عنه ذلك.

وإن لم يجدوا في الكتاب والسنة شيئاً من ذلك استشاروا الصحابة فإن رأوا رأياً واحداً وأجمعوا عليه أخذوا به، وهذا هو المصدر الثالث للتشريع ويسمى الإجماع.

وكان الصحابة رضي الله عنهم، والتابعون من بعدهم إذا ظهرت لهم وقائع جديدة ليس لها حكم في الكتاب والسنة، ولم يُجمع عليها، نظروا فيما يشابهها في الكتاب والسنة وأعطوها الحكم نفسه، مثلما فعل علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، حين سُئل عن عقوبة شارب الخمر، قاسه على المفتري الذي يقذف المؤمنين بالفاحشة فقال: «إذا شرب هذى وإذا هذى افترى فحدُّه حد المفتري».

وإذا أنعمنا النظر في عهد الصحابة نجد أن مصادر التشريع أصبحت أربعة هي القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، والقياس.

٣– أصول الفقه بعد عصر الصحابة

أدى تقدم الزمان، وتطور مفاهيم الناس، واختلاط المسلمين بغيرهم إلى وقوع معاملات، ووقائع جديدة، واحتاج الناس الى معرفة حكمها الشرعي، الأمر الذي أدى إلى بذل الجهد لمعرفة الحكم من مصادره الأساسية (القرآن والسنة)، أضف إلى ذلك ضعف اللغة العربية عند الناس، وانتشار اللحن بينهم، إلى وضع العلماء القواعدَ التي تمكن الناس من تعلّم اللغة وإدراك دلالات الألفاظ في القرآن والسنة. وقد تباينت طرق الاجتهاد، فمن المجتهدين من أكثر من الأخذ بالقياس معملاً الرأي والعقل، لقلة الحديث في بلده، كما في العراق، ومنهم من أكثر الاعتماد على الحديث لكثرته عندهم، كما في المدينة المنورة، وهناك طائفة مزجت بين الطريقتين، وصار لكل مجتهد منهج يسلكه في الاجتهاد، دون أن يدونه، حتى جاء الإمام الشافعي رحمه الله، ودوّن علم أصول الفقه، في كتابه «الرسالة» حيث بيّن فيه مصادر التشريع، وكيفية الاستدلال بها، وغيرها من مسائل علم الأصول، وتتابع التدوين في علم أصول الفقه حتى استقر على ما هو عليه.

خامساً : أهمية علم أصول الفقه

يقوم علم أصول الفقه على القواعد التي تعين المجتهد على استنباط الأحكام الشرعية، وقد ظهرت أهميته من هذا المنطلق، وبرز ذلك فيما يأتي:

١- ربط الأحكام الشرعية بمصادرها الرئيسة.

٢- فهم الأحكام التي استنبطها الفقهاء، والاطمئنان إليها، لأن علم الأصول يوضح المناهج التي سار عليها الفقهاء للوصول إلى هذه الأحكام، وأنهم لم يصدروها عن هوى، ورأي شخصي، بل عن قواعد وقوانين منضبطة، يسيرون عليها عند اجتهادهم.

٣- تمكين الفقيه من استخراج الحكم الشرعي، وذلك في المسائل والحوادث التي لم يرد فيها نص، ولم يجتهد فيها الفقهاء السابقون.

٤- تكوين عقلية علمية، لدى طالب العلم، وضبط تفكيره، وتعبيد الطريق أمامه للاجتهاد، والاستنباط، والحكم على الأشياء، اعتماداً على الدليل الأقوى.

٥- حفظ الدين من التحريف، وسد الطريق على المنحرفين الذين يعملون على تشويه الإسلام ومقاصد الشريعة، وذلك بتعريف الناس بمصادر التشريع وكيفية الاستدلال بها، وحجيّة كل منها وغير ذلك من موضوعات علم الأصول.

نشاط

يعين علم أصول الفقه على تكوين عقلية علمية لدى طالب العلم، ناقش ذلك مع زملائك في الصف.

الأسئلة

١- عرِّف علم أصول الفقه.

٢- ما موضوع علم أصول الفقه؟

٣- وَضِّح الغاية من علم أصول الفقه.

٤- بَيِّن مصادر التشريع زمن النبي ﷺ.

٥- بَيِّن تطور علم أصول الفقه زمن الصحابة، رضي الله عنهم.

٦- كيف كان الصحابة يصدرون أحكامهم؟

٧- وَضِّح طرق الاجتهاد، التي ظهرت بعد عصر الصحابة، رضي الله عنهم.

٨- عدّد ثلاثاً من الأمور التي تظهر أهمية علم أصول الفقه.

٩- انقل العبارات الآتية إلى دفترك، وضع دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة.

أ- أول من دون علم الأصول هو الإمام.

١. أبو حنيفة «النعمان بن ثابت» رحمه الله تعالى.
٢. مالك بن أنس رحمه الله تعالى.
٣. محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى.
٤. أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.

ب- أول كتاب في علم الأصول هو:

١. الرسالة.
٢. إبطال الاستحسان.
٣. المستصفى.
٤. علم أصول الفقه.

نشاط

ارجع إلى أحد كتب أصول الفقه واستخرج منها الفرق بين عمل الأصولي وعمل الفقيه.

الدرس الثاني
الحكم الشرعي التكليفي والوضعي
(معناه وأقسامه)

عرفت سابقاً أن الفقيه هو الذي يبين الحكم الشرعي للمسائل والوقائع التي تعرض للناس، معتمداً في بيانه لهذه الأحكام على مصادر التشريع وهي: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، فما معنى الحكم الشرعي؟ وما أقسامه؟

أولاً : تعريف الحكم الشرعي

الحكم الشرعي: هو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين طلباً أو تخييراً أو وضعاً. فخطاب الله هو آياته القرآنية الكريمة والسنة النبوية والمكلفون هم المسلمون البالغون العاقلون، والطلب والتخيير والوضع هي أقسام للحكم الشرعي التي يبينها الفقيه من مصادر التشريع ، ويندرج تحته قسمين أساسيين هما:

١- الحكم التكليفي

٢- الحكم الوضعي

ثانياً: الحكم التكليفي

وهو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين طلباً أو تخييراً، ويقسم إلى خمسة أقسام هي:

١- الفرض

وهو ما طلب من المكلفين القيام به على سبيل الحتم والإلزام كقوله تعالى:

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[١]

فكل من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فرض لأن الأمر في قوله تعالى: وأقيموا... وآتوا... يفيد الوجوب. وحكم الفرض أنه يثاب فاعله ويعاقب تاركه.

٢- المندوب

وهو ما طلب من المكلفين فعله من غير إلزام ولا يذمون على تركه، كالإفطار في رمضان للمرأة الحامل، وقصر الصلاة في السفر، ولم يرتب الشارع الحكيم عقوبة على تركه. ومثاله كذلك ما ورد في حديث رسول الله ﷺ: «**من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت، ومن اغتسل فالغسل أفضل**»[٢] إذ يندب للمسلم الغسل يوم الجمعة. وحكم المندوب أنه يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه.

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٤٣).

(٢) صحيح الجامع، تحقيق الألباني، حديث رقم (٦١٨٠)، حديث حسن، سنن الترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء في الوضوء يوم الجمعة.

٣- الحرام

وهو ما طلب من المكلفين تركه على سبيل الحتم والإلزام كقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾[١]

فشرب الخمر وتعاطي القمار والشرك أمور محرمة.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[٢]

فأكل أموال الناس بالطرق الباطلة حرام. لأن النهي هنا يفيد التحريم.

وحكم الحرام أنه يعاقب فاعله ويثاب تاركه.

نشاط

ارجع إلى تفسير ابن كثير واكتب في دفترك معنى، الأنصاب، والأزلام، والرجس. كما وردت في الآية (٩٠) من سورة المائدة.

٤- المكروه

وهو ما طلب من المكلفين تركه من غير إلزام، ومثاله المغالاة في المهور لقوله: ﷺ «**خير الصَّداق أيسره**»[٣]

فكلمة خير تفيد كراهية المغالاة في المهور.

ومنه قوله ﷺ: «**إن الله كره لكم ثلاثاً، قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال**»[٤].

فهذا الحديث يدل على أن هناك أفعالاً تصدر من الإنسان وتكون مكروهة. وحكم المكروه، أن فاعله لا يعاقب في الدنيا إلا أنه يستحق اللوم والعتاب في الآخرة، وإن تركه تقرباً لله تعالى يثاب على تركه.

٥- المباح

وهو ما خير المكلف بين فعله وتركه كإباحة العمل بعد الانتهاء من صلاة الجمعة في قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٥]

وفي إباحته للصائم أن يأكل ويشرب حتى طلوع فجر اليوم التالي في قوله تعالى:

﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾[٦]

والمباح لا يستحق تاركه العقوبة ولا يثاب على فعله إلا إذا كان فعله بغية التقرب إلى الله تعالى وكسب رضاه.

إن هذه الأحكام الخمسة السابقة شرعت أصلاً لجميع المكلفين وفي كل الأحوال والالتزام به عزيمة، وأما إذا كانت هنالك أحوال خاصة لا يتمكن المكلفون معها من أداء ما فرض الله عليهم فقد شرع الله لهم أحكاماً

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٩٠).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٨٨).

(٣) المستدرك، كتاب النكاح، باب خير الصداق أيسره، صحيح الجامع، تحقيق الألباني، حديث رقم (٣٢٧٩).

(٤) رواه مسلم، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، وهو في صحيح الجامع تحقيق الألباني، حديث رقم (١٧٤٩).

(٥) سورة الجمعة، الآية: (١٠).

(٦) سورة البقرة، الآية: (١٨٧).

تخفف عنهم المشقة في هذه الأحوال الخاصة رحمة بهم، كإباحة قصر الصلاة للمسافر، والإفطار في رمضان للمريض. وإباحة أكل الميتة عند الخوف من الإشراف على الهلاك حفظاً للنفس.

ثالثاً : تعريف الحكم الوضعي

الحكم الوضعي: هو جعل الشارع الشيء سبباً لشيء، أو شرطاً له، أو مانعاً منه.

رابعاً : أقسام الحكم الوضعي

ينقسم الحكم الوضعي إلى ثلاثة أقسام هي السبب، والشرط، والمانع ، وفيما يأتي بيان معنى كل منها:

١– السبب

وهو ما جعل الشارع وجوده علامة على وجود الحكم، وانتفاءه علامة على انتفاء الحكم، ومثاله جعل الله تعالى شهود شهر رمضان سبباً للصيام، قال الله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[1]

وجعل الله تعالى السفر سبباً للإفطار في رمضان قال الله تعالى:

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾[2]

٢– الشرط

وهو ما يتوقف وجود الحكم على وجوده، ولا يكون جزءاً منه، كالوضوء، فهو شرط لصحة الصلاة، فإن وجد صحت الصلاة وإن انتفى لم تصح، وكذلك حضور الشاهدين للزواج شرط لصحته، فلا يتم عقد الزواج إلا بحضورهما.

٣– المانع

وهو ما لزم من وجوده انتفاء الحكم. ومثاله حرمان الوارث من الإرث إذا قتل مورثه، فالقتل مانع من الميراث، وإن تحقق سبب الإرث وهو القرابة أو الزوجية، وكذلك الحيض فإنه مانع من الصلاة، وإن تحقق السبب بدخول وقتها.

تعلم:

العزيمة: العزيمة شرعاً هي الأحكام التي شرعها الله لجميع عباده من المسلمين وكلفهم بها في كل الأحوال، كوجوب الصلاة والزكاة وصوم رمضان والحج إلى بيت الله الحرام، وكذلك الابتعاد عن كل ما حرم الله تعالى، فالالتزام بتطبيق كل حكم منها عزيمة.

الرخصة: الأحكام التي شرعها الله تعالى لعباده للتخفيف عنهم لما يلاقونه من مشقة عند أدائهم ما فرض عليهم ومن أمثلة الرخصة: إباحة قصر الصلاة في السفر، وإباحة رؤية الطبيب عورة الرجل للعلاج، وأكل الميتة عند الخوف من الإشراف على الهلاك من الجوع مع أن أكل الميتة حرام.

---

(١) سورة البقرة، الآية: (١٨٥).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٨٤).

نشاط

اكتب في دفترك الفرق بين الرخصة والعزيمة.

الأسئلة

١- وضح المفاهيم الآتية: الحكم الشرعي، الحكم التكليفي، المكلف، الحرام، المباح، المندوب، العزيمة، الرخصة، الحكم الوضعي، السبب، الشرط، المانع.

٢- ما حكم الآتية: الفرض، الحرام، المندوب، المكروه؟

٣- علل ما يأتي:

أ - وجوب الأكل من الميتة عند الإشراف على الهلاك.

ب- إباحة الفطر للمريض في رمضان.

٤- بين الحكم الشرعي فيما يأتي:

أ - قصر الصلاة في الحج.

ب - رؤية الطبيب عورة الرجل للعلاج.

٥- ما الحكم التكليفي المستفاد من النصوص الشرعية الآتية :

أ - قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾[١]

ب- قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾[٢]

جـ- قال الله تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[٣]

د- قال ﷺ : «**إن الله يحب أن تُؤتى رخصه**»[٤].

٦- لِمَ سُمِّي الحكم الوضعي بذلك؟

نشاط

أعط مثالاً واحداً على غير ما ذكر من الأحكام الآتية: السبب، الشرط، المانع، واكتبه في دفترك.

---

(١) سورة النساء، الآية (٢٩).

(٢) سورة المائدة، الآية : (١٠١).

(٣) سور التوبة، الآية: (٤١).

(٤) روه أحمد، ١٠٨/٢ .

عرفت فيما سبق أن الفقيه لا يصدر حكمه إلا بعد الرجوع إلى مصادر التشريع وهي القرآن الكريم، والسنة، والإجماع، والقياس، ونظراً لما لهذه المصادر من أهمية فلا بد من دراستها بشيء من التفصيل، وسنتحدث في هذا الدرس عن القرآن الكريم، مفهومه، وخصائصه، والأحكام التي اشتمل عليها، ودلالة القرآن على الأحكام وحجية القرآن، فما معنى القرآن الكريم؟ وما خصائصه؟

أولاً: خصائص القرآن الكريم

القرآن الكريم: هو كلام الله تعالى المعجز المنزل على سيدنا محمد **صلى الله عليه وسلم**، باللفظ العربي، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المكتوب في المصاحف، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس.

بالنظر إلى التعريف السابق نجد أن للقرآن الكريم الخصائص الآتية:

١- **هو كلام الله تعالى**: ويخرج بهذا الكلام البشر ولو كان نبياً، وعلى ذلك فالسنة النبوية لا تعد قرآناً.

٢- **المعجز**: يعجز المخلوقات عن الإتيان بمثله عجزاً مطلقاً.

٣- **مُنزَل على سيدنا محمد**: ويخرج بذلك ما نزل على الأنبياء السابقين، إذ نزلت التوراة على سيدنا موسى عليه السلام، ونزل الإنجيل على سيدنا عيسى عليه السلام، والزبور على سيدنا داود عليه السلام، وكلها لا تعد قرآناً.

٤- **القرآن لفظه عربي**: ويخرج بذلك كل الألفاظ غير العربية، فالقرآن الكريم عربي النظم والمعنى.

٥- **منقول بالتواتر**: والتواتر ما رواه جمع عن جمع يمتنع اتفاقهم على الكذب عادة، والتواتر يفيد العلم اليقيني الذي لا يحتمل غيره، والقرآن الكريم نقل إلينا كذلك، فقد رواه الصحابة، رضي الله عنهم، ونقلوه إلى من بعدهم، وهكذا حتى وصل إلينا كما نزل، بطريق التواتر جيلاً بعد جيل كتابةً ومشافهةً.

٦- **متعبد بتلاوته**: والمعنى أن تلاوة القرآن الكريم عبادة، وأن الإنسان المؤمن يثاب على تلاوة القرآن الكريم، وللتعبد صورتان هما:

أ - أن يتلى في الصلاة فلا تصح دون قراءة القرآن.

ب- أن يتلى خارج الصلاة سواءً في حالة القيام أو القعود، في السفر أو الحضر، في الليل أو النهار، قال ﷺ: **«من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف. ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»**[1].

---

(١) سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر.

٧- **مكتوب بالمصحف**: والمصحف اسم لجميع الصحف التي كتب عليها القرآن الكريم، فقد كتب القرآن الكريم وَدُوِّن في عصر النبي ﷺ، وجمع في عصر أبي بكر، رضي الله عنه، ثم كتب منه في عصر عثمان بن عفان، رضي الله عنه، سبع نسخ وزعت على الأمصار.

٨- **المبدوء بسورة الفاتحة**، المختوم بسورة الناس.

ثانياً : الأحكام التي اشتمل عليها القرآن الكريم

الأحكام الواردة في القرآن الكريم متعددة تندرج تحت القسمين الآتيين:

١- الأحكام الاعتقادية

هي المتعلقة بإيمان المسلم، كالإيمان بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وغيرها من أمور العقيدة، التي يجب الإيمان بها.

٢- الأحكام العملية المتعلقة بأعمال الناس وهي :

أ - **أحكام العبادات**: وهي الأحكام التي تنظم علاقةالإنسان بخالقه، وتبين ما يجب على الإنسان القيام به أمام خالقه، وهي الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج لمن استطاع إليه سبيلاً، ومثل الكفارات، والنذور، والأضاحي.

ب- **الأحكام الخُلُقية**: المتعلقة بالفضائل المهذبة للنفس، المُصْلِحة للفرد والجماعة، مثل الصدق والأمانة والتقوى والرحمة وغيرها من الفضائل الواجب على المسلم التمسك بها.

جـ- **أحكام المعاملات**: وهي المنظمة لعلاقة الإنسان بغيره، وتبيّن ما يجب عليه القيام به نحو الآخرين، مثل أحكام البيع والشراء والهبة والزواج والطلاق والوصية والإرث وغيرها من المعاملات.

نشاط

اذكر اثنين من الأحكام المنظمة لعلاقة الإنسان بغيره.

وينبغي التنبيه إلى أن الفقهاء وضعوا الأحكام المنظمة لعلاقات الناس تحت موضوع المعاملات، ولم يصنفوها مثلما عليه أحكام المعاملات حديثاً، فقد جمع العلماء المحدثون الأحكام المتعلقة بكل موضوع ووضعوها في قالب واحد، وأطلقوا عليها اسماً خاصاً مرتبطاً بموضوعها، منها على سبيل المثال:

١- **أحكام الأحوال الشخصية**: التي تبحث في كيفية بناء الأسرة، وتنظيم علاقات أفرادها، والزواج والطلاق والوصية وغيرها.

٢- **أحكام المعاملات المالية**: وتبحث هذه الأحكام في تنظيم علاقات الأفراد المالية مثل عقود البيع ، وعقود التوثيق، كالرهن، وعقود التعاون بين الأفراد، كالشركة والقرض.

٣- **أحكام العقوبات**: وتبحث هذه الأحكام في الأفعال المحرمة وعقوبتها، وتهدف هذه العقوبة إلى حماية

الناس وأعراضهم وأموالهم.

٤- أحكام العلاقات الدولية: وهي الأحكام التي تنظم علاقات الدولة الإسلامية مع غيرها من الدول، والأسس التي تقوم عليها هذه العلاقات.

ثالثاً : دلالة القرآن الكريم على الأحكام

القرآن الكريم قطعي الثبوت، لأنه وصل إلينا بطريق التواتر، إلا أن دلالة القرآن الكريم على الأحكام قد تكون قطعية أو ظنية تبعاً للفظ، فإن كان اللفظ لا يحتمل إلا معنى واحداً،ولا مجال لمعنى آخر، كانت دلالته قطعية، كالألفاظ الواردة في المواريث والحدود المشتملة على أعداد ومقادير محددة، كالثمانين جلدة في عقوبة القاذف، والمائة جلدة للزاني غير المتزوج، ونصف التركة للزوج إن لم يكن للزوحة أولاد، وربع التركة للزوجة، إذا لم يكن للزوج أولاد وغير ذلك. فكل هذه الألفاظ لا تحتمل إلا معنى واحداً لا يقبل التعديل ولا التبديل ولا يجوز الخروج على هذه الألفاظ بأي حال من الأحوال لأنه خروج عن النص الدال عليها دلالة قطعية. وإن كان اللفظ يحتمل أكثر من معنى، وصالحاً لأن يراد منه أحد المعاني دون الآخر فدلالة اللفظ هنا ظنية، لعدم تعيين المراد منها، وأصبحت بذلك قابلة للاجتهاد ومثال ذلك لفظ (القرء) في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[١]

هل المراد به الطهر أو الحيض؟ ولأن هذا اللفظ في اللغة العربية يحتمل المعنيين فيصح أن يراد به الطهر وهذا ما ذهب إليه الشافعية، أو أن يراد به الحيض وهو ما ذهب إليه الحنفية. وقد يرد اللفظ قطعياً من جهة، وظنِّياً من جهة أخرى، ومثاله قول الله تعالى: ﴿ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ ﴾[٢]

فدلالة اللفظ على المسح قطعية، ولكن دلالته على المقدار الواجب مسحه ظنية.

رابعاً : حجّية القرآن الكريم

اتفقت كلمة المسلمين على أن القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع ، وأنه حُجة يجب العمل بما ورد به من أحكام، والرجوع إليه لمعرفة هذه الأحكام، ولا يجوز العدول عنه، إلى غيره من مصادر التشريع ، إلا عندما لا يوجد فيه الحكم، لأنه كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ودليل حجيّة الكتاب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾[٣]

ثم إن القرآن الكريم منقول بالتواتر، الذي يفيد العلم اليقيني القطعي، الذي لا يحتمل غيره، فلا مجال للظن في القرآن الكريم، ولذلك يجب العمل به وعدم العدول عنه.

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٢٨).

(٢) سورة المائدة، الآية : (٦).

(٣) سورة النساء، الآية : (١٠٥).

الأسئلة

١- ما المقصود بالمصطلحات الآتية:

القرآن الكريم، التواتر، متعبد بتلاوته ؟

٢- من خصائص القرآن الكريم أنه متعبد بتلاوته، وضّح ذلك.

٣- الأحكام العملية المتعلقة بأعمال الناس من الأحكام التي اشتمل عليها القرآن الكريم، بيّن ثلاثة من هذه الأحكام.

٤- متى تُعد دلالة اللفظ ظنية؟ ومتى تعد قطعية؟ أيد إجابتك بمثال.

٥- تحدث عن حجية القرآن الكريم.

٦- في ضوء دراستك لدلالة القرآن الكريم على الأحكام اشرح العبارة الآتية:«لا اجتهاد في مورد النص».

عرفت في الدرس السابق المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي وهو القرآن الكريم، وفي هذا الدرس نتحدث عن المصدر الثاني من مصادر التشريع وهو السنة النبوية، فما معنى السنة النبوية؟ وما أقسامها؟ وما علاقتها بالقرآن الكريم؟

أولاً : معنى السنة

السنة لغة: الطريقة والعادة، حسنة كانت أو سيئة، قال النبي ﷺ: «**من سنّ سُنّة حسنة فعمل بها كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئاً**»(١).

السنة اصطلاحاً: ما روي عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي.

ثانياً : أقسام السنة

قسم العلماء السنة إلى نوعين من التقسيم بحسب ذاتها وبحسب رواتها وإليك بيان ذلك:

١– أقسام السنة بالنظر إلى ذاتها

تقسم السنة بالنظر إلى ذاتها إلى ثلاثة أقسام هي:

أ – **السنة القولية**: وهي الأحاديث التي قالها الرسول ﷺ مثل قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى**»(٢).

ب– **السنة الفعلية**: وهي الأفعال والتصرفات التي صدرت عن الرسول ﷺ في مجال العمل والتشريع كأفعاله ﷺ في الوضوء والصلاة والحج، ومعاملاته في البيوع والتقاضي وغير ذلك.

جـ–**السنة التقريرية**: وهي ما أقره النبي ﷺ مما صدر عن الصحابة، من أقوال أو أفعال بسكوته وعدم إنكاره، أو بموافقته وإظهار استحسانه ورضاه، مثل إقراره ﷺ لعب الأحباش بالحراب في المسجد، وإقراره ﷺ الصحابي الذي تيمم للصلاة وأداها، ثم وجد الماء فلم يعد الصلاة.

٢– أقسام السنة بالنظر إلى رواتها

تقسم السنة النبوية بالنظر إلى الرواة إلى ثلاثة أقسام هي:

أ- السنة المتواترة: وهي التي رواها جمع عن جمع، يمتنع تواطؤهم على الكذب عادة من أول السند إلى

---

(١) سنن ابن ماجة، المقدمة، باب من سنة سنة حسنة أو سيئة.

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

منتهاه، والمعتبر في التواتر القرون الثلاثة الأولى، ويكثر المتواتر في السنة الفعلية.

أما السنة القولية فالمتواتر منها قليل، ومثال السنة المتواترة الفعلية ما ورد من الأحاديث عن كيفية أداء الصلاة والصوم، والحج، والأذان، وغيرها، ومثال السنة المتواترة القولية «**من كذب عليَّ متعمدا، فليتبوأ مقعده من النار**»[1].

ب- **السنة المشهورة**: وهي التي يرويها واحد أو اثنان أو جمع من الصحابة لم يبلغ حد التواتر، ثم يرويه من بعدهم جمع يمتنع تواطؤهم على الكذب عادة، ويرويه عنهم جمع يمتنع تواطؤهم على الكذب عادة، وعليه فالسنة المشهورة تكون مروية بطرق الآحاد في الطبقة الأولى، ثم تتواتر في الطبقتين الثانية والثالثة، ومثال السنة المشهورة ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى**»[2].فهذا الحديث لم يروه عن النبي ﷺ إلا عمر بن الخطاب ثم اشتهر فيما بعد.

نشاط

اكتب في دفترك الفرق بين السنة المتواترة والسنة المشهورة.

جـ- **السنة الآحادية**: وهي التي رواها عن النبي ﷺ واحد أو اثنان، أو عدد لم يبلغ حد التواتر، ثم رواها عنهم مثلهم، حتى وصل الحديث إلى عصر التدوين، وغالب السنة النبوية من هذا النوع.

ثالثاً : أفعال الرسول ﷺ

تقسم أفعال الرسول ﷺ إلى أربعة أقسام هي:

١- ما صدر عن النبي ﷺ بوصفه رسولاً، فهذا تشريع عام يجب العمل به، مثل قوله ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[3].

٢- ما صدر عن النبي ﷺ بمقتضى التجارب والخبرة البشرية في شؤون الحياة فهي ليست تشريعاً مُلزماً، ومن ذلك ما روي عن النبي ﷺ أنه رأى أهل المدينة المنورة يؤبرون النخل (يلقحونه)، فسألهم عن ذلك فقالوا شيئاً كنا نصنعه، فقال لهم لعلكم لو لم تفعلوا لكان خيراً، فتركوا ذلك فخرج النخل ضعيفاً، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**»[4].

٣- ما صدر عن الرسول ﷺ بوصفه بشراً، كالقيام والقعود والأكل والنوم، فهذا ليس تشريعاً أيضاً.

٤- ما اختص به النبي ﷺ فهذا لا يعدّ تشريعاً لغيره، بل خاص به ﷺ مثل وجوب التهجد في حقه، وزواجه بأكثر من أربع زوجات، ومواصلة الصيام، وغير ذلك مما اختص به ﷺ.

---

(١) صحيح مسلم، المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله.

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الأذان للمسافر.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفضائل ، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا على سبيل الرأي.

رابعاً : علاقة السنة النبوية بالقرآن الكريم

تظهر علاقة السنة النبوية بالقرآن بالنظر إلى الأحكام التي جاءت بها فهي إما:

١- أن تكون موافقة لما جاء في القرآن الكريم من الأحكام، وبذلك يكون للحكم الواحد دليلان، الأول مثبت والثاني مؤكد، مثل قوله ﷺ: «**لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيب نفس منه**»[١] فهو موافق لقول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ ﴾[٢]

٢- أن تكون شارحة للقرآن الكريم، ومبينة له، مثل الأحاديث الواردة في بيان كيفية الصلاة، وعدد ركعاتها، وأصناف الأموال التي تجب فيها الزكاة، ومقدار النصاب، وغير ذلك، فكلها مبيّنة لقوله تعالى:

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[٣]

٣- أن تأتي بحكم لم يرد في القرآن الكريم، مثل تحريم النبي ﷺ الجمع بين المرأة وعمتها في الزواج، والتحريم من الرضاع لكل ما يحرم من النسب، قال ﷺ: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**»[٤].

٤- أن تأتي مقيدة لما جاء مطلقاً في القرآن الكريم، مثل تحديد قطع يد السارق من الرسغ، أو مخصصة لعامّه مثل إباحة أكل لحم الميتة من السمك والجراد.

خامساً : حجية السنة النبوية

اتفق العلماء على أن السنة الصحيحة الثابتة التي صدرت عن الرسول ﷺ بوصفها تشريعاً حجة على المسلمين، يجب عليهم الالتزام بها، واستدلوا بما يأتي:

١- طلب الله تعالى إلى المؤمنين الرجوع إلى السنة النبوية والتحاكم إليها، قال الله تعالى:

﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ﴾[٥]

٢- أمر الله تعالى بطاعة الرسول ﷺ ، والطاعة تفيد الالتزام بأمر المطاع، وتنفيذ ما طلبه قال الله تعالى:

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾[٦]

٣- قوله ﷺ «**ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه**»[٧] والمراد بالمثل السنة النبوية.

٤- عمل الصحابة رضوان الله عليهم، إذ كانوا يرجعون إلى السنة النبوية لمعرفة الأحكام الشرعية عندما لا يجدون الحكم في القرآن الكريم.

---

(١) السنن الكبرى، كتاب الغصب، باب من غصب لوحاً فأدخله في سفينة أو بنى عليه جداراً.

(٢) سورة النساء، الآية : (٢٩).

(٣) سورة البقرة، الآية : (٤٣).

(٤) مسند أحمد، ١٠٢/٦ .

(٥) سورة النساء، الآية: (٥٩).

(٦) سورة النور، الآية (٥٦).

(٧) سنن أبي داود، كتاب السنن، باب لزوم السنة.

نشاط

اذكر دليلاً على حجية السنة النبوية، واكتبه في دفترك.

الأسئلة

١- ما المقصود بالسُّنَّة؟
٢- عدّد أقسام السُّنَّة بالنظر إلى ذاتها.
٣- ما الفرق بين السُّنَّة المتواترة والمشهورة؟
٤- ما الفرق بين السُّنَّة المشهورة والآحادية؟
٥- تقسم أفعال الرسول ﷺ أربعة أقسام، بيّنها مع مثال لكل واحد منها.
٦- أمر الله تعالى المسلمين بالاقتداء بالرسول ﷺ، فهل يلزم من ذلك الالتزام بكل ما صدر عن الرسول ﷺ من تشريعات وتصرفات؟ ولماذا؟
٧- بَيِّن علاقة السُّنَّة النبوية بالقرآن الكريم، مع مثال لما تقول.
٨- كيف تستدل من قوله ﷺ «ألا وأني أوتيت القرآن ومثله معه» على حُجيَّة السُّنَّة النَّبويَّة؟

نشاط

يزعم بعض الناس أن لا حاجة بنا إلى السُّنَّة النَّبويَّة بدعوى أن القرآن الكريم تبيان لكل شيء، ناقش هذا الزعم في ضوء دراستك لموضوع السُّنَّة النَّبويَّة، ومكانتها في التشريع الإسلامي.

الدرس الخامس

مصادر التشريع الإسلامي (٣)
(الإجماع والقياس)

نسمع كثيراً أن الحكم الشرعي قد ثبت بالقرآن الكريم والسنة النبوية، ونسمع أيضاً أن هذا الحكم الشرعي قد ثبت بالإجماع، وبالقياس، فما معنى الإجماع؟ وما معنى القياس؟ وما شروط كل منهما؟

أولاً: الإجماع

١- معنى الإجماع

الإجماع لغة: الاتفاق على الأمر، يقال أجمع القوم على كذا إذا اتفقوا.

الإجماع اصطلاحاً: هو اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ بعد وفاته في عصر من العصور على حكم شرعي.

لتحقيق الإجماع يجب توافر الشروط الآتية:

أ - أن يكون الاتفاق من المجتهدين، فلا قيمة لإجماع من لم يصل درجة الاجتهاد، أو عامة الناس، لأنهم ليسوا أهلاً للنظر في الأحكام الشرعية.

ب- أن يكون الاتفاق من جميع المجتهدين، فإذا اتفق أكثرهم أو خالف بعضهم الحكم المجتهد فيه، لم ينعقد الإجماع.

جـ- أن يتم الإجماع بعد وفاة النبي ﷺ، لأنه لا وجود للإجماع في عصر النبي ﷺ لأن الأمر راجع إليه ﷺ فإن وافق على اجتهاد الصحابة، كان الحكم ثابتاً بالسنة النبوية لا بالإجماع، وإن لم يوافق عليه ﷺ فلا عبرة باتفاقهم، ولا يثبت به الحكم.

٣- ركن الإجماع ومرتبته

ركن الإجماع هو الاتفاق على الحكم الشرعي من جميع المجتهدين في عصر على اختلاف أجناسهم وأوطانهم، ويأتي الإجماع في المرتبة الثالثة من مصادر التشريع، بعد القرآن الكريم والسنة النبوية، قال ابن مسعود: «إذا سئل أحدكم فلينظر في كتاب الله، فإن لم يجد ففي سنة رسول الله، فإن لم يجد فلينظر فيما اجتمع عليه المسلمون».

٤- أنواع الإجماع وحجيتها

الإجماع نوعان: صريح وسكوتي، أما الصريح فهو أن يُعبر كل واحد من المجتهدين عن رأيه في المسألة الواحدة صراحة، وتتفق آراؤهم على ذلك، وحكمه أنه حجة قطعية يجب الأخذ به. أما الإجماع السكوتي: فهو أن يعبر بعض المجتهدين عن رأيه في المسألة بينما يسكت بقية المجتهدين الآخرين، وحكمه أنه ظني. وذلك لأن السكوت يحتمل الموافقة ويحتمل غيرها، وهذا لا يوجب العمل بالإجماع السكوتي، ولا يفيد القطع في إثبات الحكم، ويمكن مخالفته.

٥- أمثلة على الإجماع

ومن الأمثلة على الإجماع ما يأتي:

١- الإجماع على تسيير الجيوش لمحاربة المرتدين، في عهد أبي بكر الصديق، رضي الله عنه.

٢- الإجماع على جعل الأراضي المفتوحة من قبيل الفيء، في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٣- الإجماع على وجوب تنصيب خلفية للمسلمين، لحراسة الدين وسياسة الدنيا، ومنع الظلم، والفصل بين الناس في التنازع والتخاصم.

٤- الإجماع على تضمين الصناع مع أنهم مؤتمنون على أموال الناس وأمتعتهم، لأنه وجد أن الصناع لو لم يضمنوا لاستهانوا بالمحافظة على أموال الناس، والناس بحاجة إليهم، فكان لا بد من القول بتضمينهم ليحافظوا على أموال الناس وأمتعتهم.

ثانياً : القياس

١- معنى القياس

القياس لغة: التقدير

القياس اصطلاحاً: إلحاق أمر غير منصوص على حكمه، بأمر منصوص على حكمه لاتحادهما في العلة.

وبيان ذلك، أنه اذا وجد أمر، لم يرد في حكمه نص من القرآن الكريم أو السنة النبوية، ووجد أمر سابق عليه له حكم منصوص عليه، وكانت العلة بينهما واحدة، أعطي الأمر الأخير حكم الأمر السابق. وسيتضح ذلك في المثال الآتي الذي يبين أركان القياس.

٢- أركان القياس

تأمل المثال الآتي لتعرف أركان القياس.

قال النبي ﷺ: «**لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان**»[1] وعلة النهي عن الحكم في حالة الغضب ما يحصل بسببه من انشغال الذهن واختلال النظر في القضية المعروضة على الحاكم، فلا يتمكن من بيان الحكم على الوجه المناسب، فهل ينطبق هذا الحكم على القاضي الجوعان، أو من غلبه النعاس، وغير ذلك، مما يشغل القاضي عن بيان الحكم على الوجه المناسب، مع العلم أن الحديث لم ينص على الجوع والنعاس.

بالنظر إلى المثال السابق نجد أن للقياس أربعة أركان هي:

أ - **الأصل**: وهو ما ثبت الحكم فيه ابتداء، وهو في المثال السابق الغضب.

ب- **الفرع**: وهو ما لم يرد فيه نص يبيّن حكمه، ويراد معرفة حكمه، وهو في المثال السابق الجوع المفرط، أو غلبة النعاس.

جـ- **حكم الأصل**: وهو الحكم الشرعي الثابت للأصل، وهو في المثال السابق حرمة قضاء القاضي وهو غضبان.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان.

د – **العلة**: وهي المعنى المشترك الذي شُرع الحكم لأجله في الأصل، وهو في المثال السابق انشغال الذهن واختلال النظر فيما يعرض من قضايا.

فإذا وُجِدَتْ أركان القياس، يُجري الفقيه القياس، فيعطي الفرع حكم الأصل، لاتحاد العلة بينهما، وفي المثال السابق يكون قضاء القاضي في حالة الجوع المفرط أو غلبة النعاس حراماً، لانشغال الذهن واختلال النظر في القضايا المعروضة عليه.

٣– حجية القياس

القياس حجة شرعية وأصل من أصول الشريعة للأدلة الآتية:

أ – قال الله تعالى: ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾[1]

والاعتبار هو القياس، والقاعدة الأصولية أن الأمر يفيد الوجوب، فيكون القياس واجباً.

ب – قال النبي ﷺ للمرأة التي جاءته تسأل عن الحج عن أمها: «**أرايتِ لو كان على أمك دين أكنتِ قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحقُّ بالوفاء**»[2] فقد استخدم النبي ﷺ القياس لإفهام المرأة، حيث قاس أداء الحج على أداة الدين.

الأسئلة

١– ما المقصود بالمصطلحات الآتية :

الإجماع ، القياس، الأصل، الفرع ، العلة؟

٢– علل ما يأتي:

أ – عدم جعل اتفاق عامة الناس على أمر ما إجماعاً.

ب– عدم الاعتداد باتفاق الصحابة في عصر النبي **صلى الله عليه وسلم**.

جـ– وجوب تضمين الصناع .

د– وجوب تنصيب خليفة للمسلمين.

٣– ما ركن الإجماع ؟

٤– وضِّح حجيّة الإجماع ؟

٥– هات مثالاً على الإجماع ، وآخر على القياس؟

٦– عدّد أركان القياس.

٧– ما دلالة قوله ﷺ: «**أرأيتِ لو كان على أمكِ دين أكنت قاضيتَهُ؟** اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء» على كون القياس حجة شرعية؟

---

(١) سورة الحشر، الآية: (٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الحج والنذور عن الميت.

الدرس السادس

الاجتهاد (١)

امتازت الشريعة الإسلامية بقدرتها على تنظيم علاقات الناس، ومعالجة قضاياهم واستيعاب الحوادث المتجددة على مر العصور، وإعطاء الحلول لها، بما اشتملت عليه من قواعد كلية وتشريعية وأصولية تشكل معيناً لا ينضب للفقهاء، إذ يرجعون إليها لبيان الأحكام الشرعية للمسائل المعروضة عليهم عن طريق الاجتهاد، فما معنى الاجتهاد؟ وما شروط المجتهد؟ وما دليل مشروعية الاجتهاد؟

أولاً : مفهوم الاجتهاد

الاجتهاد لغة: بذل الجهد والطاقة في طلب الأمر الذي يسعى إليه المجتهد.

الاجتهاد اصطلاحاً: بذل الفقيه وسعه لاستنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية.

ثانياً : شروط المجتهد

المراد بالفقيه هنا المجتهد الذي يبذل أقصى وسعه في فهم نصوص الشريعة ومقاصدها، ليصل - بعد البحث والنظر - إلى الحكم الشرعي الذي يتفق ومقاصد الشريعة، ولا يكون الشخص مجتهداً إلا إذا توافرت فيه الشروط الآتية:

١- أن يكون مسلماً تقياً عدلاً غير متساهل في أمور الدين، حتى تطمئن الأمة إلى الأحكام الشرعية التي بينها لها، ولا يتحقق هذا الاطمئنان عند الناس، إذا كانت الأحكام الشرعية صادرة عن فقيه لا يتصف بالتقوى والعدالة من المسلمين.

٢- أن يكون عالماً بالقرآن الكريم وخاصة آيات الأحكام، لأنه الأصل في التشريع، وذلك بمعرفة معانيه لغة وشرعاً، ومعرفة دلالة ألفاظه، وناسخه ومنسوخه، وعامّه وخاصّه، وغير ذلك من الأمور المتعلقة به، ليتمكن من الرجوع إلى ما يحتاجه عند استنباط الأحكام.

٣- أن يكون عالماً بالسنة النبوية وبخاصة أحاديث الأحكام، وذلك بمعرفة معانيها لغة وشرعاً، ودلالة ألفاظها، وناسخها ومنسوخها، ومعرفة عامّها وخاصّها، وطرق وصولها إلينا، ورواتها، ليتمكن المجتهد من تمييز الصحيح منها عن غير الصحيح، والمقبول منها عن المردود، مما يسهل عليه استنباط الأحكام الشرعية.

٤- أن يكون على علم تام باللغة العربية، لأنها الطريق إلى فهم النصوص وتفسيرها، واستنباط الأحكام الشرعية، ولذلك يجب على المجتهد معرفة ما يتعلق بعلوم اللغة من نحو وصرف، وأدب وبلاغة، ودلالة ألفاظ، وغيرها من علوم العربية.

٥- أن يكون عالماً بأصول الفقه من الأمر والنهي، ودلالات الألفاظ، والنسخ، وغيرها من مباحث علم أصول الفقه، التي تعد أساس الاجتهاد، الذي ينهض عليه، وبدونه لا يصل الفقيه إلى استنباط الحكم الشرعي من الأدلة التفصيلية.

٦- أن يكون عالماً بمواطن الإجماع، حتى لا يجتهد في الوقائع المجمع عليها.

٧- أن يكون عالماً بمقاصد الشريعة، وأنها جاءت لتحقيق السعادة للناس، فيعطي الأحكام الشرعية التي تحقق هذه المقاصد.

٨- أن يكون ملماً بأحوال عصره، خبيراً بمصالح الناس وأحوالهم وأعرافهم، ليستطيع فهم الوقائع التي لا نص فيها، وبناء الأحكام وفق ذلك.

ثالثاً: مشروعية الاجتهاد

حثت الشريعة الإسلامية على الاجتهاد، ودعت إليه لأنه الطريق الذي تعرف به أحكام الشريعة، من أدلتها التفصيلية وقد ثبتت مشروعيته بما يأتي:

١- عموم الآيات الكريمة التي دعت الإنسان للتفكير والنظر والبحث للوصول إلى الحق، ومن ذلك قول الله تعالى:

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾[1]

فقد طلب الله تعالى إلى المؤمنين، رد ما لم يرد فيه نص إلى الله ورسوله، وذلك بأن ينظر المجتهدون فيما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، ليستنبطوا الأحكام على أساسها في المسائل التي لا نص فيها، وهذا هو الاجتهاد.

٢- قول الرسول ﷺ: «**إذا حكم الحاكم، فاجتهد فأصاب، كان له أجران، وإذا اجتهد فأخطأ، كان له أجر واحد**»[2]. والمراد هنا بالحاكم الفقيه المجتهد.

٣- إقراره ﷺ الصحابة على اجتهادهم، في غزوة بني قريظة حين صلى بعضهم العصر في الطريق إلى بني قريظة، وصلى الآخرون في بني قريظة، فلما بلغ النبي ﷺ أقر الطرفين على فعلهم، فكان إقراره ﷺ دليلاً على مشروعية الاجتهاد.

٤- والاجتهاد مشروع بفعل الصحابة أيضاً، فقد كان الصحابي يرجع إلى كتاب الله تعالى فإن لم يجد فيه بغيته رجع إلى السنة النبوية، فإن لم يجد اجتهد في المسألة، كما فعل أبو بكر الصديق في تسيير جيوش الردة، وعمر بن الخطاب في تقسيم البلاد المفتوحة.

---

(١) سورة النساء، الآية: (٨٣).

(٢) سنن الدراقطني، ٤/٢٠٤.

الأسئلة

١- ما الذي امتازت به الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع ؟

٢- ما المقصود بالاجتهاد؟

٣- اكتب ثلاثة من شروط المجتهد.

٤- علّل ما يأتي:

أ - اشتراط الإسلام والتقوى في المجتهد.

ب- علم المجتهد بالوقائع المجمع عليها.

جـ- إلمام المجتهد بأحوال عصره.

٥- بَيِّن مشروعية الاجتهاد، مع ذكر الأدلة الشرعية لما تقول.

٦- ما دلالة قوله تعالى:

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[1] على مشروعية الاجتهاد؟

(١) سورة النساء: الآية (٨٣).

الدرس السابع

الاجتهاد (٢)

عرفت في الدرس السابق مفهوم الاجتهاد ومشروعيته وشروط المجتهد، وفي هذا الدرس بيان لأهمية الاجتهاد، فما أهميته؟

أولاً : أهمية الاجتهاد

يمكن القول إن الاجتهاد من أهم الوسائل التي تعين الأمة على مواجهة القضايا والوقائع الجديدة، بمعالجتها وفق أحكام الشريعة الإسلامية، وتظهر أهمية الاجتهاد في النواحي الآتية:

١- بيان الأحكام الشرعية في كل مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها، فالمجتهد يبذل أقصى وسعه للوصول إلى الحكم الشرعي للوقائع المعروضة عليه، ومن المعلوم أن قضايا الناس غير منحصرة، لتغير الزمان والمكان، والحاجة إلى معرفة الحكم الشرعي قائمة، ولا طريق لمعرفته إلا بالاجتهاد.

٢- بيان صلاحية الشريعة لإيجاد الحلول لكل المشكلات والوقائع ، مما يؤكد صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان قولاً وعملاً، وليس أدل على ذلك من بيان الحكم الشرعي للقضايا التي استجدت في هذا الزمان مثل جراحة التجميل، وأطفال الأنابيب، والتبرع بالأعضاء.

٣- تمكين المجتهدين من القدرة على الموازنة بين الآراء الفقهية، وترجيح الأقوى منها بناء على قوة الدليل. وكذلك مراعاة الظروف التي تحيط بكل مسألة، وأثر هذه الظروف فيها، وإصدار الحكم الذي يتفق وعدالة التشريع الإسلامي.

ولأهمية الاجتهاد في حياة المسلمين، فإن من واجب الدولة أن تقوم بما يأتي:

أ - تهيئة البيئة المناسبة لوجود المجتهدين المؤهلين لبيان أحكام الشريعة، والنظر في قضايا الأمة، وإعطاء الحلول الشرعية المناسبة لها، لأنه لا يجوز أن يخلو عصر من المجتهدين، ويمكن للدولة تحقيق ذلك بتشجيع دراسة العلوم الشرعية، وفتح المدارس والمعاهد الشرعية، وكليات الشريعة، وإعداد المناهج والخطط الدراسية التي ترتقي بالإنسان فتجعله مؤمناً بربه وبدينه، ويتجه إلى الاستزادة من العلوم الإسلامية حتى يصل إلى مرتبة الاجتهاد.

ب- عرض القضايا على المجتهدين أو المجامع الفقهية للنظر فيها، وبيان الحكم الشرعي لكل قضية منها بما يتفق وقواعد الشريعة الإسلامية، ويحقق مقاصدها، وبشجاعة وحرية بعيداً عن كل المؤثرات والضغوط اجتماعية كانت أم سياسية، ولا يعني هذا إغفال الاجتهاد الفردي، وعدم الحاجة إليه، لأن الاجتهاد الفردي ينير الطريق للاجتهاد الجماعي بما يقوم به من دراسات وبحوث حول القضايا المعروضة أمام المجامع العلمية.

ولعلك تسأل: هل يمكن الاجتهاد في كل مسألة من مسائل الشريعة؟

والجواب على ذلك أن المسائل الشرعية في الإسلام منها ما فيه مجال للاجتهاد، ومنها ما لا مجال فيه للاجتهاد وإليك بيان ذلك:

١ – المسائل التي لا مجال للاجتهاد فيها

أ – ما ورد فيها أحكام نهائية، بأدلة قطعية، محددة مفصلة في القرآن الكريم، أو السُّنَّة النَّبوية الشريفة، مثل العقيدة، ومقادير الحدود، والكفارات المقدرة.

ب – الأحكام الأخلاقية مثل الصدق، والأمانة وغيرها.

جـ – الأحكام التي دلّت النصوص على أنها ليست قابلة للنقض مثل الجهاد.

٢ – المسائل التي فيها مجال للاجتهاد

أ – المسائل التي لم يرد في حكمها دليل قطعي الدلالة، بل كانت دلالته ظنية، سواء أكان ذلك في القرآن الكريم أم السنة النبوية، ومثال ذلك لفظه (قروء) في قوله تعالى:

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾[1] فإنها تحتمل أن تكون بمعنى الحيض أو الطهر، فمن رجّح من الفقهاء معنى الحيض، قال إن عدة المرأة المطلقة ثلاث حيضات، ومن رجح معنى الطهر قال إن عدة المرأة المطلقة ثلاثة أطهار.

ب – المسائل التي لم يرد في حكمها دليل محدد من القرآن الكريم أو السنة النبوية، فهذه يعرف حكمها عن طريق الاستنباط من النصوص الشرعية، مثل أطفال الأنابيب، وجراحة التجميل، وزكاة الأسهم والسندات، وزرع الأعضاء وغيرها.

ثانياً : أمثلة على الاجتهاد

الأمثلة على الاجتهاد كثيرة جداً، نذكر منها بعض الاجتهادات القديمة، وبعضاً من الاجتهادات الحديثة، وفيما يأتي بيان ذلك :

١ – أمثلة على الاجتهادات القديمة

أ – قراءة الفاتحة في الصلاة. ذهب الفقهاء في هذه المسألة مذهبين هما :

١. يرى المالكية والشافعية والحنابلة أن قراءة الفاتحة ركن من أركان الصلاة، فمن ترك قراءة الفاتحة، وهو قادر على قراءتها، فصلاته غير صحيحة، وقد استدلوا لما ذهبوا إليه بقوله ﷺ: « **لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»[2]

والنفي في الحديث، دلالة عدم صحة الصلاة، لعدم أداء ركن من أركانها، وهو قراءة الفاتحة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٢٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب وجوب القراءة للأمام.

٢. يرى الحنفية أن قراءة الفاتحة من واجبات الصلاة، فمن تركها عمداً أثم في ذلك، ومن تركها ناسياً فعليه سجود السهو، وفي الحالتين تصح الصلاة واستدلوا لذلك بقوله تعالى:

﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾[١]

فالآية أوجبت قراءة ما تيسر من القرآن الكريم وهذا عام في كل الصلوات، واستدلوا أيضاً بتعليم النبي ﷺ الرجل الذي لم يحسن الصلاة إذ قال له: «**إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن**»[٢] وفي الحديث دلالة واضحة، على أن النبي ﷺ لم يقل له أن يقرأ الفاتحة، فدل على أن الصلاة صحيحة دون قراءة الفاتحة.

وأجاب الحنفية على ما استدل به المالكية والشافعية والحنابلة، بأن معنى الحديث: «لا صلاة كاملة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وليس المراد نفي الصحة كاملة.

ب– **قراءة المأموم خلف الإمام**: يكثر السؤال عن قراءة المأموم خلف الإمام ، فما الحكم في هذه المسألة؟ اجتهد الفقهاء في هذه المسألة وكان نتيجة هذا الاجتهاد ثلاثة أقوال هي:

١. ذهب أبو حنيفة إلى أن المأموم لا يقرأ خلف الإمام، لا في الصلاة السرية ولا الجهرية، مستدلاً بقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[٣]

وقوله ﷺ: «**من كان له إمام فإن قراءة الإمام له قراءة**»[٤].

٢. ذهب الإمام مالك إلى أن المأموم لا يقرأ خلف الإمام في الصلاة إذا كانت جهرية ويقرأ خلف الإمام، إذا كانت الصلاة سرية.

٣. ذهب الإمامان الشافعي وأحمد إلى أن المأموم يقرأ خلف الإمام وجوباً، سواء أكانت الصلاة جهرية أو سرية مستدلين بقوله ﷺ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»[٥].

٢– الأمثلة على الاجتهادات الحديثة

أ– **تشريح جسم الميت**: السؤال الذي يدور على ألسنة الناس عن جواز تشريح جسم الميت اقتضى الاجتهاد في هذه القضية، فما الذي وصل إليه هذا الاجتهاد؟

قبل بيان حكم التشريح، لا بد من معرفة الغرض من التشريح، حتى يكون الحكم منسجماً مع الغرض، فقد بَيَّنَ العلماءُ أن للتشريح أغراضاً منها:

١. التشريح لأغراض التعليم، حتى يتعرف طلبة العلم تركيب جسم الإنسان، ووظائف أعضائه، وحتى يتدرب على استعمال أدوات الجراحة ليقوى على القيام بإجراء العمليات الجراحية للأحياء.

٢. التشريح لمعرفة الأسباب الحقيقية للوفاة في الحالات القضائية لمعرفة السبب الحقيقي للوفاة، وزمنها، والملابسات المحيطة بها، فقد يكون السبب الحقيقي للوفاة مخالفاً للسبب الظاهري فيتغير

---

(١) سورة المزمل، الآية: (٢٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب من رد فقال عليك السلام.

(٣) سورة الأعراف، الآية: (٢٠٤).

(٤) السنن الكبرى، كتاب الصلاة، باب من قال لا يقرأ خلف الإمام على الإطلاق.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب وجوب القراءة للإمام.

الحكم القضائي تباعاً لذلك.

٣. معرفة العلاقة بين الأعراض المرضية، التي ظهرت على المريض قبل الوفاة وبين الأسباب الحقيقية للوفاة، التي يكشف عنها التشريح، وبهذا يمكن أن يتقدم الطب باكتشافه الأمراض غير المعروفة.

وقد أدى الاجتهاد وبعد معرفة غرض التشريح إلى القول بجواز التشريح، شريطة أن يتم عند الحاجة الشديدة إليه وأن يتم بطريقة تليق بالكرامة الإنسانية.

ب- **زرع أعضاء الإنسان في جسم إنسان آخر**: بيّن المجمع الفقهي الإسلامي[1] أن أخذ عضو من جسم إنسان حي، وزرعه في جسم إنسان آخر محتاج إليه لإنقاذ حياته، أو استعادة وظيفة من وظائف أعضاء الجسم الأساسية، عمل جائز لا يتنافى مع الكرامة الإنسانية كما مر معك سابقاً في درس التبرع بالأعضاء.

ثالثاً: ضوابط الاجتهاد في العصر الحديث

قلنا إنه لا يجوز أن يخلو عصر من المجتهدين، لحاجة الأمة إلى الاجتهاد، إلا أنه يجب عند الاجتهاد مراعاة الضوابط الآتية إضافة إلى ما عرفت من الشروط الواجب توافرها في المجتهد:

١- الالتزام بالنصوص الشرعية وعدم إغفالها، لأنها الفيصل في الأحكام، فإذا ثبت الحكم بنص من القرآن الكريم أو السنة النبوية، فلا يجوز مخالفته أو تركه، لأنه لا اجتهاد في مورد النص.

٢- الدقة في التزام النصوص وعدم إساءة فهمها، أو تحريفها عن موضعها بعدم التأمل الكامل فيها، والموازنة بينها، واستفراغ الوسع في البحث والطلب، لئلا يؤدي ذلك الى التسرع، والتعجل بإصدار الأحكام.

٣- عدم الغلو في اعتبار المصلحة ولو كان الأمر مخالفاً للنصوص الشرعية، فلا يقبل أن يقال إن الربا مباح، لأنه عصب البنوك، والبنوك عصب الاقتصاد، لمخالفة ذلك نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المحرِّمة للربا.

٤- الحذر من الوقوع تحت ضغط الواقع.

٥- مراعاة روح العصر وحاجاته.

٦- الانتقال إلى الاجتهاد الجماعي- دون إغفال الاجتهاد الفردي- لأن رأي الجماعة أقرب إلى الصواب من رأي الفرد.

---

(١) الدورة الثامنة، من ٢٨ ربيع الأخرة ١٤٠٥هـ - ٧ جمادى الأولى ١٤٨٥هـ، الموافق ٢٨-٢٩ يناير، ١٩٨٥م.

الأسئلة

١- للاجتهاد أهمية كبيرة، بَيِّن ذلك.

٢- ما واجب الدولة نحو الاجتهاد؟

٣- ما المسائل التي يجوز فيها الاجتهاد؟ أعط مثالاً على ذلك.

٤- بَيِّن آراء الفقهاء في قراءة الفاتحة في الصلاة.

٥- بَيِّن آراء الفقهاء في قراءة المأموم خلف الإمام.

٦- ما الغرض من تشريح الجسم؟

٧- ما شروط جواز تشريح الجسم؟

٨- عدد ثلاثة من ضوابط الاجتهاد في العصر الحديث؟

الوحدة الرابعة عشرة
علم السيرة النبوية

- السيرة النبوية (معناها، وأهميتها، وفوائدها، وخصائصها).
- مصادر السيرة النبوية.
- تحليل الوثيقة التي نظم بها النبي ﷺ مجتمع المدينة (١).
  (رابطة الإسلام هي الأساس في بناء المجتمع).
- تحليل الوثيقة التي نظم بها النبي ﷺ مجتمع المدينة (٢).
  (التكافل والتعاون من سمات المجتمع المسلم).
- تحليل الوثيقة التي نظم بها النبي ﷺ مجتمع المدينة (٣)
  (المساواة بين أفراد المجتمع في الحقوق العامة والواجبات).
- تحليل الوثيقة التي نظم بها النبي ﷺ مجتمع المدينة (٤)
  (وجوب التعاون في حماية الدولة من العدو الخارجي).
- تحليل خطبة النبي ﷺ في خطبة الوداع (١).
  (من مقاصد الإسلام حماية الأنفس والأعراض والأموال).
- تحليل خطبة النبي ﷺ في خطبة الوداع (٢).
  (تحريم الربا).
- تحليل خطبة النبي ﷺ في خطبة الوداع (٣).
  (التوصية بالنساء خيراً وبيان حقوقهن وواجباتهن).
- تحليل خطبة النبي ﷺ في خطبة الوداع (٤).
  طاعة ولاة الأمور وقيودها.
- تحليل كتاب النبي ﷺ الى هرقل ملك الروم.
- طبيعة العلاقة بين اليهود والمسلمين زمن النبي ﷺ.
- التعريف بأبرز كتب السيرة النبوية.

الدرس الأول

السيرة النبوية
(معناها، وأهيمتها، وفوائدها، وخصائصها)

عرفت أن علوم الشريعة متعددة ومنها: السيرة النبوية الشريفة، وقد سمى العلماء السيرة بهذا الاسم، لأنها اختصت بحياة الرسول محمد ﷺ ورواية أحداثها، فما معنى السيرة في لغة العرب، وفي اصطلاح العلماء؟

أولاً: معنى السيرة

تُطلق السيرة في اللغة على السُّنَّة، والحالة التي يكون عليها الإنسان، سواء أكانت حسنة أو سيئة، نقول: فلان سيرته حسنة، وفلان سيرته سيئة.

وفي الاصطلاح: هي مانقل إلينا من حياة النبي ﷺ منذ ولادته قبل البعثة وبعدها وما رافقها من أحداث ووقائع حتى التحاقه بالرفيق الأعلى.

فالسيرة تشتمل على وقائع ميلاده ﷺ ونسبه، ومكانة عشيرته، وطفولته وشبابه، ووقائع بعثته، ونزول الوحي عليه، وأخلاقه، وطريقة حياته، ومعجزاته التي أجراها الله تعالى على يديه، ومراحل الدعوة المكية والمدنية، وجهاده وسلمه، وأحداث حياته حتى التحاقه بالرفيق الأعلى.

وقد أطلق العلماء على الجزء الخاص بعلاقته ﷺ مع أعدائه المشتمل على غزواته، وسراياه ومعاهداته، وعلى الأحكام والمبادىء الشرعية المنظمة لتلك العلاقات وآثارها اسم «المغازي» أو «السِّير».

نشاط

اكتب مثالاً خاصاً بالسُّنَّة، وآخر خاصاً بالسيرة.

ثانياً: أهمية السيرة

تتضح أهمية السيرة النبوية فيما يأتي:

١- **إن السيرة النبوية ليست وصفاً لحياة خليفة من الخلفاء أو حاكم من الحكام أدى دوره ثم انتهى، ولكنها وصف لطريقة حياة خاتم الرسل ﷺ، صاحب الرسالة العالمية، الذي جعله الله قدوة للمؤمنين،** في شؤون الحياة صغيرها وكبيرها، وما يصدر عنه من قول أو فعل أو تقرير، وما يتصف به من صفات خلقية، وما أُثر عنه من سيرة بعد البعثة يعد مصدراً من مصادر التشريع.

٢- إن السيرة النبوية تعد البداية الأولى، لتاريخ الأمة المسلمة، الذي بدأ مع بداية الإسلام؛ أي مع بداية بعثته ﷺ. لذلك تعد السيرة النبوية أهم حقبة في تاريخ أمتنا، لأنها الفترة التي تشكل بداية الإشعاع الحضاري في تاريخ البشرية قاطبة.

٣- إن سيرته ﷺ تقدم لنا الإسلام في صيغ عملية بعد أن نقرأ مبادئه وقواعده وأحكامه ونفهمها فقد نقرأ عن عقيدة التوكل على الله سبحانه وتعالى، وقد نسيء فهمها، فنخلط بين التوكل والتواكل، ونهمل الأخذ بالأسباب، فإذا درسنا السيرة النبوية، فإننا نجد الصورة العملية للتوكل، فالنبي ﷺ أعظم من توكل على الله، ومع ذلك نجده يأخذ بالأسباب في هجرته، إذ اختار صاحباً في الطريق هو أبو بكر رضي الله عنه، واستأجر من يدلّه على الطريق، واشترى الراحلة، وتزود بالطعام، ورصد الطريق وموّه على كفار قريش، واختار أفضل الأوقات للخروج من مكة، وهكذا فإن مثل هذا الجانب من سيرته ﷺ، يقدم لنا عقيدة التوكل في صورتها العملية، وكذلك كان ﷺ يعمد في غزواته، إلى التدريب على القتال، وإعداد الفرسان، وجمع الأموال، وتعبئة الرجال، والتخطيط للمعركة، والتمويه على الأعداء...، تطبيقاً عملياً لعقيدة التوكل على الله عز وجل، من هنا كانت دراسة السيرة مهمة لعالم الشريعة، وطالب العلم، والداعية، والقائد والتاجر، وسائر فئات المجتمع، ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً، كي يقفوا على مظاهر الاقتداء به ﷺ، ويكون لهم شرف التأسي به، وبذلك يحوزون القبول والرضا من الله عز وجل، ويكتب لهم شرف الخلود مع رسول الله ﷺ في جنات النعيم، قال تعالى:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[1]

ثالثاً: فوائد دراسة السيرة النبوية

للسيرة النبوية فوائد جمة من أهمها:

١- تعميق الإيمان برسالته ﷺ من خلال فهم شخصيته والتعرف على ظروف حياته التي عاش فيها، وأنه لم يكن مجرد إنسان عبقري ارتفع شأنه بين قومه بسبب عبقريته، أو مجرد مصلح ثار على فساد مجتمعه، ولكنه كان رسول الله ﷺ، يتلقى الوحي، ويبلغ أمر ربه بتوفيقه سبحانه وتأييده.

٢- تقديم النموذج الصالح والمثل الأعلى في كل شؤون الحياة، وتسهيل سبل الاقتداء به، قال تعالى:

﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾[2]

ومن الأمثلة على ذلك حين جاء قومه يعرضون عليه أن يجعلوه رئيساً عليهم، أو يعطوه مالاً وفيراً، أو يزوجوه أجمل نسائهم مقابل أن يترك دعوته، ثم رفضه ﷺ لكل هذه الإغراءات المادية، وموقفه الحاسم الذي عبر عنه بقوله: «والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الدين ما تركته حتى يظهره الله أو أموت دونه» يعد نموذجاً، ومثلاً أعلى للداعية في ثباته على المبدأ، وعدم مساومته عليه.

---

(١) سورة النساء، الآية: (١٣).

(٢) سورة الأحزاب، الآية: (٢١).

إن السيرة النبوية كلها نماذج رائعة، ينتفع بها المسلمون في كل زمان ومكان على اختلاف شؤونهم والمسلم هو الذي يجمع بين العبادة والقيام بالواجبات الدنيوية، في توازن دون إفراط أو تفريط.

٣- **تسهيل تفسير كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والإعانة على فهمها؛** لأن كثيراً من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة تجلّيها الأحداث التي مرت برسول الله ﷺ وموقفه منها، ومن أمثلة ذلك :

قال ابن اسحق: كان خباب بن الأرت صاحب رسول الله ﷺ قيناً»[1] بمكة يعمل السيوف، وكان قد باع إلى العاص بن وائل سيوفاً عملها له، حتى كان عليه مال، فجاءه يتقاضاه فقال له: يا خباب أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه، أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب، أو فضة، أو ثياب، أو خدم؟ قال خباب: بلى، قال العاص فأنظرني إلى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك هناك حقك، فو الله لا تكون أنت وصاحبكم يا خباب آثر عند الله مني، ولا أعظم حظاً في ذلك، فأنزل الله تعالى فيه :

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴾[2]

٤- **تزويد الدارس بقدر كبير من الثقافة والمعارف الإسلامية الصحيحة،** في العقيدة والعبادات، والمعاملات، والعادات، والأخلاق، والعلاقات الدولية، والقيم والمبادىء، والأحداث التاريخية.

رابعاً : خصائص السيرة النبوية

تمتاز السيرة النبوية بعدة مزايا تبعث الثقة والطمأنينة بأحداثها ووقائعها، وتجعل دراستها ضرورية للعلماء والدعاة، وفيما يأتي تبيين لعدد من هذه الخصائص :

١- صحتها

تعدّ السيرة النبوية أصح سيرة لتاريخ نبي مرسل عرفته البشرية حتى يومنا هذا حيث وصلت إلينا أحداثها الثابتة من أصح الطرق، وأقواها ثبوتاً، وذلك :

أ- **لأن القرآن الكريم ذكر جانباً كبيراً ومهماً من أحداثها، ووقائعها،** كسيرته ﷺ في بعض غزواته، مثل غزوة بدر وأحد، وسيرته في صراعه مع اليهود، وسيرته في علاقاته مع بعض زوجاته، وبعض أصحابه. ومعلوم أن القرآن الكريم اكتمل نزوله في حياة الرسول ﷺ، ومعنى هذا أن تدوين بعض أحداث السيرة قد حصل في حياة صاحبها، وحياة معاصريه الذين كانوا شهوداً عليها ولم تتعرض للتغيير والتحريف، لأن القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله له، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾[3] ومنقول بالتواتر لا يتطرق إليه شك.

---

(١) قيناً: حداداً.

(٢) سورة مريم، الآيتان: (٧٧-٧٨).

(٣) سورة الحجر، الآية: (٩).

ب– **لأن السنة النبوية نقلت جزءاً كبيراً من أحداث السيرة التي حصلت بعد بعثته ﷺ**، باعتبارها جزءاً منها، وقد حظيت السنة بعناية فائقة من العلماء، وتمحيص دقيق لروايتها، ووضعوا المناهج والقواعد العلمية، لتمييز صحيحها من سقيمها، ونصوا على ذلك بعبارات واضحة.

جـ– **إن كُتّاب السيرة والمؤلفين فيها اعتمدوا في تدوين أحداث السيرة الطريقة الموضوعية**، وهي الطريقة العلمية في نقل الأخبار القائمة على دراسة الأسانيد والمتون ونقدها، لتثبيت ما هو صحيح منها، وأفادوا من مناهج علماء الحديث بخاصة الجرح والتعديل، ولم يقحموا تصوراتهم الفكرية، أو انطباعاتهم الشخصية، أو مألوفاتهم البيئية في شيء من وقائع السيرة.

وعلى أساس هذه القواعد العلمية الموضوعية، لأحداث التاريخ، وصلت إلينا سيرة النبي ﷺ بدءاً من ولادته، إلى تاريخ وفاته.

٢– وضوحها

عرضت سيرته ﷺ في جميع مراحلها، منذ زواج أبيه بأمه إلى وفاته ﷺ، بشكل مفصّل ودقيق مقرونة بسنوات حدوثها، دون انقطاع أو غموض، فهو كما قال بعض النقاد الغربيين: «إن محمداً ﷺ هو الوحيد الذي ولد في ضوء الشمس».

إن هذا الوضوح لم يتيسر مثله، ولا قريب منه لأحد من الرسل عليهم السلام، أو أحد من البشر، فلم نجد شيئاً عن طفولة الأنبياء السابقين، وشبابهم، ومعيشتهم قبل النبوة وكذلك فإننا لا نعرف إلا القليل عن حياتهم بعد النبوة، مما ورد في الكتاب والسنة، وأما المصادر الأخرى، غير الإسلامية، فهي موضع شك.

إن ميزة وضوح السيرة بتفاصيلها، يعطينا صورة مكتملة لشخصية الرسول ﷺ في كل جوانبها، وللظروف والأحوال التي مر بها، وصورة مكتملة للحياة الاجتماعية التي رافقت سيرة حياته الكريمة.

٣– العملية والواقعية

السيرة النبوية تحكي حياة إنسان أكرمه الله بالرسالة، وأجرى على يديه كثيراً من المعجزات، وحقق من الانتصارات والنجاحات، ما لم يحققه بشر على وجه الأرض، ومع ذلك لم تخرجه السيرة عن بشريته وإنسانيته، أو تجعل حياته كالأساطير، ولم يحط بهالة من التقديس، تضفي عليه أوصاف الألوهية، كما فعل كتّاب سيرة بعض الأنبياء، أو روايات البوذيين عن بوذا، ولهذا ذكرت السيرة مواطن الثناء عليه، كما ذكرت المواطن التي عاتبه الله فيها، مثل قوله تعالى في الثناء عليه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1]

وقوله تعالى في عتابه له. ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾[2]

فالسيرة، تقدم النبي ﷺ نموذجاً ترقّى في درجات الكمال الإنساني، لكل من أراد أن يعيش سعيداً كريماً، في نفسه، وأسرته، ومجتمعه.

وقد قدم الرسول ﷺ من حياته تطبيقاً مثالياً للدعوة التي حمل، والرسالة التي بلّغ، مما جعل حياته ﷺ النموذج والقدوة للمسلمين جميعاً، قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[3]

---

(١) سورة القلم، الآية: (٤)

(٢) سورة عبس، الآيات: (١-٣).

(٣) سورة الأحزاب ، الآية: (٢١).

٤- شمولها

تشمل سيرة النبي ﷺ كل النواحي الإنسانية، الفردية والجماعية، فهي تحكي الجوانب الاجتماعية من حياته، كزواجه، وعلاقته بزوجاته وأهله، كما تتحدث عن الجوانب الشخصية، كيتمه، وشبابه، واستقامته وتجارته، وتتحدث عن جوانب دعوته وما كابده في سبيل تبليغها، وتتحدث عن الجوانب السياسية والإدارية، في سياسة أمته ورعاية مصالحها، وعن الجوانب العسكرية، وسيرته في أعدائه وعلاقاته بهم.

إنها سيرة شاملة لجميع النواحي الإنسانية في المجتمع ، مما يجعل حياته كلها موطن قدوة لكل فئات المجتمع ، وأفراده على اختلاف وظائفهم وأعمالهم.

الأسئلة

١- عرف السيرة النبوية في اللغة والاصطلاح.

٢- ما الاسم الخاص الذي يطلق على جهاد النبي ﷺ ومعاهداته؟

٣- حين ندرس السيرة، فإننا ندرس أهم حقبة في تاريخ أمتنا، وضح ذلك.

٤- أعط مثالاً من السيرة النبوية، توضح فيه كيف تعيننا دراستها على فهم بعض آيات القرآن الكريم.

٥- هات مثالاً من السيرة النبوية يبين موطن القدوة للداعية في الثبات على المبدأ.

٦- بين كيف فهم الرسول ﷺ عقيدة التوكل بصورتها العملية.

٧- برأيك، ما مخاطر أن نعد الرسول ﷺ إنساناً عبقرياً فذّ زمانه؟

٨- اذكر فائدة لصحة سيرة النبي ﷺ.

٩- من عوامل صحة سيرة النبي ﷺ كون القرآن الكريم من مصادرها، وضّح ذلك.

١٠- ما الطريقة التي اعتمدها كُتاب السيرة في تدوين أحداثها؟

١١- قال أحد النقاد الغربيين: «إن محمداً ﷺ هو الوحيد الذي ولد في ضوء الشمس»:

أ - ماذا يعني له هذا القول؟

ب- ما أهمية ذلك في الدعوة إلى الله تعالى؟

جـ- ما أهمية ذلك في حياة المسلمين؟

١٢- ما أثر تقديم السيرة لشخص رسول الله ﷺ على أنه بشر؟

١٣- ما معنى كون السيرة النبوية عملية؟

١٤- أعط أمثلة تبين أن السيرة النبوية شاملة للنواحي الشخصية والاجتماعية والسياسية.

الدرس الثاني

مصادر السيرة النبوية

تستمد السيرة النبوية أحداثها ووقائعها من جملة مصادر، نذكرها مرتبة حسب أهيمتها:

أولاً : القرآن الكريم

القرآن الكريم المصدر الأساس للسيرة النبوية، وهو وإن لم يكن كتاب سيرة، فقد عرض لأحداث متعددة من سيرته ﷺ كنشأته ويتمه قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾[1]

وتحدث عن أخلاقه، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2]

وبداية نبوته وبعثته، فقال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾[3]

ثم ذكر القرآن إرساله إلى قومه فقال: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[4]

وإلى الناس كافة، وبين مواقف قومه منه، وما وصفه به المشركون ظلماً من السحر والجنون، وأنه شاعر ليصدوا الناس عن الإيمان بالله وما جاء به رسوله من الهدى.

كما عرض القرآن الكريم لهجرة النبي ﷺ، وأهم الغزوات التي خاضها مع قريش كبدر وأحد، ومع الأحزاب، كغزوة الخندق، ومع اليهود كغزوة خيبر، ومع الروم كمؤتة وتبوك.

وذكر القرآن الكريم بعض معجزاته كمعجزة الإسراء والمعراج، قال تعالى:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[5]

وتعرض إلى بعض مواقفه ﷺ مع بعض أصحابه كموقفه من ابن أم مكتوم رضي الله عنه في سورة عبس، وغير ذلك من المواقف والأحداث.

ويلاحظ أن القرآن الكريم حين يعرض لبعض وقائع السيرة وأحداثها يعرض لها بصورة إجمالية ولا يدخل في تفاصيل الحدث ويحرص على التركيز على موطن العظة والعبرة في هذه الأحداث.

---

(١) سورة الضحى، الآيات : (٦-٨).

(٢) سورة القلم ، الآية : (٤).

(٣) سورة العلق، الآية: (١).

(٤) سورة الشعراء، الآية : (٢١٤).

(٥) سورة الإسراء، الآية : (١).

ثانياً : السنة النبوية الشريفة

اشتملت كتب الحديث على كثير من أحداث السيرة بصورة أكثر تفصيلاً وشمولاً مما ورد في القرآن الكريم.

فقد بينت كتب الصحاح، كصحيح البخاري وصحيح مسلم، وكتب السنة الأخرى القسم الأكبر من سيرته ﷺ، فذكرت الأحداث التي مرت به، والأعمال والتصرفات التي صدرت عنه.

فلو رجعنا إلى كتاب صحيح البخاري مثلاً فإننا نجد فيه كثيراً من أحداث سيرته ووقائعها ﷺ، مثل بدء الوحي، وكيف كانت حاله معه. وسيرته في الجهاد، ومناقبه ﷺ وعما جاء في أسمائه وصفاته، وعلامات النبوة، وزواجه ﷺ، وبناء الكعبة وما لقيه وأصحابه من عنت المشركين في مكة، وهجرة أصحابه إلى الحبشة وهجرته ﷺ وأصحابه إلى المدينة المنورة، وعن غزواته وأخلاقه ﷺ.

نشاط

فسر لماذا تعد أخبار السيرة المروية في كتب السنة من حيث الثقة بها في المرتبة الثانية بعد الأخبار التي عرضها القرآن الكريم واكتب تفسير ذلك في دفترك.

ثالثاً : كتب المغازي والسير

تعد كتب المغازي والسير المصدر الثالث لاستمداد سيرة النبي ﷺ، والوقوف على أحداثها، والاطمئنان إليها.

فقد كانت وقائع السيرة النبوية روايات يرويها الصحابة، رضي الله عنهم، إلى من بعدهم، وقد اختص بعضهم بتتبع دقائق السيرة، وتفاصيلها، ثم تناقل التابعون هذه الأخبار ودونوها في صحائف عندهم، فاعتنوا بها عناية تامة، مثل: أبان بن عثمان بن عفان، رضي الله عنه (٣٢هـ-١٥٠هـ) ومن التابعين وهب بن منبّه المتوفى سنة (١١٠هـ).

ثم انتقلت العناية بالسيرة إلى من بعدهم، فأفردوها بالتصنيف، ومن أوائل المصنفين ابن إسحاق الذي ألف كتابه (المغازي).

وقد تطور التأليف في السيرة، فاختص بعض الباحثين بذكر بعض نواحيها مثل (دلائل النبوة) للأصبهاني، ولم تنقطع العناية بالتأليف في السيرة إلى يومنا هذا، ولا يزال العلماء يؤلفون في سيرة الرسول ﷺ بأسلوب حديث يتقبله ذوق أبناء العصر، مثل كتاب (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين) للخضري، وكتاب «فقه السيرة» للشيخ محمد سعيد رمضان البوطي وغيرها الكثير.

رابعاً : كتب التاريخ

ولما بعث الله محمداً ﷺ، وظهرت دعوته، ظهر مورد جديد للرواية التاريخية، كانت مادتها أحاديث الصحابة والتابعين، عن ولادته ﷺ وحياته، وما رافق هذه الحياة من جهاد، وصراع مع المشركين. ولأن بعثة النبي ﷺ ودعوته كانت أعظم حدث برز في ذلك الزمن، فقد شكل هذا مادة للتاريخ أولاً، ثم للسيرة ثانياً.

ولم يدوّن في تاريخ العرب أو السيرة شيء إلى أن مضت أيام الخلفاء الراشدين، فلما كانت أيام معاوية، رضي الله عنه، أحب أن يدوّن في التاريخ كتاباً، فاستقدم عبيد الله بن شرية الجرهمي من صنعاء، فكتب له كتاب «الملوك وأخبار الماضين»، بعد هذا اتجه أكثر من واحد إلى كتابة سيرة النبي ﷺ، فدونوا أحداثها، وتتبعوا أخبارها، وأصبحت السيرة جزءاً مهماً من مادة كتب التاريخ الإسلامي، ولا يخلو كتاب من الموسوعة التاريخية الإسلامية القديمة، كتاريخ الطبري، وتاريخ البداية والنهاية لابن كثير، والكامل لابن الأثير، وغيرها، من جزء من سيرة النبي ﷺ، والباحث فيها يجد أموراً مفصلة، من أحداث السيرة ووقائعها، ابتداءً من ميلاده ﷺ حتى وفاته. لذلك تعد كتب التاريخ أحد المصادر الرئيسة للسيرة النبوية الواردة في كتب الحديث الشريف، لذلك جاءت كتب التاريخ تحمل الأخبار الصحيحة والأخبار الضعيفة والموضوعة، ولذلك لا تؤخذ منها أحداث السيرة النبوية إلا إذا خضعت لمقاييس الجرح والتعديل، التي وضعها علماء الحديث الشريف.

خامساً : كتب التراجم

وهي الكتب التي اختصت بتدوين تاريخ الرجال وسِيَرِهم، خاصة تلك التي اهتمت بتاريخ الصحابة والتابعين، ومن أهمها: كتاب «الطبقات الكبرى» لابن سعد، وهو موسوعة تاريخية عظيمة ومصدر مهم في سيرة الرسول ﷺ.

سادساً : الشعر العربي المعاصر لعهد الرسالة

استخدم الشعراء المعادون لدعوة الرسول ﷺ الشعر وسيلة لمهاجمته، ومهاجمة دعوته، مما دعى الشعراء المسلمين للرد عليهم كحسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، رضي الله عنهما، وغيرهما. كما استخدم الشعر بين الطرفين للتشفي والافتخار بالنصر، ومن أمثلة ذلك شعر هند بنت عتبة في وصفها لفعلها بحمزة عم رسول ﷺ بعد استشهاده في أحد، حيث قالت:

شفيت من حمزة نفسي بأحد ... حتى بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عني ذلك ما كنت أجد ... من لذعة الحزن الشديد المغتمد
السحب تعلوكم بشؤبوب برد ... تقدم إقداماً عليكم كالأسد

وهذه الأبيات تصور حادثة من أحداث السيرة، وقد تضمنت كتب الأدب والسيرة التي صنفت فيما بعد كثيراً من هذه الأشعار، التي يمكن أن يستنتج منها حقائق كثيرة، عن البيئة التي كان يعيش فيها النبي ﷺ، وترعرعت فيها دعوة الإسلام أول قيامها.

تعلّم:

الشؤبوب: دفقة المطر الشديدة.

برد: أي ذو برد، شبهت الحرب بدفقة المطر الشديدة.

نشاط

ارجع إلى سيرة ابن هشام الجزء الثالث، واستخرج أربعة أبيات من الشعر لحسان بن ثابت يذكر فيها حادثة قتلى بئر معونة.

الأسئلة

١- سمّ حدثين من أحداث السيرة تعرض لهما القرآن الكريم بالذكر، ثم اذكر النص الذي يشير إلى ذلك.

٢- علل ما يأتي:

أ - ذكر القرآن الكريم أحداث السيرة بشكل إجمالي.

ب- عدم إمكانية الاعتماد على القرآن الكريم مصدراً وحيداً للسيرة.

٣- تُعَد كتب الحديث النبوي الشريف من مصادر السيرة النبوية، وضحّ ذلك.

٤- ما الفرق بين تناول القرآن الكريم والحديث الشريف لأحداث السيرة النبوية؟

٥- كيف تعد كتب المغازي والسير من مصادر السيرة النبوية؟

٦- تُعَد كتب التاريخ أحد المصادر الرئيسة للسيرة النبوية، بينّ ذلك.

٧- لِمَ سميت كتب التراجم بهذا الاسم؟

٨- بَيِّنْ كيف أن الشعر العربي المعاصر في عهد الرسالة من مصادر السيرة النبوية.

٩- انقل العبارات الآتية إلى دفترك، وضع دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة فيما يأتي:

أ - أول كتاب في تاريخ العرب دون في عصر:

١. معاوية بن أبي سفيان. ٢. مروان بن الحكم.

٣. عبد الملك بن مروان. ٤- عمر بن عبد العزيز

ب- صاحب كتاب الطبقات الكبرى هو:

١. الواقدي. ٢. ابن سعد

٣. الطبري. ٤. ابن كثير.

تحليل الوثيقة التي نظم بها النبي ﷺ مجتمع المدينة (١)
(رابطة الإسلام هي الأساس في بناء المجتمع)

واجه النبي ﷺ بعد هجرته من مكة إلى المدينة المنورة مجتمعاً مكوناً من فئات متعددة هي:

١- فئة المهاجرين من قريش، وهم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة وأخرجوا من ديارهم وأموالهم، وصاروا بسبب ذلك فقراء، وكانوا من بطون متعددة من قريش.

٢- فئة الأنصار من أهل المدينة، وهم بطون مختلفة أيضاً، وأكثرهم من الأوس والخزرج.

٣- اليهود، وهؤلاء كانوا قبائل متعددة هم بنو النضير وبنو قينقاع وبنو قريظة.

٤- سكان المدينة المنورة من العرب غير المسلمين.

ولكي يتمكن النبي ﷺ من بناء مجتمع متماسك له كيان سياسي متميز كتب وثيقة ضمنها القواعد الأساسية اللازمة لبناء هذا المجتمع، ووضع فيها جملة من الحقوق والواجبات الضرورية لحفظ كيانه الداخلي، وأمنه الخارجي، ومن هذه القواعد ما يأتي:

رابطة الإسلام أساس توحيد المجتمع

نصت الوثيقة على أن الإسلام أساس بناء المجتمع الإسلامي الواحد، والأمة الإسلامية الواحدة، وحلّت هذه الرابطة الجديدة محل الرابطة القبليّة، ومما جاء فيها:

«هذا كتاب من محمد النبي رسول الله، بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب، ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس»[1].

إن هذا النص يجعل من المسلمين أمة واحدة يجمع أفرادها الإيمان بالله تعالى، والدين الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ، دون نظر إلى أصولهم القبليّة، أو النسبيّة، وهذا الإعلان يمثل تطوراً كبيراً حسب مفاهيم الاجتماع والسياسة، لأنه يهدف إلى تحويل المجتمع، من جماعات إنسانية مبعثرة، إلى مجتمع سياسي له كيان واحد وغاية مشتركة، يلتقون على أساس شعوري وفكري واحد، التقاء يدخل به المجتمع مرحلة التأسيس والوجود والتميز.

وهذه جماعة تقوم لأول مرة في الجزيرة العربية على غير نظام القبيلة، وهي ظاهرة يعرفها العرب في تاريخهم لأول مرة. إذ انصهرت بطون قريش في جماعة الأنصار، ثم انصهر الأنصار والمهاجرون، ومن تبع هؤلاء وهؤلاء من القبائل الأخرى، في جماعة المسلمين، وتشكلت من هذا الجمع أمة واحدة هي أمة الإسلام.

ولم تحصر الوثيقة المواطنة في الدولة الإسلامية الناشئة في المسلمين وحدهم، بل نصت على أن اليهود المقيمين في المدينة من مواطني هذه الدولة، فقالت: «**يهود بني عوف أمة مع المؤمنين**» وقد قررت الوثيقة لبقية طوائف اليهود ما قررته ليهود بني عوف.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام.

وتبيَّن لنا من قراءة نصوص الوثيقة فيما يتعلق باليهود، أن عنصر الإقليم والإقامة المرتبطة به، وخضوعهم لأحكام الوثيقة العامة، هو الذي أعطاهم حق المواطنة، وضمن لهم التمتع بالحقوق التي كفلتها الوثيقة لهم.

وقد نظمت الأحكام الشرعية - فيما بعد - أوضاع المسلمين في الدولة الإسلامية، وفصلّت ذلك كتب الفقه المختلفة تحت عنوان «أهل الذمة».

وبهذا تكون الوثيقة قد أرست القاعدة الأولى، لبناء المجتمع في الدولة الإسلامية على أساس رابطة العقيدة الإسلامية لدى المسلمين بغض النظر عن أقاليمهم، أو قبائلهم أو لغاتهم أو أصولهم، ورابطة الذمة بالنسبة لغير المسلمين على اختلاف عقائدهم.

١ - خصائص الرابطة الإسلامية

تمتاز الرابطة الإسلامية بخصائص عدة منها :

أ - رابطة ربانية: أي أنها من عند الله تعالى، لذلك جاءت منسجمة مع الفطرة الإنسانية قال تعالى:

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾(١)

ب- رابطة إنسانية: لا تضيق بالمخالفين لها في المعتقد، بل تفسح لهم المجال أن يعيشوا مع المسلمين، على أرض الدولة الإسلامية على أساس العدل.

جـ- تتسم بالسعة: بحيث تفسح المجال للبشر كلهم أن يعيشوا في ظلها مواطنين، مهما كانت أجناسهم وألوانهم.

نشاط

اذكر خاصية أخرى للإسلام كونه الرابطة الأساسية في بناء المجتمع .

د - قاعدة التقوى هي أساس التفاضل بين أفراد المجتمع الإسلامي.

ولأجل تأكيد شمولية الرابطة الدينية، لم يجعل الإسلام للعرب ميزة اختصاص بهذا الدين، في مقام انتساب الناس إليه، بل جعل ميزان المفاضلة قاعدة التقوى، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾(٢).

كما حارب الإسلام كُلَّ ما يضعف هذه الرابطة، أو يعارضها من الدعوات العنصرية أو الإقليمية قال تعالى:

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾(٣).

وقال عليه السلام: «**ما بال دعوى الجاهلية؟ دعوها فإنها منتنة**»(٤) وفي حديث آخر قال: «**ليس منا... ومن دعا بدعوى الجاهلية**» (٥).

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: (٩٢).

(٢) سورة الحجرات، الآية : (١٣).

(٣) سورة المجادلة، الآية : (٢٢).

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله إذا جاءك المنافقون.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ليس منا شق الجيوب.

٢ – آثار الرابطة الإسلامية

ظهر للرابطة الإسلامية آثار إيجابية عبر التاريخ الإسلامي منها:

أ – الحفاظ على وحدة الأمة، ووحدة الدولة في فترات طويلة من تاريخ الدولة الإسلامية.

ب – أنتجت الأمة المسلمة حضارة إنسانية رائعة، أسهمت في تقدم البشرية آنذاك، وكانت أساساً لنهضتها اللاحقة، بسبب دخول شعوب وأمم مختلفة لكل منها خصائص ومميزات وابتكارات في مجالات الحياة المختلفة.

٣– أثر التخلي عن رابطة العقيدة الإسلامية

تسبب التخلي عن رابطة العقيدة الإسلامية والتعصب إلى الروابط القومية والإقليمية والقبلية في تقسيم الدولة الواحدة إلى دويلات، وتفتيت وحدة الأمة إلى شعوب تفتخر بأعراقها، مما أدى إلى ضعف قدرات أمتنا العلمية، والاقتصادية والعسكرية. وضياع أوطانها وحقوقها. وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾[1]

نشاط

دون في دفترك أثراً إيجابياً آخر للرابطة الإسلامية، وأثراً سلبياً آخر لفقدانها.

الأسئلة

١– ما الفئات التي كانت تشكل مجتمع المدينة عند هجرة النبي ﷺ إليها؟

٢– كيف تمكن النبي ﷺ من بناء مجتمع متماسك، ذي كيان سياسي متميز في المدينة المنورة؟

٣– الإسلام أساس توحيد المجتمع ورابطته التي يقوم عليها، وضّح ذلك.

٤– ما الذي أعطى اليهود حق المواطنة في الدولة الإسلامية؟

٥– بَيِّن خصائص الرابطة الإسلامية.

٦– هات أثرين يترتبان على كون الرابطة الإسلامية هي الأساس في العلاقات الاجتماعية.

(١) سورة الأنفال، الآية: (٤٦).

تحليل الوثيقة التي نظم بها النبي ﷺ مجتمع المدينة (٢)
(التكافل والتعاون من سمات المجتمع المسلم)

درست فيما سبق، أن الوثيقة التي وضعها النبي ﷺ قررت وحدة الأمة الإسلامية، على أساس رابطة الإسلام، وأنها بذلك وحّدت الشعور الجماعي عند الأفراد، فأصبح كل فرد يحس أنه عضو في المجتمع الذي يعيش فيه، وهذا الشعور يدفع الفرد للتفاعل مع الجماعة والأمة التي ينتمي إليها، والإسهام في تحقيق آمالها ومصالحها، ولا يرى لنفسه كياناً دونها، ولا امتداداً إلا بها.

لكن الشعور وحده غير كاف، لأنه لا يسد جوع الفقير، ولا يعين محتاجاً، لذلك تضمنت الوثيقة جملة من الإجراءات العملية، التي تسهم في علاج المشكلات التي تقع بين أفراد المجتمع ، ومن تلك الإجراءات التكافل والتعاون، وفي هذا الصدد تقول الوثيقة:

«**المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين**» وقد كررت الوثيقة الأحكام نفسها مع القبائل التي ذكرتها واحدة واحدة. ومن هذه الأحكام:

١- **أقرت الوثيقة بعض الأعراف القديمة**، التي كان يتعامل على أساسها العرب قبل الإسلام وربطتها بالقيم الإسلامية إذ نصت على أن المهاجرين من قريش على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، ومعنى هذه العبارة أن المهاجرين وبني عوف يبقون على الحال التي جاء الإسلام وهم عليها من أعطاء الدّيات وأخذها.

نشاط

على أي شيء يدلك إبقاء الإسلام على عادة دفع الديات وأخذها كما كانت سائدة في الجاهلية.

٢- **وتظهر لنا سمة التعاون والتكافل حسب نصوص الوثيقة في دائرتين هما :**

الأولى: دائرة العشيرة: إذ ألزمت الوثيقة كل عشيرة أن تحمي ضعيفها، وتعينه، وأن تفك أسر أسيرها، وتتعاون في دفع ديات قتلاها. والنص السابق ألزم العاقلة بأمرين هما:

أ- التعاون في دفع ديات القتلى، وذلك لأن نظام الأسرة والقبيلة يقوم بطبيعته على التناصر والتعاون، ومن واجب الفرد في كل قبيلة أن يناصر باقي أفراد قبيلته، ويتعاون معهم على البر دون الإثم.

وتحميل العاقلة نتيجة خطأ الجاني، يحقق معنى التناصر، والتعاون تحقيقاً تاماً. فكلما وقعت جريمة من جرائم الخطأ، اتصل الجاني بعاقلته، وتعاونوا جميعاً على جمع الدّية وإخراجها من أموالهم، وذلك لا يكون إلا في جرائم القتل الخطأ فقط.

أما حكمة مشروعية نظام العاقلة فمردها أن الخطأ في الجريمة غالباً ما يكون سببه الإهمال وعدم الاحتياط، وقد يكون ذلك ناتجاً عن الشعور بالقوة بسبب اتصال الفرد بأسرته وعشيرته، ومن لا عشيرة له يكون في الغالب أكثر احتياطاً ممن له عشيرة، لذلك أوجب الإسلام على العاقلة المساهمة في دفع دية الخطأ في الغالب لعل ذلك يكون دافعاً لها على منع ابنها من التهور، ودفعه إلى مزيد من الحيطة والحذر.

نشاط

اذكر حكمة أخرى لنظام العاقلة.

ب- التعاون في فكاك الأسرى: وهذا مظهر آخر من مظاهر التعاون والتناصر. فقد يقع فرد أو أفراد من أبناء قبيلة معينة أسرى حرب، لدى أعداء المسلمين، ولا يطلقون سراحهم إلا في مقابل مال يدفع إليهم، وقد يعجز الأسير أو أولياؤه عن دفع هذا المال، لذلك أوجبت الوثيقة على أفراد القبيلة أن تتعاون في فكاك ابنها المأسور، وهذا مقتضى التناصر بينها، لذلك نصت الوثيقة: «**وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط... وكل طائفة تفدي عانيها**».

وقد كان هذا الإجراء ضرورياً في بداية نشوء الدولة الإسلامية، لقلة مواردها المالية، ولأنها في طور نشوئها، وتحتاج إلى كل جهد مالي، حتى تتمكن من مواجهة أعبائها المالية.

لكن هذا الأمر لم يعد له وجود بعد أن قويت الدولة وصارت قادرة على التعامل مع حالات الأسر بأساليب متعددة، وأصبح فكاك الأسرى من واجباتها ومهماتها الأساسية.

ثانياً: دائرة المجتمع: ذكرت الوثيقة صوراً عدة للتعاون بين أفراد العشيرة لا تلغي التعاون العام بل تؤكده وتقويه، وهو أوسع مجالاً، وأشمل لفئات المجتمع، وفي ذلك تقول الوثيقة. «**وأن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل**».

والمفرح: هو الشخص الذي يتحمل ديوناً كثيرة بسبب قتل خطأ تلزمه بسببه الدية، أو بسبب فداء أسير أو أسرى له، أو لأي سبب مشروع غير ذلك.

٣- **الأولويات في التكافل**: لم تذكر الوثيقة التعاون في فكاك الأسير، أو دفع دية، بين أفراد المجتمع إلا بعد أن قررت ذلك على أفراد العشيرة أولاً، لأن الواجب لا ينتقل إلى المجتمع إلا بعد عجز عشيرة المثقل بالدين عن الوفاء به، والدولة هي التي تمثل المجتمع، وتنفذ التكافل فيه على نحو يحقق العدل بين أفراده ولذلك نصت الوثيقة أن يكون ذلك بالمعروف.

تعلّم:

ربعتهم: ما استقر لديهم من أعراف حسنة.

العاقلة: من يحمل العقل، أي الدّية، وسميت، الدّية عقلاً لأنها كانت تدفع عند العرب من الإبل، وكان الجاني يكلّف أن يسوق الإبل إلى بيت أولياء المقتول، وهي معقولة: أي مربوطة الأيادي. والعاقلة: هم عصبات الرجل، كابنه وأبيه وإخوانه وأعمامه....

العاني: الأسير.

نشاط

دوّن في دفترك ثلاث صور للتعاون أو التكافل السائدة بين فئات المجتمع الأردني حالياً.

الأسئلة

١- وَضِّح العبارة الآتية: «**المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم**».
٢- كيف حقّق الإسلام التكافل في مجال الأسرة؟
٣- كيف حقّق الإسلام التعاون في دائرة المجتمع ؟
٤- مِنْ أسس التكافل في الإسلام توزيع المسؤوليات، وَضِّح ذلك.

يشكل المسلمون غالبية السكان في الدولة الإسلامية، ويشاركهم الإقامة فيها غير المسلمين، من أهل الذمة، لأن من سمات هذا الدين أن لا يمنع التعايش مع غير المسلمين على أساس من الحق والعدل، وقد أكّدت الصحيفة هذا المعنى، فلم تحصر حق المواطنة في المدينة المنورة التي قامت فيها أول دولة للإسلام بالمسلمين وحدهم، بل نصّت صراحة على أن اليهود والمقيمين في المدينة المنورة أمة مع المؤمنين، وحدّدت لهم من الحقوق والواجبات، ما قرّرته للمسلمين بصفة عامة فقد جاء فيها:

«**وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته**». ومعنى يوتغ: يهلك.

وما قررته الوثيقة ليهود بني عوف قرّرته كذلك لكل قبائل اليهود فقالت: «**وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف...**».

وهكذا حتى شملت جميع قبائل اليهود في المدينة المنورة.

فما الحقوق والواجبات التي أكدتها الوثيقة لغير المسلمين، ورتبت تبعاتها على جميع أطرافها؟ هذا ما سنجيب عليه في النقاط الآتية:

١ – ضمنت الوثيقة لليهود حق التدين حسب شعائر دينهم :

«**لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم**» فهم أحرار في البقاء على عقيدتهم، وأن الدولة مكلفة بحماية هذا الحق لهم، ومنع التعرض لهم بالإكراه على ترك دينهم ما داموا مقيمين على أرض الإسلام، ويعيشون مع المسلمين في إطار حكم الإسلام وسيادة شرعه.

وهذا الحق كفله القرآن الكريم، ونص عليه في أكثر من آية كقوله تعالى:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[1]

وهو ثابت أبداً لكل من يقيم مع المسلمين على أرض الدولة الإسلامية، من غير أهل ملتهم، يهوداً كانوا، أو نصارى أو مجوساً، أو غيرهم. فقد جاء في عهده ﷺ لأهل اليمن: «**إنه من كان على يهوديته أو نصرانيته لا يفتن عنها**».

وكما أثبتت الوثيقة لليهود، ولكل من يقيم مع المسلمين في الدولة الإسلامية حق الاعتقاد، فإنها أوجبت عليهم في مقابل ذلك أن يحترموا عقيدة المسلمين وأن لا يتعرضوا لها بسوء.

وقد قرّر الإسلام هذا الحق منذ ظهوره، وأقامه على أساس من التسامح والعدل، ورتّب على من ينتهك حرمته عقوبة، فقالت الوثيقة مقررة هذا المبدأ: «**لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم**

---

(١) سورة البقرة، الآية : (٢٥٦).

وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته» فمن انتهك حرمة عقائد الآخرين، فإنه يعرّض نفسه للهلاك، ويضيع بهلاكه أهل بيته.

إن الإسلام يوم قرّر هذا المبدأ، كان يسود العالم آنذاك موجات من التعصب والاضطهاد للمخالفين في المذهب، حتى ضمن الدين الواحد، أما المخالفون للمعتقد فقد كانوا يتعرضون لموجات من القتل والهلاك، لقد خيّرت الدولة الرومانية رعاياها في فترة من الفترات بين الدخول في النصرانية أو القتل، ولما تبنت المذهب «الملكاني» أقامت المذابح لكل من لا يدين به من المسيحيين اليعاقبة وغيرهم.

وما زالت موجات التعصب الديني والمذهبي تسود بقاعاً شتى في العالم ويذهب ضحيتها الآلاف من البشر، لا لشيء إلا لمخالفتهم لهم في الدين.

٢- أرست الوثيقة قاعدة المساواة في الأمن الداخلي

الأمن الداخلي يعني شعور أفراد المجتمع بالأمان على أنفسهم، وأعراضهم وأموالهم، وهذا الحق يثبت لجميع أفراد المجتمع المقيمين على أرض الدولة الإسلامية، مسلمين وغير مسلمين، وحتى يتحقق في الحياة العامة لا بد أن تتعاون فئات المجتمع وطوائفه مع الدولة التي ترعى مصالحهم في إرساء قواعد الأمن. ولذلك نصت الوثيقة على جملة من الواجبات التي ينبغي على أفراد المجتمع القيام بها، والتعاون في تحقيقها ومن أهمها :

أ- التعاون في منع الظلم، والفساد، والعدوان الواقع من الأفراد، وفي هذا تقول الوثيقة: «**وإن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثماً، أو عدواناً، أو فساداً بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم**».

هذا النص يوجب على المؤمنين، أن يتعاونوا كلهم في منع الظلم، وأن يمنعوا الظالم من ظلمه، وأن يقفوا في وجه من يسعى بين أفراد المجتمع بالفساد والعدوان، كائناً من كان، ولو كان ولد أحدهم.

كما أن النص لا يحابي أحداً باستثناء خاص، بل يوجب على الجميع حكماً واحداً يرسي مبدأ المساواة، وهو أحد عوامل تحقيق الأمن لجميع أفراد المجتمع.

ب- التكافؤ في الدماء، أثبتت الوثيقة لأطرافها أماناً على أنفسهم، وأموالهم وأعراضهم، ما داموا مقيمين لأحكامها، مراعين للحق والعدل في تصرفاتهم فقالت: «**وإنه من خرج آمن، ومن قعدا آمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم، وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم**».

فالنص يثبت عصمة الدماء لكل أطرافها، وحمايتها من العدوان فهم سواء في ثبوت العصمة.

وقد قرّرت الوثيقة هذه المساواة في الدماء من وجه آخر فقالت: «**وإن المؤمنين يبيء بعضهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل الله**» أي يتعادلون في الدماء، إذ النفس البشرية واحدة في منظار الشرع، لها نفس الحرمة والحماية، من غير فرق بين غني وفقير، أو شريف وحقير، أو بين صغير وكبير، أو بين ذكر وأنثى.

جـ- وجوب القصاص على القاتل في القتل العمد: بعد أن قررت الوثيقة المساواة في العصمة والدماء. ذكرت وجوب القصاص على من قتل غيره عامداً من غير حق فقالت: «**وإنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بينة، فإنه قود به، إلا أن يرضى ولي المقتول، وأن المؤمنين علية كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه**».

وكما أوجبت القصاص في القتل العمد، فقد أوجبت الوثيقة على المؤمنين التعاون في تسليم الجاني للعدالة، وتمكين ولي المقتول من حقه، فإن شاء اقتص منه، وإن شاء عفا عنه.

د - التعاون على منع مثيري الفتن، أكدت الوثيقة على أطرافها التعاون على منع من يثير اضطراباً، أو يثير العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع وأنه لا يحل لأي فرد أن يحمي شخصاً صاحب فتنة فقالت: «**وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر محدثاً، ولا يؤويه، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرفٌ ولا عدل، فمن خالف هذا الحكم، فآوى صاحب الفتنة فإنه مستحق لغضب الله في الآخرة، ولا يقبل الله تعالى منه جزاء جريمته هذه، فداء أو توبة**»، وهذا يدل على شناعة هذا الفعل وعظيم جرمه.

هـ - السيادة للشرع والمساواة أمامه، وحددت الوثيقة أن المرجع في بيان الحق والفصل في الخصومات، هو رسول الله ﷺ، بوصفه أعلم الناس بالشرع، وأعدل الناس في القضاء، كما حددت كذلك القانون الذي يسري على كل نزاع، وأنه شرع الله الثابت بكتابه وسنة نبيه ﷺ، وأن حكم الشرع نافذ في كل من يخالف مسلماً أو يهودياً. وما ذكرته الوثيقة في هذا المجال: «**وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله وإلى محمد**» وفي موطن آخر: «**وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره**».

فهي دولة يحكمها الشرع، وتسري أحكامه على كل مخالف مقيم على أرض الإسلام، وعلى كل من كان طرفاً في هذه الوثيقة، من غير استثناءات، هذا وقد ساوت الوثيقة بين المسلمين واليهود المقيمين معهم في مجتمع المدينة آنذاك فنصت على: «**أنه من تبعنا من يهود فإن له النصرة والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم**».

وبهذه المبادىء الراقية تتحقق المساواة بين أفراد المجتمع، وتستقر أمور الجماعة، ويأمن أفرادها.

الأسئلة

١- حق المواطنة في الدولة الإسلامية لا يقتصر على المسلمين وحدهم، بَيِّن ذلك.

٢- الحرية الدينية من الحقوق التي منحت لليهود في الدولة الإسلامية، وَضِّح ذلك.

٣- ما الأساس الذي قام عليه مبدأ حق الاعتقاد في الإسلام؟

٤- عدِّد ثلاثة من الواجبات التي ينبغي القيام بها لتحقيق الأمن الداخلي في المجتمع؟

٥- من مظاهر قاعدة المساواة في الأمن الداخلي المساواة أمام القانون، وَضِّح ذلك.

٦- ما مخاطر مثيري الفتن على المجتمع من وجهة نظرك؟

٧- ما أهمية التكافؤ في تشريع القصاص من وجهة نظرك؟

تحليل الوثيقة التي نظم بها النبي ﷺ مجتمع المدينة (٤) (وجوب التعاون في حماية الدولة من العدو الخارجي)

تبيّن لك في الدرس السابق، كيف أن الوثيقة اهتمت بالأمن الداخلي، فبيّنت الحقوق والواجبات لأطرافها، وفي هذا الدرس نبين ما أوجبته على أطرافها من التعاون على حماية الدولة والمجتمع ، من العدو الخارجي، ومما جاء فيها في هذا الموضوع .

«**وأن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم**» .

وهذا النص يقرر أموراً عدة منها :

١- أن أمن المجتمع واحد، وأنه لا يجوز لأحد من أفراده أن يعرّض هذا الأمن للخطر، وبناء على ذلك، فقد حظرت الوثيقة على أي فرد من المؤمنين، أن يسالم عدواً في أثناء القتال في سبيل الله دون علم المقاتلين معه، إذا لزم عن هذه المسالمة تعريض أمن إخوانه للخطر، أو تضييع مصالحهم، أما إذا كان سلمه لا يؤدي إلي تعريض المقاتلين للخطر أو تضييع مصالحهم، وأقروه على ذلك فإن عقده مع هذا العدو يعد صحيحاً نافذاً عليهم جميعاً، وهذا يدل عليه قول الصحيفة: «**إلا على سواء وعدل بينهم**» .

٢- أجازت الصحيفة أمان الأفراد، ومعناه: أن يمنح المسلم فرداً من المحاربين غير المسلمين أو أفراداً محصورين منهم أماناً على أنفسهم وبه تثبت عصمتهم ويمتنع قتلهم أو التعرض لهم بسوء، فقالت: «**وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس**» .

فإذا أعطى فرد من المسلمين، أماناً لفرد من المحاربين، فإنه يصبح بذلك آمناً، لا يجوز لأي فرد من أفراد المجتمع أو أفراد الجيش أن يقتله، أو يتعرض له بسوء، غير أن ذلك مقيد بعدم الإضرار بالمسلمين، ويفهم هذا القيد من النص السابق «**إلا على سواء وعدل بينهم**» .

٣- منعت الصحيفة إجارة المشرك لقريش وأموالها وأبطلتها فقالت: «**وأنه لا يجير مشرك مالاً ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن**» ومعنى لا يجير، أي لا يحمي، بقوله: هو في جواري، أي في حمايتي.

وقد كانت العرب، ولا زالت تستخدم كلمة «هو في جواري» لتأمين الحماية للمستجير فأبطل النبي ﷺ جوار المشرك، في حق قريش خاصة، لأنه لا يتوخى في أمانه هذا مصلحة المسلمين، وبالتالي فلو أجار فرداً من قريش، أو مالاً لها، فإنه باطل، لا يترتب عليه أثر، ولا يحول ذلك دون المؤمنين في مقاومة المعتدين من قريش، أو الاستيلاء على أموالهم، وهم الذين أخرجوا المؤمنين من ديارهم وأموالهم.

٤- أوجبت الوثيقة على اليهود، أن يكون عدو النبي ﷺ والمسلمين عدواً لهم، خاصة قريش، فليس لهم أن يجيروا قريشاً، ولا من نصر قريشاً.

وقالت الوثيقة «**فلا تجار قريش**» ولا من نصر قريشاً لأنها حاربت دعوة الله وآذت المؤمنين، وتمنع من آمن بالله أن يمارس حريته الدينية.

٥- أوجبت الوثيقة على المسلمين واليهود، أن يتعاونوا في حماية المدينة، والدفاع عنها، ضد كل عدو يحاول دخولها، أو الاعتداء عليهم. وفي هذا تقول الوثيقة: «**وإنّ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإنّ بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم**» وفي موطن آخر «**وإنّ بينهم النصر على من دهم يثرب**».

٦- قررت الوثيقة، أن المسلمين إذا عقدوا صلحاً مع عدو لهم، وكان فيه مصلحة، أو كان فيه دفع مفسدة راجحة، فإن أحكام هذا الصلح وشروطه تسري على اليهود بوصفهم جزءاً من المجتمع في المدينة المنورة، وكذلك فإن اليهود إذا عقدوا صلحاً مع عدو لهم وكان فيه مصلحة ظاهرة لهم، فإن آثاره تسري على المسلمين كما تسري عليهم، وقد نصت الوثيقة على هذا فقالت: «**وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه**[1] **فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك، فإنّه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين**». وقول الصحيفة "**إلا من حارب في الدين**"، قيد على الصلح، وأنه لا ينبغي أن يتم مع من حارب الدين، ومنع دعوة الله من الظهور.

وهكذا فإنّ الوثيقة قد ساوت بين المسلمين واليهود في الحقوق والواجبات العامة، وجعلت الفريقين أهل ولاء واحد، وعدوهم واحد، ويلزمهم جميعاً التناصر والتعاون حتى يتحقق الأمن والأمان للجميع، فمن حارب فريقاً من أهل المدينة، فقد حارب المدينة كلها.

وهذه الأحكام قد جرى الاتفاق عليها بين المسلمين واليهود، وعُدَّت بمثابة العقد الذي تسري أحكامه على كل من أطرافه، ومن خالفه فقد نقضه واستحق العقوبة.

نشاط

اكتب في دفترك ثلاثة أضرار على المجتمع تنتج من نقض أحد طرفي الوثيقة العقد.

الأسئلة

١- اهتمت الوثيقة التي نظمت المجتمع الإسلامي بأمنه الخارجي، هات شاهدين من الوثيقة يدلان على ذلك.

٢- قررت الوثيقة أن الأمن الخارجي للمجتمع يجب الحفاظ عليه، وضّح ذلك.

٣- ما المقصود بالأمان، وما الذي يترتب عليه؟

٤- لم منعت الوثيقة إجارة المشركين؟

٥- ساوت الوثيقة بين المسلمين واليهود في الحقوق والواجبات، اذكر ثلاثة منها.

---

(١) اي يشتركون فيه (وهم اليهود).

الدرس السابع

تحليل خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع (١)
(من مقاصد الإسلام حماية الأنفس والأعراض والأموال)

حجّ رسول الله ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة، وكانت الحجة الأولى والأخيرة في حياته، وحجَّ معه في تلك السنة خلق كثير من المسلمين، بلغ مائة ألف أو يزيدون قدموا من أنحاء الجزيرة العربية ليتعلموا من نبيهم مناسك الحج، ويأتموا به، وخطب فيهم في يوم عرفة خطبة عظيمة، ضمّنها أهم مبادىء الإسلام التي تحفظ كيان الأمة، وشخصيتها، وتحقق مصالح المجتمع والأفراد، كما هدم فيها أهم قواعد الجاهلية.

ومما جاء فيها التأكيد على حماية الأنفس، والأعراض والأموال وصيانتها، وهي أمور لا يقوم كيان مجتمع أو دولة إلا على أساس رعايتها، وصيانتها من الهدم والإفساد، وفي ذلك قال ﷺ: «**أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**».

وذكر البخاري أن النبي ﷺ خطب الناس يوم النحر في منى وذكر مثل مقالته وزاد فيها «**وأعراضكم**»[1].

وقد تضمنت هذه الوصية التأكيد على حرمة ثلاثة أمور:

١ – حرمة الأنفس

إن حفظ الأنفس من أهداف الإسلام، ومقاصده الكبرى التي توخاها في تشريعاته، فالحياة الإنسانية لا تتحقق إلا بالحفاظ على النفوس، وقد اتفقت جميع الشرائع الإلهية، والقوانين الوضعية على وجوب صيانتها وحمايتها من الهلاك، وسنت التشريعات التي تحرم قتل الإنسان بغير حق وتعاقب عليه، وتحرِّم العدوان على أي عضو من أعضاء جسم الانسان. ويظهر ذلك من خلال الأمور الآتية :

أ- جعل الإسلام قتل نفس واحدة كقتل الناس جميعاً، وإحياء نفس واحدة كإحياء الناس جميعاً، قال تعالى:

﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[2]

إن هذه الآية الكريمة تبين حرمة النفس الإنسانية، وبشاعة الجريمة في العدوان عليها، ونظراً لهذه الحرمة أراد النبي ﷺ في حجة الوداع أن يؤكدها على ملأ من هذه الجموع الغفيرة فربطها بحرمة شهر ذي الحجة، وحرمة يوم عرفة، وحرمة الكعبة، إذ قال: «**أيها الناس أتدرون في أي شهر أنتم، وفي أي يوم أنتم، وفي أي بلد أنتم؟ قالوا في يوم حرام، وشهر حرام، وبلد حرام، قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، إلى أن تلقوه**».

لقد ربط ﷺ تحريم النفس بأمور معظَّمة في نفوس المؤمنين، ولقد بين أن حرمتها أعظم منها جميعاً، لأن الزمان والمكان مسخران للإنسان، وخلقا لأجله.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى.

(٢) سور المائدة، الآية: (٣٢).

إن في تأكيد حرمة النفس على هذا النحو تحريماً للاستهتار بالحياة الإنسانية بالعبث والطيش الذي قد يظهر في حوادث السير المروّعة، وفي إطلاق النار في المناسبات والأعراس.

ب- جعل الإسلام العدوان على النفس جريمة، ورتب على ذلك عقوبات زاجرة، فقال تعالى:

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١)

لذلك أبطل النبي ﷺ عادات الجاهلية كالثأر من غير القاتل، أو قتل أشخاص آخرين مع القاتل مع أفراد قبيلته، أو أقربائه، فقال: «**ألا وإن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا، دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب...**».

وبذلك أبطل ﷺ إحدى العادات الجاهلية التي كان يذهب ضحيتها أنفس بريئة ظلماً وعدواناً. وجعل مكان تلك العادة تحت موطىء الأقدام. لأنها أعمال تستنزف طاقات المجتمع وتقوض أمنه وتبعده عن مسارات التقدم الحضاري والإنساني الذي جاء به الإسلام. ونادى به نبيه ﷺ.

نشاط

ماذا تفهم من قوله ﷺ: «وإن أول دم أضع من دمائنا، دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب».

٢- حرمة الأموال

فقد أكد النبي ﷺ أن للمال حرمة كحرمة الأنفس، إذ جمعها في سياق واحد فقال: «**إنّ دماءكم وأموالكم حرام عليكم**».

وقد قرّر القرآن الكريم هذا المبدأ فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾(٢)

فقد نهانا أن ندفع أموالنا للذين يتصرفون بها خلاف مقتضى العقل السليم، وخلاف مقتضى الشرع لأنها تقوم بها حياتنا. ونهى القرآن الكريم كذلك أولياء الأيتام، أن يدفعوا لهم أموالهم، قبل بلوغهم سن الرشد، لأنهم سيضيعونها، لعدم قدرتهم على التصرف بها، ومن ناحية أخرى فقد أضاف الله تعالى الأموال إلى الأولياء للدلالة على أن هذه الأموال هي من أموال الأمة التي يجب المحافظة عليها.

وهذا المعنى يمكن إدراكه من خلال النظر. فالطعام والشراب، والكساء والسكن كلها أموال، وكلها ضروري للحفاظ على النفس البشرية، والنقود وسيلة لشراء السلع والخدمات وهي ضرورية كذلك، والأموال في خزينة الدولة ضرورية، حتى تتمكن الدولة من القيام بمصالح الناس، والدفاع عنها وحمايتها، لذلك أثبت النبي ﷺ للمال، ما أثبته للنفس من حرمة، وجعل الإسلام حفظه من مقاصده الضرورية، وشرع لذلك وسائل منها:

أ - تنميته وتكثيره بكل الوسائل المشروعة كالتجارة، والزراعة، والصناعة.

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٧٩).

(٢) سورة النساء، الآية: (٥).

ب- تحريم إتلافه، أو التسبب في ضياعه، أو الإسراف فيه أو العدوان عليه بالسرقة أو الغصب أو الرشوة أو غير ذلك.

جـ- رتب الشارع على كل مخالف لأحكام الشرع، في حفظ المال جزاءات دنيوية كالحجر على السفهاء، وقطع يد السارق، ومعاقبة الغاصب والمرتشي، ومعاقبة قطّاع الطرق الذين ينهبون أموال الناس بالقوة.

٣- حرمة الأعراض

عِرض الإنسان سمعته وشرفه، وسمعة الإنسان جزء من شخصيته وكيانه، ولذلك أكد النبي ﷺ حرمة الأعراض في سياق خطبته وجعل لها في الحرمة مثل ما جعل للنفس والمال فقال: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام**.....».

وقد جعل الإسلام حفظ العرض من الضروريات، لأن به تحفظ الأنساب، ويحفظ النسل الذي هو سبب استمرار الوجود الإنساني كله. وشرع لذلك من الأساليب التي تكفل بقاء الجيل واستمرار وجوده معافى، سليماً من العلل والأمراض ومن الأساليب التي اتخذها الإسلام لتحقيق ذلك ما يأتي:

أ - شرع الزواج وسهل السبل إليه، وحث عليه، وهو الطريق الطبيعي لبناء الأسر والمجتمعات.

ب- شرع جملة من الأساليب الوقائية، التي تمنع الوقوع في جريمة الزنا أو تقلل منها إلى الحد الأدنى، فأمر بستر العورة، وغض البصر، وحرم الخلوة، ومنع المرأة من السفر وحدها إلا مع محرم، وحرم عليها كل عوامل الإثارة كالتبرج وغيره.

جـ- منع الإسلام الوقوع في أعراض الناس بالكلام، كالقذف والغيبة، وجعلها من الكبائر، كما حرم الزنا.

د - سن العقوبات الرادعة الكفيلة، بمنع الاعتداء على أعراض الناس فقال تعالى:

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾[1]

وقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً ﴾[2]

فالنبي ﷺ حين حرّم الدماء والأموال والأعراض، إنما أكد على حماية أركان الحياة الإنسانية، والإبقاء عليها سليمة من كل ما يكدرها أو يسيء إليها ليعيش الناس آمنين يحققون وجودهم الحضاري في الحياة.

نشاط

هناك عادات لها آثار سلبية على حياة الأفراد والمجتمعات، اكتب ثلاثة منها، وبيّن آثارها السلبية على الفرد والجماعة.

---

(١) سورة النور ، الآية: (٢).

(٢) سورة النور، الآية (٤).

الأسئلة

١- لماذا بدأ النبي ﷺ بالنص على حرمة الأنفس والأموال والأعراض؟

٢- ما الأمور التي ضمّنها النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع؟

٣- على ماذا يدل اتفاق الشرائع والقوانين كافة على حرمة الأنفس؟

٤- اتخذت الشريعة الإسلامية أساليب لحماية الأنفس، بين ثلاثة من هذه الأساليب.

٥- حِفْظُ المال من مقاصد الشريعة، وَضِّح كيف عملت الشريعة على تحقيق هذا المقصد.

٦- لِمَ جعل الإسلام حفظ العرض من الضروريات؟

٧- شرع الإسلام من الأساليب ما يكفل بقاء الجيل واستمرار وجوده معافى سليماً، عدّد ثلاثة من هذه الأساليب.

٨- لماذا منع القرآن الكريم إعطاء اليتامى أموالهم قبل سن الرشد؟

الدرس الثامن
تحليل خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع (٢)
(تحريم الربا)

من الأمور التي تناولها النبي ﷺ في خطبته في حجة الوداع تحريم الربا، وقد عرفت معنى الربا بأنه الزيادة لأحد العاقدين، في عقد المبادلات المالية، من غير أن يكون لها مقابل.

وقد ذكَّر النبي ﷺ المسلمين أن الربا من أعمال الجاهلية، التي لا بد لهم من الإقلاع عنها، ولذلك قال ﷺ في خطبة الوداع:

«وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع، ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله».

وبذلك أسقط النبي ﷺ بوصفه نبي هذه الأمة وقائدها ربا الجاهلية، أي كل زيادة شرطت على أصل الدَّيْن، ولذلك فلا يكون للدائن إلا رأس ماله، من غير زيادة، وهذا المعنى هو الذي جاء القرآن الكريم بتقريره فقال تعالى:

﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾(١)

وابتدأ ﷺ بإسقاط ربا أقرب الناس إليه عمه العباس بن عبد المطلب، ليكون قدوة في ذلك، وليؤكد أن حكم الشرع يجب أن ينفذ على الجميع، من غير تفريق.

وقد أسقط النبي ﷺ بهذا الإعلان جميع صور الربا، سواء أكان ربا فضل، أم ربا نسيئة.

وهذا النوع من الربا- ربا النسيئة- هو الذي يشيع التعامل به في زماننا هذا من خلال المؤسسات الربوية «كالبنوك»، وهو الذي جاء النص بتحريمه، وخصّه النبي ﷺ بالوضع تحت قدميه، وقد شن القرآن الكريم حملة على المتعاملين بالربا، وصورهم بأبشع صورة، قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾(٢)

وهددهم بالحرب إن لم ينتهوا فقال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ .... ﴾(٣)

حرّم الإسلام الربا حماية للمجتمع من ظلم المرابين، لأن المستقرض بالربا إما أن يكون فقيراً، أو محتاجاً يريد المال لسد حاجاته، وإما أن يكون غنياً يريد المال لدعم مشروعاته الاقتصادية وتنمية ثروته.

فإن كان فقيراً أو محتاجاً، فإن إقراضه بالربا يضاعف مشكلته، بعد مرور الزمن، وحلول موعد السداد، وإن كان في ظاهره يسد حاجة الفقير العاجلة، لأن الفقير إن عجز عن السداد في الموعد المحدد، وأعطي مهلة

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٧٩).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢٧٥).

(٣) سورة البقرة، الآيتان: (٢٧٨ - ٢٧٩).

أخرى، فسيتضاعف عليه المبلغ، بفرض زيادة أخرى مقابل التأجيل، وهكذا حتى يستسلم في النهاية ويبيع بيته، أو أرضه، أو يسجن.

وهذا الوضع ظلم يأباه الإسلام، ويتنافى مع قيمه وأخلاقه، لذلك حرّم الله الربا وأباح القرض الحسن، وندب إليه، لأنه الحل الأعدل والأنسب للفقير، كما ندب الدائنين إلى إنظار المعسرين من غير زيادة بل ندبهم إلى إسقاط ديونهم، فقال تعالى:

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1]

وإن كان الذي يقترض بالربا غنياً، يأخذ المال لاستغلاله في تجارة، أو صناعة أو زراعة فبأي حق يستحق المقرض الزيادة على رأس المال الذي دفعه إلى المقترض؟ إنها مقابل الزمن فقط والزمن لا قيمة له في ذاته، وإنما تقاس قيمته بمقدار الجهد الذي يبذل فيه.

والتاجر حين يبذل جهده في المال يتعرض للربح والخسارة، بينما المرابي لا يتعرض للخسارة أبداً، لأنه يأخذ الزيادة دائماً خسر المقترض أو ربح، وليس في ذلك عدل بل هو ظلم، لذلك منعه الإسلام، وحل المشكلة عن طريق إباحة شركة المضاربة.

نشاط

بين المقصود بشركة المضاربة في الإسلام، واذكر صوراً عملية من المجتمع .

لقد أذل الاقتراض بالربا شعوباً ودولاً، حتى فقدت إرادتها السياسية ودفعت قوت شعوبها ثمناً لفوائد القروض، من خلال الضرائب وغلاء الأسعار، وما زال الربا أحد العوامل الرئيسة، في اضطراب الاقتصاد العالمي، من كساد، وتضخم، وبطالة، وهو أحد العوامل التي تؤدي إلى انتزاع الثروة، من أيدي أكثر الناس، وحصرها في أيدي فئة قليلة، هم المرابون، فأي عدل يمكن تصوره مع وجود هذه الاختلالات.

لذلك استحق الربا أن يوضع تحت الأقدام كما فعل به النبي ﷺ.

نشاط

ارجع إلى كتاب الربا لأبي الأعلى المودودي أو غيره، واستخرج ثلاثة أضرار اجتماعية للربا.

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٨٠).

الأسئلة

١- عَرِّف الربا لغة وشرعاً.

٢- لِمَ ابتدأ النبي ﷺ بإسقاط ربا عمه العباس رضي الله عنه؟

٣- الربا في الجاهلية على صورتين، بيّنهما.

٤- أيُّ صورة من صور الربا أكثر شيوعاً في زمننا هذا؟

٥- عدد ثلاث من حكم تحريم الربا.

٦- كيفَ عالج الإسلام مشكلة المدين المعسر؟

الدرس التاسع

تحليل خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع (٣)
(التوصية بالنساء خيراً وبيان حقوقهن وواجباتهن)

كانت تقاليد الجاهلية تقتضي إهمال شأن المرأة، وعدم الاعتراف بحقوقها، ولما جاء الإسلام أعلن إنسانيتها، وقرّر أهليتها الحقوقية كاملة، ودفعها لتكون عنصراً فعالاً في بناء المجتمع ونهوض أبنائه، من غير أن تطالب هي بحقوقها، أو تعقد المؤتمرات لذلك، فعندما ألقى النبي ﷺ خطبته في حجة الوداع، خصص جزءاً منها للحديث عن المرأة الزوجة، فأوصى بها خيراً. وبيّن ما لها من حقوق على زوجها وما عليها من واجبات تجاهه، وكان مما قال في خطبته تلك:

«**أما بعد أيها الناس، فإن لكم على نسائكم حقاً، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن، فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاعقلوا أيها الناس قولي....**».

والحكمة من تخصيص النبي ﷺ المرأة بالذكر، راجع إلى كون المسلمين لا يزالون قريبي عهد بالجاهلية وتقاليدها، التي لا تعترف للمرأة بحق، وخوفاً من تأثير تلك التقاليد على معاملة الأزواج لزوجاتهم أكد النبي ﷺ ما لها من حقوق، وما عليها من واجبات، وأوصى بها خيراً، نبذاً للجاهلية وتقاليدها الجائرة، وتذكيراً بأهمية اتباع تعاليم الشرع.

نشاط

اذكر حكمة أخرى لهذا التخصيص.

ومن أهم المبادىء التي تضمنتها وصية النبي ﷺ بالنساء في خطبة الوداع.

١- لكل من الزوجين على الآخر حقوق وعليه واجبات له، إذ أكد النبي ﷺ في قوله: «**فإن لكم على نسائكم حقاً، ولهن عليكم حقاً**» أن للأزواج على زوجاتهم حقوقاً، ولهن كذلك عليهم حقوقاً، فالحق لا يستأثر به الزوج دون زوجته، ولا الزوجة دون زوجها، وكل حق ثابت لأحدهما يعد واجباً على الآخر، والحياة الزوجية السليمة لا يقوم بنيانها إلا على أساس من بيان هذه الحقوق، ومعرفتها وأدائها، ومتى قامت الحياة الزوجية على أساس احترام كل طرف لحق الآخر، فإن أوضاع الأسرة تستقر، وتصبح الحياة في ظلها أكثر سعادة واطمئناناً لكل أفرادها.

٢- الشرع وحده هو صاحب الاختصاص، في بيان الحقوق الزوجية، لذلك تكفّل النبي ﷺ بوصفه مبلغاً عن ربه ببيان أهم هذه الحقوق، وهي كما يأتي:

أ - حق الزوج على زوجته: ذكر النبي ﷺ للزوج حقين على زوجته، وهما واجبان عليها من جانب آخر هما:

الحق الأول: أن لا تأذن لأحد بدخول بيت الزوجية، والجلوس فيه، إذا كان الزوج يكره دخوله، أو صارحها بكراهيته لدخوله إلى منزله، سواء أكان المأذون له رجلاً أجنبياً، أم أحد أقارب الزوجة، أو كانت امرأة، فإن عرفت أن زوجها لا يكره دخوله إلى بيته، فإن لها أن تأذن شريطة الالتزام بالضوابط الشرعية.

وهذا الحق أثبته النبي ﷺ بقوله: «**ولكم عليهنَّ أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه**» إن هذا التوجيه النبوي الكريم يتناسب مع حق الرجل في حمايته لبيته، فقد يرى في إدخال الأشخاص إلى منزله عاملاً من عوامل الخلاف بينه وبين زوجته، أو من عوامل إفساد تربية أبنائه، أو سبباً للريبة والشك، لذلك جعل الإسلام له هذا الحق، حماية للعلاقة الزوجية من كل ما يكدرها.

الحق الثاني: للزوج على زوجته حفظ نفسها، من كل فعل سيء، أو قول سَيء، وهذا يتطلب منها المحافظة على طهارتها، وعفتها، وعرضها وسمعتها.

وهذا يقرّره قول النبي ﷺ: «**وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة**» والفاحشة كل فعل أو قول سيء.

ومن الأفعال السيئة المقبوحة شرعاً وعقلاً عادة الزنا، أو خروج الزوجة مع الرجال غير المحارم، والخلوة بهم، أو السفر معهم.

ومن الأقوال السيئة: البذاءة في مخاطبة زوجها، أو تحقيره، أو التقليل من شأنه. فالمرأة مأمورة أن لا تأتي بفاحشة طاعة الله تعالى وحفظاً لحقوق زوجها، ولا نتصور أن تقوم حياة زوجية كريمة يهدر فيها هذا الحق، أو يهمل من قبل الزوجة.

ب - حق الزوجة على زوجها: قرّر النبي ﷺ في وصيته بالنساء حقين للزوجة على زوجها هما :

الحق الأول: حق النفقة، فالنفقة واجبة على الزوج للزوجة، سواء أكانت للطعام، أو الكسوة أو السكنى أو غير ذلك، مما تكفّلت الشريعة ببيانه، وهذا واضح في قوله ﷺ: «**فلهن عليكم رزقهم وكسوتهن بالمعروف**».

وقوله ﷺ: «**بالمعروف**» يعني أن حقها بالنفقة يكون حسب حال الزوج من فقر أو غنى، وفي تقرير هذا القيد حماية للزوج من طلبات الزوجة المرهقة، وحماية للزوجة من شح الزوج وبخله.

وقد قرر القرآن الكريم هذه القاعدة بقول الله تعالى:

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾ (٣)

نشاط

اقرأ نص وصيته ﷺ بالنساء ثم استخرج الحكمة في تكليف الزوج بالنفقة على زوجته، دون أن يكلف الزوجة بالإنفاق على نفسها.

---

(١) سورة الطلاق، الآية: (٧).

الحق الثاني: المعاشرة بالمعروف. والمقصود بها المعاملة وهذا يفهم من قوله ﷺ «**استوصوا بالنساء خيراً**» والمعاشرة الحسنة حق مشترك بين الزوج وزوجته، غير أن الشرع خاطب الأزواج به، وجعله حقاً للنساء، قال تعالى: ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ** ﴾[1] لأنهم القوامون على شؤون زوجاتهم، ولأن سوء العشرة يقع غالباً من الأزواج.

٣- وقد جعل الشرع قيادة الأسرة في يد الزوج، ليتمكن من رعايتها، والمحافظة على استمرارها، ولذلك فقد جعل للزوج صلاحية تأديب الزوجة إذا قصرت في حقوقه وأصرت على التقصير، ولكن الشرع جعل هذا الحق مقيداً إذ يبدأ بالنصيحة وينتقل إلى الهجر في المضاجع، فإن لم تستقم أمورها فقد سمح له الشرع بضربها ضرباً غير مضرٍ بها، من الناحية الجسمية والنفسية، قال تعالى :

﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾[2]

٤- بيّن النبي ﷺ أن مصدر هذه الحقوق والواجبات هو العقد الذي أصبح بموجبه كل منهما حلالاً للآخر، وفي إثبات هذه القاعدة جاء قوله ﷺ : «**وأنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله**».

ومقصوده أن الزوجة تحل لزوجها بإباحة الشرع، وتشريعه للزواج، وبناء الحياة الزوجية من خلال رابطة العقد، فعقد الزواج هو مصدر الحقوق التي تثبت للزوج على زوجته، وللزوجة على زوجها. وبسببه يثبت نسب الأولاد والتوارث بينهما.

ومعنى ذلك أن كل علاقة تنشأ بين رجل وامرأة أجنبية لا تقوم على أساس عقد الزواج تعد باطلة، ولا يثبت بها حق لأي طرف على الآخر، لأنها علاقة محرَّمة يستحق فاعلها العقوبة.

نشاط

ضع جدولاً في دفترك ثم بيّن فيه الآثار الإيجابية لرعاية الأزواج لحقوق بعضهم بعضاً، والآثار السلبية لعدم رعايتها.

الأسئلة

١- ما الحكمة من تخصيص النبي ﷺ جزءاً من خطبته للنساء؟
٢- ما المبادىء التي تضمنتها وصية النبي ﷺ بالنساء في خطبة الوداع؟
٣- أعطى الإسلام الزوج الحق في عدم إدخال بيته من يكره، بيّن ذلك.
٤- مِنْ حقوق الزوجة على الزوج حق النفقة، وضّح ذلك.
٥- قيَّد النبي ﷺ النفقة على الزوجة بالمعروف، ما فائدة هذا التقييد؟
٦- العَقْدُ مصدر الحقوق بين الزوجين، وَضِّح ذلك.

(١) سورة النساء: الآية: (١٩).
(٢) سور النساء، الآية: (٣٤).

تحليل خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع (٤)
(طاعة ولاة الأمور وقيودها)

أكد النبي ﷺ في خطبة الوداع مبدأ أساسياً، من مبادىء النظام السياسي في الإسلام وهو وجوب طاعة من له ولاية عامة على المسلمين، كالخليفة، أو رئيس الدولة، أو الأمير، أو الوالي أو القاضي، فقال في عبارة جامعة: «**أيها الناس اسمعوا وأطيعوا وإن أُمّر عليكم عبد حبشي مجدع، ما أقام فيكم كتاب الله تعالى**».

أولاً : معنى الطاعة المأمور بها

إن معنى قوله ﷺ: «**اسمعوا وأطيعوا**»، الانتباه والمعرفة الواعية للأوامر والنواهي الصادرة عن ولاة الأمر، وتنفيذها على أحسن الوجوه، في السر والعلن، والعسر واليسر، أحبها الناس أم كرهوها، ما لم تكن معصية الله. ومن لوازم الطاعة، عدم الخروج على ولاة الأمر الشرعيين، أو التمرد والعصيان، ما أقاموا شرع الله في الناس، وحكموا بالعدل.

وقد تكون هذه الأوامر أو النواهي الصادرة عن ولاة الأمر، قوانين تحفظ الحقوق العامة، والخاصة للأفراد، أو تعليمات، وسياسات لتدبير مصالح المجتمع، وتحقيق أهدافه، سواء أكانت اقتصادية أم اجتماعية أم سياسية أم عسكرية، أم غير ذلك مما فيه خير الناس.

ثانياً : أهمية الطاعة

طاعة ولاة الأمور دعامة من دعائم الحكم في الإسلام، وقاعدة من قواعد نظامه السياسي، وهي ضرورية ليتمكن الإمام وهو رأس الدولة من القيام بواجباته، ولا يتسنى له ذلك إلا بإعانته من خلال تنفيذ أوامره، كما أنها ضرورية لكي تتمكن الدولة من تحقيق أهدافها، والمحافظة على مصالح أفرادها وحقوقهم، وضمان أمنها الداخلي والخارجي، وما أحسن قول عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: «لا إسلام بلا جماعة، ولا جماعة بلا أمير، ولا أمير بلا طاعة» فعدم الطاعة يعرض أمن المجتمع، ومصالحه، وتشريعاته للخطر.

ثالثاً : وجوب الطاعة وأدلة ذلك

نظراً لأهمية طاعة ولاة الأمر، وأثرها في حماية مصالح المجتمع، فقد جاء النداء بها في خطبة الوداع، بصيغة آمرة «اسمعوا وأطيعوا» وهذه الصيغة تفيد وجوب الطاعة على الناس، حقاً لولاة الأمور، وأنه لا خيار لهم فيها ما دام ولاة الأمر يقودونهم بالشرع لا بالهوى، وبالعدل لا بالظلم.

وقد أوجب القرآن الكريم والسنة النبوية ذلك في أكثر من موضع ، من ذلك قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[1]

فقد أمر الله تعالى الرعية، على اختلاف فئاتها طاعة أولي الأمر، في أوامرهم ونواهيهم، ما لم يأمروا بمعصية، وأولو الأمر في هذه الآية كل من له ولاية شرعية عامة كالخلفية أو رئيس الدولة، والولاة والأمراء والقضاة.

وأما دليل الطاعة من السنة، فبالإضافة إلى ما ورد في خطبة الوداع ، من الأمر بالسمع والطاعة، فقد جاءت أحاديث كثيرة بوجوبها، منها: قوله ﷺ: «**اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي**»[2]، وقوله ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصا أميري فقد عصاني**»[3].

نشاط

إئتِ بآية كريمة أو حديث نبوي شريف يدلان على وجوب الطاعة للإمام.

رابعاً : سلطة ولاة الأمور ليست مطلقة

حينما أوجب الله عز وجل على الرعية أن تطيع ولاة الأمور لم يجعل هذه الطاعة مطلقة من كل قيد، وذلك لأن الحاكم والمحكوم تجب عليهم طاعة الله في أوامره ونواهيه، وأن السيادة العامة لأحكام الشرع . لذلك قيّد النبي ﷺ وجوب السمع والطاعة لمن يلي أمراً من أمور المسلمين، بإقامة كتاب الله عز وجل فيهم، فقال: «**اسمعوا وأطيعوا... ما أقام فيكم كتاب الله**» وإقامة كتاب الله في الناس تكون على النحو الآتي:

١- تطبيق أحكامه على الناس في كل شؤون حياتهم، وإلزامهم بها، ومنع الخروج عليها أو مخالفتها، سواء أكانت أوامر أم نواهي، ومعاقبة الخارجين عليها.

٢- استمداد الأحكام من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، إذ يرجع إليهما العلماء المجتهدون لاستخراج التشريعات المناسبة في مواجهة مشكلات الحياة ومستجداتها، وجعلهما مصدرين يستهدي بتوجيهاتهما ولاة الأمور في رسم السياسات وإصدار التعليمات الزمانية.

وعلى هذا فإن إقامة كتاب الله تعالى في المجتمع واجب على الحاكم، وحق للأمة، لأنها ما أعطته السمع والطاعة إلا ليقيم فيها أمر الله تعالى، فإن أخذها بتشريعات ليست من كتاب الله أو سنة نبيه، ولا تقرها الأصول الشرعية العامة، أو كانت تلك التشريعات تخالف كتاب الله وسنة نبيه، ولا تقرها الأصول الشرعية العامة، أو كانت تلك التشريعات تخالف كتاب الله وسنة نبيه، لم يكن لولي الأمر حق السمع والطاعة، في اتباع تلك التشريعات.

---

(١) سورة النساء، الآية: (٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم يأمر بمعصية.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية.

ومما يؤكد هذا أن النبي ﷺ قال: «**على المرء السمع والطاعة فيما أحب أو كره إلا أن يؤمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة**»[1].

وقد دل الحديث على حكمين شرعيين:

أحدهما: سقوط حق ولي الأمر في الطاعة بما أمر به من معصية.

والثاني: إن من يطيع ولي الأمر فيما أمر به من معصية يعد عاصياً، ولو كان ولي الأمر فيما سوى ذلك عادلاً.

فلو أمر الحاكم، بإقامة الصلاة في أوقاتها، أو بأداء الزكاة، أو بالعدل، أو بالجهاد في سبيل الله، أو بإتقان الأعمال، وأداء الحقوق، ونحو ذلك من الطاعات، والواجبات وكل ما فيه مصلحة عامة للناس، فإنها تجب طاعته وتعد قربة إلى الله، وتحرم مخالفته.

أما إذا أمر بمعصية، كقتل بريء، أو أكل ربا، أو شرب خمر، أو بطاعة تشريع مخالف لشرع الله، أو نهى عن واجب فرضه الله ورسوله، فلا تجوز طاعته فيما أمر به، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

الأسئلة

١- ما المقصود بطاعة أولي الأمر؟

٢- ما أهمية طاعة أولي الأمر في استقامة حياة الأمة؟

٣- ما حكم طاعة أولي الأمر؟ وما الدليل من القرآن الكريم والسنة النبوية على ذلك؟

٤- بِم قَيَّد النَّبي ﷺ طاعة ولاة الأمور؟

٥- كيف تكون إقامة كتاب الله تعالى؟

٦- ما الذي تفيده من قوله ﷺ: «**على المرء السمع والطاعة فيما أحب أو كره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»؟

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية.

الدرس الحادي عشر
تحليل كتاب النبي ﷺ إلى هرقل ملك الروم

استجابة لأمر الله تعالى في تبليغ الدعوة الإسلامية للعالمين، كتب الرسول ﷺ كتباً إلى مختلف الملوك والزعماء في عصره، يدعوهم فيها إلى الإسلام، ونبذ ما هم عليه من العقائد الباطلة، وكان ذلك بعد صلح الحديبية، سنة ست للهجرة. وكان من هذه الكتب كتاب أرسله النبي ﷺ إلى هرقل ملك الروم.

أولاً : نص الكتاب

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تَسْلَم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1]

ثانياً : موقف هرقل من الكتاب

حمل الكتاب الكريم دحية بن خليفة الكلبي، فانطلق به حتى وصل بلاد الشام، ووافق ذلك أن هرقل كان يحج إلى بيت المقدس، شكراً الله على ما منحه إياه من نصر على أعدائه الفرس، وهنا تسلم الإمبراطور الكتاب الكريم، فقرأه، ثم عرض على حاشيته اعتناق الإسلام الذي دعاه إليه نبي الإسلام سيدنا محمد ﷺ، ولكنهم هاجوا وماجوا لهذه الدعوة مستنكرين لها فسكَّتهم، واعتذر عن ذلك بأنه أراد اختبارهم في صلابتهم على دينهم.

ثم استدعى هرقل دحية وحاول إيهامه أنه أسلم، وأعطاه قدراً من الدنانير وصرفه، وعاد دحية إلى النبي ﷺ بالنبأ فقال عليه السلام: «**كذب عدو الله ليس بمسلم**» وأمر بالدنانير فوزعت على المحتاجين.

ثالثاً : الدلالات العامة في كتابه ﷺ

١- في إرساله ﷺ الكتاب إلى هرقل وغيره من الملوك والزعماء في عصره، تأكيد لعموم الدعوة الإسلامية، وأنها ليست خاصة بالعرب وأن تبليغها للرؤساء هو واجب رئيس الدولة وحاكمها، مع كونه واجب الأفراد أيضاً، لأن ما يقبله الرؤساء من بعضهم لا يقبلونه من آحاد الرعية.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (٦٤).

٢- إن تخصيص الزعماء في إبلاغ الدعوة دليل على عدم وجوب تبليغ كل فرد في رعاياهم، لتعذر ذلك من جهة، ولأن كل زعيم مسؤول عن دعوة قومه إلى ما دعي هو إليه، وأخذ رأيهم فيه.

٣- يدلنا موقف هرقل مع أتباعه على مدى الاستكبار على الحق والتعنت في الباطل، عند كثير من أهل الكتاب، وأن الدين قد تحوّل في نظرهم إلى عصبية وتقاليد، وأن تمسكهم به لا يعدو عن كونه جزءاً من موروثاتهم. ويدلنا موقف هرقل على أنه آثر ملكه على كل شيء، ولو كان هذا الشيء حقاً يجب اتباعه.

رابعاً : تحليل محتوى الكتاب النبوي

يمكن تحليل محتوى كتاب النبي ﷺ إلى هرقل فيما يأتي:

١- **تصدير الكتاب بالبسملة**، يدلنا على سنة من سنن الإسلام، وهي أن يبدأ المسلم رسائله دائماً بالبسملة، سواء أكان مرسلها إلى أفراد أسرته وأقاربه، أم إلى جهة رسمية، وكذلك أن يبدأ المسلم كل أعماله بالبسملة.

٢- **ذكر النبي ﷺ لاسمه وصفته**، هو من باب التعريف لشخصه وأنه رسول من عند الله وأن مهمته تبليغ ما كلّف به من ربه.

٣- **بيان أدب الإسلام في مخاطبة غير المسلم من جهة**، ومراعاة مكانته السياسية والاجتماعية من جهة أخرى، خاصة إذا كان زعيماً، أو ملكاً على قومه، ففي قوله: «**إلى هرقل عظيم الروم**». إنزال للرجل منزلته التي تليق به، حيث اختاره قومه ليكون عليهم ملكاً وعظيماً، ولم يصفه بالطاغية، ولا بالكافر، بالرغم من أنه على دين دخله التحريف، حتى لا يدفعه ذلك إلى العناد، والاستكبار على الحق.

وفي قوله ﷺ: «**السلام على من اتبع الهدى**» تأليف لقلبه واستدراج له حتى يستجيب لدعوته، ولم يقل السلام عليك، حتى يرى منه موقفاً يستحق فيه أن يكون من أهل السلام.

وفي هذا إرشاد للدعاة في كيفية مخاطبة الزعماء، وكيفية مخاطبة المخالفين لهم في العقيدة.

٤- **تحديد لمضمون مقصود الكتاب في قوله ﷺ**: «**أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم**» ، وهو أنه يدعوه إلى الإسلام، هو الدين الذي جاء به من عند الله، وبيّن في قوله: «**أسلم تسلم**» أنه يشفق عليه ويرغب فيما فيه مصلحته، فإن نتيجة الإسلام تحقيق السلامة لمن آمن به في الدنيا والآخرة، ثم بيَّن أن أجر الحاكم إذا أسلم يضاعف أجره على أجر غيره، لأن بإسلامه تسلم رعيته، لذلك قال في الكتاب: «**يؤتك الله أجرك مرتين**».

وبالمقابل فإن استكبار الزعيم أو الحاكم عن اتباع الحق يؤثر في رعيته فلا يسلمون، لذلك قال في الكتاب: «**وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين**».

٥- **وفي ذكره ﷺ للآية الكريمة في صلب الرسالة**: «**قل يا أهل الكتاب...الآية**»، **إشارة** إلى مناسبتها لموضوع الكتاب، لأنها تصدرت بخطاب «**يا أهل الكتاب**» ومن عنده كتاب من الله يعرف حقيقة النبوة، وما تشتمل عليه دعوتهم من الحقائق، فيعرفون من ذلك صدقه من كذبه.

والحقيقة التي أشارت إليها الآية الكريمة لا يختلف فيها المؤمنون، لأنها مشتركة بين الأنبياء جميعاً، إذ فيها الدعوة إلى عبادة الله، وحجّة لنبذ الشرك، وأن لا يتخذ الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، وبهذا جاء موسى وعيسى، وإخوانهم من الأنبياء قبلهم عليهم الصلاة والسلام.

الأسئلة

١- لِمَ أرسل النبي ﷺ الكتب إلى زعماء الأرض؟

٢- بيّن موقف هرقل من كتاب النبي ﷺ.

٣- ما الدلالات العامة المستفادة من كتابه ﷺ إلى هرقل؟

٤- تضمنت رسالة النبي ﷺ إلى هرقل أدباً من آداب الإسلام في مخاطبة الآخرين، بيّن ذلك.

٥- اشرح قوله ﷺ: «**أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين**».

٦- ما الحقيقة التي أشارت إليها الآية الكريمة:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1] ؟

(١) سورة آل عمران، الآية: (٦٤).

الدرس الثاني عشر

طبيعة العلاقة بين اليهود والمسلمين زمن النبي ﷺ

مر بك أن النبي ﷺ وضع وثيقة لتنظيم العلاقة بين المسلمين واليهود في المدينة المنورة بعد الهجرة إليها، بيّن فيها الحقوق والواجبات على الطرفين فكيف صارت العلاقة بينهم بعد ذلك؟ هذا ما سنجيب عنه في الدروس الآتية:

تخبرنا كتب السيرة أن علاقة اليهود بالمسلمين مرت في ثلاث مراحل:

الأولى: مرحلة الهدنة المشوبة بالحذر.

الثانية: مرحلة الحرب المعنوية والنفسية.

الثالثة: مرحلة الصراع المسلح.

أولاً: مرحلة الهدنة المشوبة بالحذر

لقد ساد العلاقة بين المسلمين واليهود نوع من السلم المؤقت، في أعقاب هجرة النبي ﷺ، وبعد كتابة الوثيقة التي نظمت العلاقة بين المؤمنين واليهود. فقد اتصل النبي ﷺ باليهود ودعاهم إلى الإسلام استجابة لأمر الله في وجوب تبليغ دعوته للناس كافة: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[1]

ولم يستجب له منهم إلا نفر قليل، منهم عبد الله بن سلام، رضي الله عنه، بالرغم من أنهم أهل دين إلهي له امتداد تاريخي، ويعرفون معنى النبوة، وخصائصها وصفاتها، ويدركون الحقائق الاعتقادية المشتركة بين أهل كل الديانات، ويستطيعون من خلال ذلك كله أن يتبينوا صدق النبي ﷺ من كذبه، ولكنهم أصموا آذانهم دون دعوته ﷺ، فلماذا لم يؤمنوا مع توفر دواعي الإيمان بهذا النبي؟ ولماذا أنكروا الحقائق الناطقة بها كتبهم؟

ويمكن رد ذلك إلى عاملين:

١- حبهم للدنيا وحرصهم على متاعها، والتشبث بالمركز التجاري والسياسي الذي كان لهم في المدينة المنورة، وللضرر الذي أصابهم بذهاب سيادتهم على المدينة، إذ كانت سياستهم التفريق بين الأوس والخزرج لتبقى السيادة لهم على المدينة المنورة من الناحية السياسية.

وكانوا يبيحون لأنفسهم الحصول على المال، بشتى الطرق، بأكل الربا والسحت، وصنع الخمر والاحتكار، ولذا رأوا في الإسلام عدواً لهم، لأنه سيحرمهم هذه الامتيازات التي حازوها بالمنكر والخديعة لتثبت لهم السياسة الاقتصادية.

٢- طبيعة اليهود وتكوينهم الفكري والثقافي والسلوكي، فهم مثلاً أصحاب طبيعة منغلقة على ذاتها، يشعرون بالتفوق على سائر أجناس البشر، وهذا يتناقض مع سمة الإسلام الذي يدعو إلى الإخاء والمحبة والمساواة.

---

(١) سورة الاعراف، الآية: (١٥٨).

وفي اليهود صفات أخرى متأصلة فيهم تتناقض مع مبادىء الإسلام وقيمه العليا، مما يشكل أحد العوامل التي منعتهم من الاستجابة لدعوة النبي ﷺ.

لكن مع عدم استجابتهم لنداء الإيمان فقد مالوا في أول أمرهم إلى مسالمة النبي ﷺ لأن من مصلحتهم أن لا يتولوا بأنفسهم مقاومة المسلمين، لأن قريشاً ما زالت على قوتها، قادرة على حرب المسلمين فألقوا تبعة الصراع عليها، وظلوا هم يرقبون الأوضاع، ويخططون في ضوء نتائجه.

ولكن هذه الفترة الزمنية لم تطل حيث أظهر اليهود العداوة للنبي ﷺ، ووقفوا إلى جانب الوثنية، وامتدحوا أصنامها، ونأوا عن التوحيد الذي دعاهم إليه، وقالوا: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴾(١)

نشاط

ابحث في سورة البقرة، واستخرج أربع آيات تذكر أربع صفات لليهود، ودونها في دفترك.

ثانياً : مرحلة الحرب النفسية والمعنوية

بدأ اليهود بعد فترة السكون والترقب الأولى ينشرون الشكوك حول نبوة النبي ﷺ وحول الإسلام الذي جاء به، واستخدموا في سبيل ذلك أساليب متعددة نذكر منها ما يأتي:

١- **إلقاء الأسئلة على الرسول ﷺ لإحراجه**: فقد كان أحبار اليهود يوجهون الأسئلة التعجيزية إلى رسول الله ﷺ ويظنون أنهم يصلون إلى حد إظهار عجزه عن الإجابة، يقصدون من وراء ذلك تكذيب نبوته أمام الناس، ولكن الله تعالى كان يكبتهم بما يوحي إلى رسوله ﷺ من الإجابة عن كل سؤال يسألونه.

فقد سألوا رسول الله ﷺ وقالوا له: يا محمد إن كنت رسولاً من الله كما تقول، فقل الله يكلمنا حتى نسمع كلامه، فأنزل الله تعالى في ذلك:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾(٢)

٢- **استخدام الجدل**: من المعروف عن اليهود أنهم أهل جدل، فقد أتعبوا أنبياءهم بمجادلتهم، ومواقفهم في ذلك مع نبي الله موسى عليه السلام مشهورة معروفة.

وقد بدأوا حرب الجدل مع النبي ﷺ لإضعاف موقفه، والتشكيك في دعوته ومن الأمثلة على ذلك جدالهم في مسألة النسخ، واستنكارهم أن يبدل الله آية مكان آية، أو حكماً بحكم، وقالوا: ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر، ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً، ما هذا من شأن الأنبياء، وما هذا القرآن إلا من كلام محمد، فأنزل الله تعالى يرد عليهم فريتهم بقوله:

---

(١) سورة النساء ، الآية: (٥١).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١١٨).

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١)

٣- **الخداع والتلبيس**: استخدم اليهود أسلوب الخداع والتلبيس بقصد التشكيك في الإسلام ونبوة محمد ﷺ، فكانوا يظهرون إسلامهم لفترة من الوقت، ثم يرجعون عنه بعد ذلك إلى الكفر، لتشجيع المسلمين على الارتداد عن دينهم، وقد ذكر القرآن الكريم هذه الصفة منهم فقال الله تعالى:

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(٢)

٤- **استهزاؤهم بالدين وشعائره**: اتبع اليهود طريقة الاستهزاء بالإسلام والسخرية من شعائره وعباداته، وقد فضح الله مسلكهم في كتابه، ونهى المؤمنين عن موالاتهم ومصادقتهم، فقال تعالى: .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾(٣)

نشاط

ارجع إلى سيرة ابن هشام واستخرج منها أسلوبين آخرين من أساليب اليهود في التشكيك بالإسلام.

ثالثاً : مرحلة الصراع المسلح

١- نقض اليهود للعهود

لم يحدِّث المسلمون أنفسهم بنقض عهود هم مع اليهود، ولا فكروا في طردهم من أرض الجزيرة العربية بل على العكس، توقع المسلمون منهم أن يكونوا عوناً لهم في حرب الوثنية، وتدعيم عقيدة التوحيد، وهذه المشاعر الحسنة تتماشى مع القرآن النازل يومئذ، يؤسسها ويؤكدها، قول الله تعالى:

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾(٤)

بيد أن اليهود كانوا أسوأ ظناً، فلم تمض أيام على انتصار المسلمين في بدر حتى راحت قبائلهم تنقض عهودها، وتخون مواثيقها، وكان بنو قينقاع أول من نقض العهد مع النبي ﷺ ثم بنو النضير، وكان آخرهم بنو قريظة في غزوة الأحزاب.

---

(١) سورة البقرة ، الآية : (١٠٦).
(٢) سورة آل عمران ، الآية: (٧٢).
(٣) سورة المائدة، الآيتان: (٥٧-٥٨).
(٤) سورة الرعد، الآية: (٤٣).

ويلاحظ أن نقض المعاهدات هو أحد سمات اليهود، وقد نبه القرآن الكريم الى هذه الخصلة فيهم، فقال سبحانه .

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾(١)

وقال عز وجل : ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(٢)

٢– تعاون اليهود مع أعداء المسلمين وتحريضهم على قتالهم

لم يكتف اليهود بنقض عهودهم مع المسلمين ولكنهم تعاونوا مع الأعداء من قريش وغيرها من القبائل العربية ضد المسلمين، وحرّضوهم على قتالهم، ومما يدل على ذلك الأمثلة الآتية:

أ – أنّ أبا سفيان ومعه رجال من قريش قدموا المدينة بعد هزيمة قريش في بدر لينتقموا من المسلمين ووصلوها ليلاً، فاستقبلهم سلام بن مشكم وهو أحد زعماء بني النضير في بيته، وأعلمهم أخبار المسلمين، وأرشدهم إلى نقاط الضعف في حراسة المدينة، فأغار أبو سفيان ورجاله على ناحية من نواحيها فتبعهم المسلمون ففروا هاربين.

ب– ومن ذلك أيضاً، أن نفراً من زعماء يهود بني النضير خرجوا حتى أتوا مكة فدعوا قريشاً إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا سنكون معكم حتى نستأصله، واتفقوا معهم على حرب المسلمين، وتواعدوا لذلك.

ثم خرج أولئك النفر حتى جاؤوا غطفان فدعوهم إلى مثل ما دعوا قريشاً إليه، ولم يزالوا بهم حتى وافقوهم على ذلك، ثم التقوا بني فزارة وبني مرة، وتمّ لهم مع هؤلاء مثل ما تم لهم مع قريش، وتواعدوا في الزمان والمكان لحرب رسول الله ﷺ والمسلمين، وجمعوا أحزاب الشرك، والكفر لقتال النبي ﷺ في المدينة المنورة، فكانت غزوة الأحزاب التي انتصر فيها المسلمون بإذن الله تعالى.

وقد يتساءل المرء لماذا تظاهرت اليهودية والوثنية ضد الإسلام وأهله؟ ولمصلحة من يقع هذا؟ إن اليهود ينظرون إلى الدنيا والدين من خلال منافعهم الخاصة، وذلك ما حدا بهم إلى مقاومة الإسلام بعنف، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾(٣)

(١) سورة الأنفال، الآيتان : (٥٥، ٥٦).
(٢) سورة البقرة، الآية: (١٠٠).
(٣) سورة هود، الآية: (١٠٢).

الأسئلة

١- هناك عاملان دفعا اليهود إلى عدم الإيمان برسالة الإسلام، وَضِّحهما.

٢- ما الذي ترتب على فضح القرآن مواقف اليهود؟

٣- تُعدُّ طبيعة اليهود سبباً رئيساً لعدم الإيمان برسالة الإسلام، وَضِّح ذلك.

٤- لماذا مال اليهود في بداية الأمر إلى مسالمة النبي ﷺ؟

٥- استخدم اليهود أساليب متعددة لإثارة الشكوك في الإسلام ونبوة الرسول ﷺ ، عَدِّد ثلاثة منها.

٦- لِمَ كان اليهود يطرحون أسئلة يريدون بها إحراج النبي ﷺ؟ أعط مثالاً على ذلك.

٧- علام يدل استخدام اليهود طريقة التشكيك في الإسلام؟

٨- الاستهزاء بالدين وشعائره من أساليب الحرب النفسية التي اتبعها اليهود مع المسلمين، بيّن ذلك.

٩- من المسائل التي جادل فيها اليهود النبي ﷺ مسألة النسخ:

أ - اشرح هذه المسألة.

ب- بَيِّن رد القرآن الكريم فيها.

١٠- استنتج أثرين في نفس الإنسان ينتجان من التشكيك بقناعاته.

١١- كيف وظّف اليهود أسلوب الخداع للتشكيك بالإسلام؟

١٢- ما الذي ترتب على مرحلة الصدام العسكري بين المسلمين واليهود؟

١٣- قام اليهود بأعمال خالفت الاتفاق الذي أبرموه مع النبي ﷺ ، اذكر اثنين من هذه الأعمال.

١٤- اذكر حادثة تبين فيها تعاون اليهود مع أعداء المسلمين.

١٥- اذكر حادثة تبين فيها تحريض اليهود أعداء المسلمين على المسلمين.

التعريف بأبرز كتب السيرة النبوية

أولاً : السيرة النبوية لابن هشام

١– تعريف بالمؤلف ابن هشام

أ – **نسبه**: هو أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري، ولد في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري.

ب– **نشأته وعصره**: نشأ ابن هشام في البصرة، ثم نزل مصر، وعاش في منتصف القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث الهجري، في بداية قيام الدولة العباسية.

وقد اتسم هذا العصر بمميزات عدة من أهمها :

١- شيوع كتابة العلم وتدوينه بعد أن كان ينقل بالرواية.

٢- تفرّق العلماء في الآفاق لتعليم الأمة وتهذيبها، وتبع ذلك الرحلة في طلب العلم من مكان إلى آخر تبعاً لوجود العلماء، فانتشر التعليم وعمّ، وكثر العلماء كثرة واضحة.

٣- ظهور التخصصات في العلوم المختلفة مثل الفقه والحديث والسيرة والتاريخ.

٢– منزلة ابن هشام وآثاره العلمية

لقد كان لعصر ابن هشام وبيئته، أثر واضح في تكوينه وبنائه العلمي، فقد كان إماماً في النحو واللغة العربية، وله أكثر من مؤلف منها: «التيجان لمعرفة ملوك الزمان» وهو كتاب مطبوع، ومنها كتاب السيرة المنسوب إليه «سيرة ابن هشام».

٣– محتوى كتاب سيرة ابن هشام

تناول ابن هشام في كتابه ثلاثة أمور:

١. **المبتدأ**: وقد تحدث عن التاريخ الجاهلي. فذكر نسب الرسول ﷺ وتاريخ اليمن في الجاهلية، وتاريخ القبائل العربية وعباداتها، وتاريخ مكة وأجداد النبي ﷺ.

٢. **المبعث** : ويشمل حياة النبي ﷺ، في مكة والهجرة، وترى المؤلف فيه يصدر الأخبار الفردية بإيجاز، ويدَوِّن مجموعات كاملة من القوائم، فقائمة لمن أسلم من الصحابة بدعوة أبي بكر، وأخرى بالمهاجرين إلى الحبشة، وثالثة لمن عاد من أرض الحبشة لما بلغهم إسلام أهل مكة وغيرها، ويعنى بالترتيب الزمني للحوادث وتزداد عنايته بأسانيد الأخبار.

٣. **المغازي**: وفي هذا تناول المصنف حياة النبي ﷺ في المدينة، وكان يبدأ الخبر بموجز حاوٍ لمحتوياته، ثم يتبعه بخبر من جميع الأقوال التي أخذها من رواته، ثم يكمله بما جمعه هو نفسه من المصادر المختلفة،

وتكثر القوائم في هذا القسم من السيرة أيضاً من الغزوات المختلفة، ويلتزم إيراد الأسانيد والترتيب الزمني.

٤- قيمة كتاب سيرة ابن هشام

يُعد كتاب سيرة ابن هشام من المصادر الأساسية في سيرة النبي ﷺ، ولا يستغني عنها باحث أو مؤرخ في السيرة، وقد تلقت الأمة هذا الكتاب بالقبول ولا تكاد تخلو منه مكتبة عربية أو إسلامية.

ثانياً : زاد المعاد في هدي خير العباد

١- التعريف بمؤلف هذا الكتاب

هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اشتهر بابن قيم الجوزية لأن أباه كان في دمشق قيّماً على مدرسة الجوزية.

أ - **نشأته وعلمه**: ولد ابن القيم سنة (٦٩١هـ) في بيت علم وفضل، وقد تلقى العلم على أبيه، ودرس العلوم الشرعية المختلفة، كالفقه والأصول، والعربية والحديث وغيرها.

تتلمذ ابن القيم على شيخ الإسلام ابن تيمية، ولازمه زهاء أربعين سنة، وأخذ عنه معظم علمه، وترك في نفسه أكبر الأثر، وتتلمذ على يديه خلق كثير، منهم الحافظ ابن كثير، وغيره، وكانت وفاته عام (٧٥١هـ).

ب- **عصر ابن القيم وبيئته العلمية**: عاش ابن القيم في بيئة علمية كان لها أثر كبير في توجيهه، وبناء شخصيته العلمية، فقد كانت مصر والشام تعجان بدور العلم التي تدرس علوم الشريعة المختلفة، وكان لتحفيظ القرآن وقراءته معاهد، وللحديث وعلومه مدارس، وللمذاهب الفقهية صروحها ورجالها، واشتهرت المساجد بحلقات العلم كمسجد عمرو بن العاص، والجامع الأزهر، وجامع ابن طولون في مصر.

وشهد له العلماء بالفضل، والمعرفة والحكمة، له مؤلفات عدة في أكثر من موضوع، فله في الفقه «أعلام الموقعين عن رب العالمين»، و«الطرق الحكمية» وله في السيرة «زاد المعاد في هدي خير العباد».

٢ -وصف كتاب زاد المعاد في هدي خير المعاد

يقع زاد المعاد في أربعة أجزاء، أما الجزء الأول فقد بيّن فيه ابن قيم الجوزية نسب النبي ﷺ، وأحواله الخاصة وعبادته.

أما الجزء الثاني والثالث فقد خصصهما ابن القيم لـ :

أ - العبادات والعادات وسيرته ﷺ مع الكفار، والجهاد، والغزوات.

ب- الوفود التي قدمت إلى النبي ﷺ في المدينة المنورة وكيفية استقباله لهم، والكتب التي وجهها إلى الملوك والزعماء المعاصرين له يدعوهم فيها إلى الإسلام.

جـ - في أمراض القلوب والأبدان، وأساليب الوقاية من الأمراض، وطرق علاجها، والعادات الصحية، في المطعم والمشرب، والملبس والمسكن، والنوم واليقظة والرياضة، ومعاشرة الزوجة.

د - أقضيته ﷺ وأحكامه، في الجنايات، والغنائم، والجزية.

أما الجزء الرابع فقد أكمل فيه حديثه عن أحكامه ﷺ وقضائه في النكاح وتوابعه، والطلاق وآثاره ومتعلقاته، والبيوع ما يجوز فيها وما لا يجوز.

٣– غرض ابن القيم من تأليف كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد»

هذا العنوان يشير بوضوح إلى أن ابن القيم رحمه الله قصد من تأليفه الكتاب هداية النفوس، ودعوتها للخير، من خلال التأسي بسيد الخلق محمد ﷺ ولم يقصد الأحداث التاريخية لذاتها، لذلك جاءت عناوين الكتاب في فصوله وأبوابه مشيرة إلى هذا المعنى.

٤– منهج ابن القيم في كتابه زاد المعاد

يعكس الكتاب ملامح ابن القيم في كل كتبه فهو يذكر الحادثة أو الواقعة من هديه ﷺ ثم يستشهد عليها بالنصوص، ويحشد لها من الروايات الواردة فيها ويمحّصها قبل الأخذ بها، ويعرض آراء الفقهاء ثم يرجح ما يؤيده الدليل الصحيح.

ويشير عند اختلاف الروايات إلى أن ذلك من أسباب اختلافهم، ويذكر معتمد كل فقيه من تلك الروايات.

وحين يذكر هدي النبي ﷺ في عباداته، وعاداته، ومعاملاته، وغزواته، وسيرته في المشركين وأهل الكتاب، وفي الطب والرقى يذكر الجزئيات، ويفصِّل فيها، ويستطرد بذكرها، ويستنبط الأحكام الشرعية منها والفوائد والحكم والغايات المحمودة من غير تكلف، أو تحميل للكلام أكثر مما يحتمل.

ثالثاً : السيرة النبوية لابن كثير

١– محتوى السيرة

شغلت السيرة نحو ثلاثة أجزاء من كتاب البداية والنهاية، من أواخر الجزء الثاني حتى أواخر الجزء الخامس، فهي بذلك موزعة بين أربعة أجزاء وقد أفردها المحقق د. مصطفى عبد الواحد في أربعة أجزاء.

تناول الجزء الأول أخبار العرب وأنسابهم في الجاهلية، وبعض الأحداث التي وقعت في زمنهم، وذكر فيه نسب النبي ﷺ، ومولده ونشأته، وذكر شيئاً من البشارات ببعثته وكيفية بدء الوحي، والدعوة في بداية أمرها.

وتناول الجزء الثاني هجرة النبي ﷺ، إلى المدينة وما قام به من أعمال بعد قدومه إليها، وغزواته، والأحوال التي مر بها المسلمون خلال ذلك.

والجزء الثالث: تناول بقية غزواته ومراسلاته للملوك والأمراء، وعن الوفود التي قدمت عليه، ﷺ.

والجزء الرابع : تحدث فيه عن حجة الوداع ، ومرضه ووفاته، وذكر أزواجه وكتَّاب الوحي، وشمائل النبي ﷺ، ودلائل نبوته، فجاءت السيرة شاملة لحياة النبي ﷺ العامة والخاصة.

٢– منهج ابن كثير في سيرته وخصائصها

إن أول ما تلمسه في السيرة لابن كثير، أنه اهتم بالرواية وبالأسانيد، وهو يحرص على جمع كل ما كتب في الموضوع الذي يتناوله، ولكنه لا يدمج الأحاديث والأخبار بعضها في بعض.

وفي مجال الأخذ عن غيره، نجد ابن كثير ينقل عن بعض كتب السيرة المفقودة مثل كتاب ابن إسحاق، وابن

عقبة، ويضيف إليه ما رواه عن أهل الحديث في الموضوع، كما أنه ينقل أيضاً عن بعض شروح السيرة مثل «الروض الأنف» للسهيلي، و«الشفا» للقاضي عياض، ويستشهد بالشعر الذي يذكره ابن هشام في سيرته لكنه يختصر كثيراً منه ويهمل بعضه.

وبالرغم من إهمال ابن كثير وتركه للكثير من الأخبار الضعيفة، إلا أن سيرته لم تخل من بعض المرويات الضعيفة وإن كان يذكر الأسانيد ويعلق على بعضها، بما يضعف جانب الخبر كقوله «غريب جداً».

إن سيرة ابن كثير جهد مميز قام به ابن كثير، رحمه الله، مازجاً بين أخبار السيرة ومرويات الأحاديث، فسن بذلك نهجاً جديداً، لم يكن أحد من قبله قد اهتم به، وجمع كل ما أمكنه في هذا المجال، فوضع أمام طلبة العلم مادة وافية تمكنهم من الدراسة والإحاطة بسيرة الرسول ﷺ.

الأسئلة

١ - عَرِّف بابن هشام من حيث، واسمه، ونشأته، ومنزلته العلمية.

٢ - وَضِّح مميزات عصر ابن هشام.

٣ - بَيِّن قيمة سيرة ابن هشام بين كتب السيرة الأخرى.

٤ - عَرِّف بابن قيم الجوزية من حيث مولده، ووفاته، وتعلمه، وسبب تسميته بهذا الاسم.

٥ - تَحدَّث عن البيئة العلمية في عصر ابن القيم وأثرها عليه.

٦ - وَضِّح غرض ابن القيم من تأليف كتاب زاد المعاد.

٧ - بَيِّن منهج ابن قيم الجوزية في تأليف كتابه زاد المعاد.

٨ - وَضِّح أربعة من الأمور التي تناولها ابن القيم في كتابه زاد المعاد.

٩ - اذكر ثلاث ميزات لسيرة ابن كثير.

١٠- بَيِّن مدى تأثر ابن كثير بطابع عصره من خلال منهجه في سيرته.

١١- سَمِّ كتابين مهمين من كتب ابن كثير.

قائمة المراجع والمصادر

١ - أحمد بن حنبل، المسند، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢ - أحمد سالم ملحم، بيع المرابحة، مكتبة الرسالة، عمان، الطبعه الأولى، ١٩٨٩م.

٣ - أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٤ - البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الجيل، بيروت.

٥ - بدران أبو العينين بدران، أصول الفقه الإسلامي، نشر مؤسسة شباب الجامعة.

٦ - بكر أبو زيد، التقنين والإلزام- ضمن فقه النوازل- مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٧ - الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.

٨ - ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، جوامع السيرة، تحقيق إحسان عباس وآخرون، دار المعارف، مصر.

٩ - حسين حامد حسان، حكم الشريعة في عقود التأمين، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٦م.

١٠ - حسين محمد الشرقاوي، المسلمون علماء وحكماء، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

١١ - أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، المكتبة العصرية، بيروت.

١٢- الدمرداش سرحان، الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة مؤسسة الحق، القاهرة، ١٩٦٨م.

١٣- زكي الدين شعبان، أصول الفقه الإسلامي، طباعة دار القلم، بيروت، منشورات جامعة بنغازي، الطبعة الثالثة، ١٩٧٤م.

١٤- سعيد حوى، الله جل جلاله، دار الدعوة، بيروت، ١٩٦٩م.

١٥- سعيد حوى، الرسول ﷺ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعه الثانية، ١٣٩١هـ/ ١٩٨٧م.

١٦- سيد سابق، العقائد الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٧- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٣٩١هـ/ ١٩٨٧م.

١٨ - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٨٩٨هـ/ ١٩٨٧م.

١٩ - السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢٠ - صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، مطبعة جامعة دمشق، الطبعة الثانية، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

٢١ - صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة. ١٩٧٣م.

٢٢ - صلاح عبد الفتاح الخالدي، مدخل إلى ظلال القرآن الكريم، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٣ – عبد الحميد السائح، عقيدة المسلم وما يتصل بها، وزارة الأوقاف، عمان، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.
٢٤ – عبد الرحمن حَبَنّكة، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م.
٢٥ – عبد الرزاق نوفل، الله والعلم الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣م.
٢٦ – عبد الستار أبو غدة، بحوث في الفقه الطبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣م.
٢٧ – عبد السلام العبادي، الإيمان بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية، عمان.
٢٨ – عبد الكريم زيدان، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة الخامسة، ١٩٧٦م.
٢٩ – عبد الله العمري، تاريخ العلم عند العرب، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
٣٠ – عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، مكتبة الدعوة الإسلامية.
٣١ – عدنان زرزور، مقالة في المعرفة، مكتبة دار الفتح، دمشق.
٣٢ – عدنان زرزور، علوم القرآن، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٣٣ – ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ.
٣٤ – علي الحسيني الندوي، السيرة النبوية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة السابعة.
٣٥ – علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، مطبعة أحمد مخيمر، مصر، نشر دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م.
٣٦ – عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٣م.
٣٧ – عمر سليمان الأشقر، تاريخ الفقه الإسلامي، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.
٣٨ – عمر يوسف حمزة، دراسات في أصول التفسير ومناهجه، الدوحة، قطر، شركة سعيد رأفت للطباعة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
٣٩ – غازي حسين عناية، مناهج البحث العلمي في الإسلام، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
٤٠ – فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، دون سنة طبع.
٤١ – القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
٤٢ – ابن قيم الجوزية، محمد بن بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد، المطبعة المصرية، القاهرة.
٤٣ – ابن كثير، إسماعيل بن عمرو القرشي، تفسير القرآن العظيم، دار إحياء الكتب العربية ،القاهرة.
٤٤ – ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م.
٤٥ – ابن كثير، السيرة لنبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار إحياء التراث العرابي، بيروت.
٤٦ – ابن كثير، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح، مصر.
٤٧ – ماجد أبو رخية، حكم التسعير في الإسلام، مكتبة الأقصى، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.
٤٨ – ماجد أبو رخية، الاحتكار، مكتبة الأقصى، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
٤٩ – ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، المكتبة العلمية، بيروت.

٥٠ – مالك بن أنس، الموطأ.
٥١ – محمد أديب صالح، لمحات في أصول الحديث، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ.
٥٢ – محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، دار المنار، القاهرة، ١٩٩٠م.
٥٣ – محمد جمال الدين القاسمي، قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.
٥٤ – محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، طباعة ونشر دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.
٥٥ – محمد الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٩٧٦م.
٥٦ – محمد أبو زهرة، أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر.
٥٧ – محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الفقهية، مطبعة المدين، القاهرة.
٥٨ – محمد أبو زهرة، أبو حنيفة، دار الفكر العربي، القاهرة.
٥٩ – محمد أبو زهرة، أحمد بن حنبل، دار الفكر العربي، القاهرة.
٦٠ – محمد أبو زهرة، خاتم النبيين، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى.
٦١ – محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينات الكونية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ/ ١٩٦٩م.
٦٢ – محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، الطبعة الثانية.
٦٣ – محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، نشر المؤلف نفسه، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.
٦٤ – محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر.
٦٥ – محمد عبد القادر أبو فارس، في ظلال السيرة النبوية، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
٦٦ – محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار النصر الحديثة، الرياض.
٦٧ – محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن.
٦٨ – محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث: علومه ومصطلحاته، دار الفكر، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٩٨١م.
٦٩ – محمد الغزالي، فقه السيرة، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
٧٠ – محمد الغزالي، عقيدة المسلم، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
٧١ – محمد المبارك، نظام الرسلام، العقيدة والعبادة، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٧م.
٧٢ – محمد نعيم ياسين، الإيمان، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ١٩٧٧م.
٧٣ – محمد نعيم ياسين، أبحاث في قضايا طبية معاصرة، دار النفائس، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
٧٤ – محمد يوسف موسى، تاريخ الفقه الإسلامي، دار المعرفة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م.
٧٥ – محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٨٥م.
٧٦ – مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٧ – مصطفى أحمد الزرقاء، نظام التأمين، حقيقته والرأي الشرعي فيه، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.
٧٨ – النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤م.
٧٩ – نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٩٨١م.
٨٠ – ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية، مطبعة مصطفى الحلبي، ١٩٥٢م.
٨١ – وهبة الزحيلي، مباحث الحكم الشرعي والأدلة المتفق عليها عند الأصوليين، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٧٩م.
٨٢ – وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.
٨٣ – وهبة الزحيلي، نظرية الضرورة الشرعية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م.
٨٤ – يوسف السويدي، الإسلام والعلم التجريبي، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ –١٩٨م.
٨٥ – يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩م.
٨٦ – يوسف القرضاوي، بيع المرابحة للآمر بالشراء، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٥٩م.

تم بحمد الله تعالى